القضية الفلسطينية

نظريات انهيار دولة إسرائيل

وتفسيرات معاصرة للقرآن الكريم



د. أحمد حسين الرفاعي

بيروت - لبنان

1440هـ - 2019م

القضية الفلسطينية

نظريات انهيار دولة إسرائيل

وتفسيرات معاصرة للقرآن الكريم

الكتاب: القضية الفلسطينية- نظريات انهيار دولة إسرائيل
وتفسيرات معاصرة للقرآن الكريم
المؤلّف: د. أحمد حسين الرفاعي (دكتوراه في الدراسات الإسلامية)

الطَّبعة: الأولى (2019م/1440هـ)

دراسة

د. أحمد حسين الرفاعي

القضية الفلسطينية

نظريات انهيار دولة إسرائيل

وتفسيرات معاصرة للقرآن الكريم

بيروت – لبنان

(1440هـ/2019م)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾

[الإسراء: 104]

إهداء

إلى المطاردين في أرض الإسلام، يقاسون غربة الإنسان والمكان، كالقابضين على الجمر

أهدي هذا العمل المتواضع

(الباحث)

المقدمة

الحمد لله الذي نزل القرآن ليكون للعالمين نذيراً، الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، جعل القرآن هداية للناس، نزل به الروح الأمين على قلب مُحَمَّد ﷺ بلسان عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، تكفل الله بحفظه، وتعبدنا بتلاوته، وتدبرنا آياته ومعانيه، فيه تقويم للسلوك، وتنظيم للحياة، جعله الله منهاجاً للأمة، أفراداً وجماعات، وإن من أعظم ما يُخدم به هذا الدين تفسير كلام الله ﷻ، وتوضيحه واستخراج ما جدّ من معانيه مع تغير الزمان والمكان.

لقد شاء الله تعالى، أن نشهد عصراً تحكمه أنظمة الحكم المادي في كل قاراته وأقطاره، وأن نعيش عالماً يتقلب بين أصابع صهاينة اليهود، أو يتلوى حسب أطماعهم ويتلون وفق رغباتهم، أو يتوجع مع أهوائهم وشهواتهم، عالماً انشغلت به العيون البشرية وانبهارها بالعناوين اللامعة البراقة وإن كانت في حقيقتها ناراً محرقة، وتسابُق أنظمة الأرقام المجردة عن احترام إنسانية الإنسان، يأكل القوي فيه الضعيف، وتنهش عقله جرثومة (العولمة) للسيطرة على كل أجزائه، وتعطيل الإسلام فكراً وعملاً عن كل جزء من هذه الأجزاء.

ينصبّ هذا البحث على بيان معالم الطريق الذي يجب أن يسلكه المسلمون المجاهدون في هذه المرحلة من الصراع العالمي لإقامة حكم الله في أرض الله كلها، فاختص الباحث أرض فلسطين لأنها قلب الصراع المعاصر بين المسلمين وغيرهم، وقد مضت سنة الله في خلقه أن تتعرض هذه الأرض للغصب مرات عديدة على مدار تاريخها الطويل، من الآشوريين والكلدانيين والفرس واليونان، والروم والأوربيين (الصليبيين)، ثم المغول والتتار وغيرهم، وفي كل مرة كان يضعف جيل الإسلام، وتهتزّ راية لا إله إلا الله، واستغلال ثروات الأرض وخيراتها، وطمس معالمها الدينية، ونهب خزائن علومها، وتخريب رصيدها الثقافي، إلى أن يبعث الله نفوساً مؤمنة، وجيلاً جديداً مجاهداً، يسترد أرضه، ويقيم حياة الناس على نظام الله وشرعه.

وأخيراً، إن ورثة هذه الأرض الحقيقيين هم الصالحون الذين يقيمون العدل والأمن والأمان فيها على مرّ الزمن، أما إذا انحرفوا وبدلوا وقتلوا وشردوا وأفسدوا، فقد فقدوا هذه الوراثة، لأنهم فقدوا أسبابها، سواء كانوا عرباً أو عجماً، فالوارث الحقيقي هو الامتداد الحقيقي لدعوة إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب، وموسى وداود وسليمان وعيسى ومُحَمَّد، عليهم الصلاة والسلام، ثم تنزل خلاصة هذه الدعوة من فوق سابع سماء، في قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67].

أسباب اختيار الموضوع:

لعلّ أسباباً كثيرة دفعت الباحث لاختيار الكتابة في هذا الموضوع، أبرزها:

1- أن أغلب المفسرين المعاصرين نقلوا تفسير الآيات التي تحدثت عن إفساد بني إسرائيل وعلوّهم، عن سلفهم من المفسرين القدامى، من دون نقدها أو استنتاج تأويلات جديدة تتلاءم مع واقع الأحداث المعاصرة.

2- ازدياد نفوذ اليهود السياسي والعسكري والاقتصادي، وتهديده للسلم المحلي والعالمي.

3- ازدياد هجرة اليهود إلى أرض فلسطين والاستقرار فيها بدوافع دينية.

4- انتظام اليهود باقتحام المسجد الأقصى في القدس، وغيره من الأماكن التاريخية في فلسطين، والصلاة فيها مع حماية الحكومة الإسرائيلية.

5- الكشف عن زيف حدود فلسطين المتعارف عليها في العصر الحديث.

6- بيان تحريف اليهود لكتبهم وتاريخهم، وبطلان ادعاء أي حق لهم في فلسطين.

7- أن اليهود ألزموا الشعوب بإتباع عقيدتهم بالقوة والإكراه، فاحتلوا وقتلوا وشردوا بدعاوى دينية باطلة...!

8- بيان أسباب إخفاق مشاريع التسوية السلمية في فلسطين.

9- اعتماد اليهود على مزاعم دينية وتاريخية في احتلال فلسطين.

10- ادّعاء اليهود بأن الله وعدهم هذه الأرض من دون بني البشر.

11- ادعاء اليهود بأنهم حكموا هذه الأرض فترات من الزمن، وأنها حق تاريخي لهم.

12- إخفاق هدف رؤساء دول الغرب في إدماج الدولة العبرية في الوطن الإسلامي.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

1- بيان صدق نبوءات القرآن على مرّ الأزمان وتقلب العصور.

2- توثيق دروس صوتية لعلماء معاصرين في كتاب مرجعي لأول مرة.

3- أنّ تتبع آيات القرآن يكشف ماضي ومستقبل الدولة العبرية وخداع ساستها التاريخي.

4- رؤية التوجيه القرآني حافز حتمي للاستمرار في خيار بذل الجهود والجهاد، والتضحيات والآلام من أجل تحرير فلسطين.

5- القضية الفلسطينية هي عنوان الصراع العربي الإسرائيلي والمنطقة بشكل عام.

6- وهي صراع حضاري بين نظريتين هما: صهيوني عنصري توسعي، وعربية إسلامية عادلة.

7- حقائق القرآن دعوة للثبات والتمسك بالأرض المحتلة، وعدم التخلي عن أي مساحة قلت أو كثرت، طال الزمن أو قصر.

8- بيان أهمية الأرض المحتلة، وموقعها الجغرافي بين قارات العالم.

9- بيان أهمية الأرض المحتلة، وقدسيتها عند العرب والمسلمين وشعوب العالم.

10- الكشف عن طبيعة العدو اليهودي الصهيوني العقدية وعدائه التاريخي.

11- أن مستقبل البقاء على هذه الأرض هو للمؤمن الصالح الذي يقيم العدل فيها، لا للظالم المعتدي الذي يجرّ معه الحملات العسكرية، بقصد الهيمنة والتسلط والفساد.

12- الكشف عن نوايا التحالف الغربي (الأمريكي أوروبي) الذي يهدف إلى تمزيق الأمة الإسلامية وإضعافها، وإبقائها تدور في فلك التبعية للقوى الكبرى.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- التأكيد بأن فلسطين بكل أجزائها، أرض عربية إسلامية تاريخياً.

2- تتبع مفاصل السياق التاريخي للقضية الفلسطينية.

3- مخاطبة الراغبين في الحصول على فكرة عامة دينية مستقبلية عن قضية فلسطين.

4- تحفيز بقاء أهل فلسطين على أرضهم والعمل لاسترجاعها.

5- إبراز أن دين الإسلام هو الدين الذي انسجمت معه فلسطين أطول فترة من تاريخها.

6- التأكيد بأن القضية الفلسطينية لم تكن قضية الفلسطينيين وحدهم، بل هي قضية العرب والمسلمين جميعا في أنحاء العالم.

7- بيان أن فلسطين أرض وقف للمسلمين وأجيالهم إلى يوم القيامة.

8- التأكيد على أن المقاومة المسلحة هي الخيار الوحيد لاسترداد الأرض المحتلة.

9- بناء الإنسان العربي المسلم في أرضه، وزرع حوافز جديدة لمصارعة هذا المحتل.

10- التأكيد على أن تحرير أرض فلسطين نتيجة قرآنية حتمية.

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع إلى مكتبة التفاسير القرآنية أو ما يتعلق بها، لم يجد الباحث- حسب علمه- أية مواضيع أو أبحاث مرتبطة في عمق هذا العنوان سوى القليل، بعضها حملت عناوين جزئية من خصوصيات هذا البحث، وبعضها دراسات وأبحاث ومقالات كتبها أصحابها على تردد واستحياء، وهذا أبرز ما وجده الباحث واستدل به:

1- خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية**، لندن، منشورات فلسطين المسلمة، ط2 (1416هـ/ 1995م).

ومادة هذا الكتاب، هي سلسلة من عدة مقالات نشرها الكاتب في مجلة (فلسطين المسلمة) خلال ثلاث سنوات تحت عنوان: (حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية)، ثم بعد ذلك نشرتها أسرة تحرير المجلة المذكورة، ليسهل على القارئ متابعتها مجموعة في كتاب يحمل الاسم نفسه.

وقد تحدث مؤلف الكتاب عن الأرض المباركة، والأرض المقدسة، كما عرضتها آيات القرآن، ثم تحدث عن التاريخ الإسلامي لفلسطين، منذ إبراهيم عليه السلام، وهو أول من بنى المسجد الأقصى في القدس، وأن أنبياء وملوك بني إسرائيل أقاموا في فلسطين حكما إسلاميا وليس يهوديا، ثم دعا إلى تبني التاريخ الإسلامي في ذكر أنبيائهم وملوكهم وصالحيهم، واعتباره عمقا لتاريخنا، وإلى محاربة تاريخهم السيئ، الذي يعتمد على التحريف والكذب، ثم ذكر الكاتب آيات قرآنية في ثلاث سور، وهي: آل عمران والأعراف والإسراء، وقد طبّق هذه الآيات على واقع الكيان اليهودي المعاصر المقام على أرض فلسطين، استخلص منها بأن اليهود يسيرون بخطى سريعة نحو حتفهم وهلاكهم، وقد ركّز الكاتب طويلاً على آيات من سورة الإسراء، وخصّ بالذكر الآيات التي تتحدث عن إفسادَيْن كبيرين لليهود، مرجّحاً بأن الإفساد الأول قد وقع في المدينة زمن بعثة رسول الله محمد ﷺ، وقد أزاله مع أصحابه المجاهدين، وأننا نعيش في هذا العصر الإفساد الثاني لليهود على أرض فلسطين.

2- الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي- الخواطر**، مصر، مطابع أخبار اليوم، (د.م)، (د.ت). (1418هـ/1997م)

يرى المفسر- وهو معاصر- بأن الإفسادين تحققا بعد ظهور الإسلام لا قبله لما قال المفسرون القدامى، وفسر قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الإسراء: 6] قال: أي على المسلمين، فالمسلمون جاسوا ديار اليهود في خيبر، وأقاموا حكم الله تعالى في يهود بني قريظة بالذبح والسبي، وشردوا بقية قبائلهم في بقاع الأرض، ثم دخلوا المسجد الأقصى - أول مرة - بقيادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وفي معنى قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ**﴾ [الإسراء: 7]، قال في معنى (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، وكلمة (وعد) لا تأتي لشيء يسبق الكلام بل لشيء يأتي من بعد ذلك، إذن فلم يكن ذلك في زمان بختنصر، وأن المسلمين سيدخلون المسجد الأقصى بعد احتلال اليهود له في زماننا، حينما ينطبق عليهم مستقبلاً وصف الله تعالى (عباداً لنا).

3- حوى، سعيد (1409هـ/1988م)، **الأساس في التفسير**، القاهرة- دار السلام، الطبعة السادسة، 2003/1424، عدد الأجزاء: (11)، ذكر: إننا نرجح أن التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [الإسراء: 104] أي: من بعد موسى ﴿**لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ**﴾ [الإسراء: 104] كل الأرض متفرقين ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾ [الإسراء: 104] أي: جميعاً إلى فلسطين، وأن هذا النص يحدد أن الإفسادة الآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها: ﴿**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا**﴾ [الأعراف: 168] وأما الإفسادة الأولى فتكون قبل ذلك، ومن المعلوم أن التشتيت الشامل على وجه الأرض لبني إسرائيل إنما كان بعد عودتهم من سبي بابل، فيكون التسليط الأول هو تسليط بختنصر، والتسليط الثاني هو الذي يتوقع الآن.

4- جرار، بسام، **زوال إسرائيل عام 2022م**، لبنان، مطبعة البقاع الحديثة، صدرت في عام 1993/1414... وهي دراسة انتقد فيها الباحث آراء بعض المفسرين القدامى في تأويل الفساد الأول والثاني، بأنهما مضيا وانتهيا منذ قرون، وتساءل الباحث قائلاً: هل خطر في بال أحد المفسرين القدماء أمكانية أن يعود لليهود الضائعين المشردين دولة في الأرض المقدسة؟ ومن سيخطر بباله وقتئذ، أن الإفساد الثاني لم يأت بعد؟ وقال بأن المفسر الحقيقي للنبوءات الصادقة هو الواقع، لأن النبوءات الصادقة لا بدّ أن تتحقق في أرض الواقع.

ويذكر الباحث، بأن لو كانت نبوءة القرآن بالإفسادين قد تحققت كاملة قبل الإسلام، لوجدنا صعوبة في فهم ذلك، ولكنه يرى بأن الإفساد الأول قد تحقق قبل الإسلام، بالقضاء على مملكتي بني إسرائيل في الفترة ما بين 722-585 ق.م، وهما مملكة إسرائيل في الشمال وملكها (يربعام- Yarbaam)، ومملكة يهوذا في الجنوب وملكها (رحبعام- Rahbaam)، وبذا تكون قد تلاشت آثار المملكة التي أسسها داود وسليمان ، على يد قبائل ترجع أصولها إلى أقوام من (الأشوريين والكلدانيين) هاجرت من الجزيرة العربية، وقد أسلم هؤلاء وسكنوا بلاد الشام وأصبحوا اليوم من العرب والمسلمين، ورأى المؤلف بأن الأمر اختلط على بعض المفسرين فقالوا بأن المرة الثانية كانت عام 70م و135م زمن تيطوس وهادريان الروماني، والصحيح- حسب رأيه- بأن الإفساد الثاني يتحقق في مستقبل المسلمين، سيّما وأننا نعيش زمن تحققه.

وحاول الباحث تفسير النبوءة القرآنية الواردة في سورة الإسراء بما ينسجم مع ظاهر النص القرآني، ويتوافق مع الواقع التاريخي، ومستدلاً بعد ذلك، بمسلك جديد يقوم على أساس من عالم الأعداد، يمكن أن نسمّيه (التأويل الرياضي) أو (الإعجاز العددي)، ويغلب على الظن أن الأعداد ستدهش القارئ بما لا يتوقعه، بأن هناك بناء رياضياً مدهشاً يتعلق بالكلمات والأحرف القرآنية، لا يمكن بحال من الأحوال- كما قال- أن يأتي عن طريق الصدفة، أو تحتمل أية أهواء شخصية.

5- مغامسي، صالح، تفسير **آية وقضينا إلى بني إسرائيل**، نشرها موقع ملتقى أهل التفسير، بالإضافة إلى دروس صوتية مسموعة بصوت الشيخ المفسر.

وخلاصة ما ذكره الشيخ المفسّر في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4]، اختلاف العلماء القدامى والمعاصرين في تفسير هذه الآية، منهم من قال بأن الإفسادين قد قضيا وانتهيا قبل الإسلام، ومنهم من قال بأنهم عادوا للإفساد، فسلط الله عليهم رسول الله وأصحابه، ومنهم من قال بأنهم عادوا للإفساد في هذا العصر، فسلط الله عليهم القائد الألماني المعروف (أودلف هتلر) فحرقهم وأبادهم، ومنهم من قال بأن الإفساد الأول وقع قبل الإسلام، فسلط الله عليهم نبوخذ نصر، فقتلهم وسباهم إلى بابل، أما الإفساد الثاني فهو الحاصل اليوم في فلسطين، وسيقهرهم المسلمون، أما الشيخ فإنه يرجح قولاً مغايراً آخر، وهو أن كلا الإفسادين لم يقعا بعد! وأن ما نحن فيه اليوم، من احتلال اليهود لأرض فلسطين هو الإفساد الأول! ثم يُقدّر الله المسلمين إخراجهم من الضفة الغربية فقط! فيعودون إلى تل أبيب، وينصرهم الغرب على المسلمين ويعودوا إلى فسادهم وعلوهم مرة ثانية، ثم ينتصر عليهم المسلمون ويخرجونهم من المسجد الأقصى المرة الثانية والأخيرة، وقد ذكر إشكالات كثيرة على هذه الأقوال.

6- غنيم، مُحَمَّد بن فهد، **زوال إسرائيل عام 2022م بحسب الافتراض**، الأحداث والتداعيات القادمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 2015م، تناول مؤلف الكتاب مختلف تفسيرات سورة الإسراء على اختلافها عند المفسرين القدامى والمعاصرين، فاستعرض تفسيرات العلماء القدامى لقوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4]، حيث قالوا بأن الإفساد الأول والثاني قد وقعا في الزمن الماضي قبل الإسلام، وبعضهم قال بأن التدمير الأول والثاني قد وقعا زمن نبوخذ نصر عام586 ق.م، و(تيتوس-Titus) عام 70م، ولكن في المقابل هنالك أيضاً عدد من العلماء تبنّوا القول بأن الإفسادتين يجب أن تكونا بعد بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ، فقالوا بأن الدمار الأول على الإفسادة الأولى كان زمن إجلائهم عن المدينة إلى الأبد، بعدما نقضوا عهودهم مع المسلمين، وأن الإفسادة الثانية: ﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7] هي في زماننا باحتلال أرض فلسطين والمسجد الأقصى، كما اجتهد بعضهم بأن الدمار الأول حينما فتح الخليفة عمر بن الخطاب بيت المقدس، وتسلم مفاتيحها من بطريرك الكنيسة اليونانية الأرثودكسية حينئذ، وهناك من اجتهد وقال بأن الإفسادة الأولى هي التي نعيشها هذا العصر، أما الإفسادة الثانية ستكون بعد تدمير (دولة) إسرائيل الحالية، بحيث يقوم الدجال وأعوانه في المستقبل ببنائها بشكل أشد قوة، والتي ستنتهي بنهاية الزمان على يد المسلمين بقيادة نبي الله عيسى (عليه الصلاة والسلام)، ورأى المؤلف بأن هذه الاجتهادات والتفسيرات قد تصيب وقد تخطئ، والسبب في ذلك هو الاختلاف في تفسير الإفسادة الأولى لبني إسرائيل، والباحث لا يتناول ما اتفق أو اختلف عليه بين المفسرين على أنها مسلّمات، بل يعمل على ربط ما اتفق وما اختلف عليه من الأدلة لكي يصل إلى قراءة منطقية صحيحة، دون التركيز على جانب واحد دون الجوانب الأخرى، معتمداً في بحثه على ستة محاور ذكرها وهي: المحور الإسلامي، ومحور أهل الكتاب، والمحور الاقتصادي، والمحور العسكري، والمحور السياسي، والمحور الاجتماعي.

7- مسيري، عبد الوهاب، **مقالات ومقابلات منشورة**، موسوعة (اليهود واليهودية والصهيونية)، وهو مفكر وناقد ومترجم مصري، حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي والأمريكي عام 1969م، وهو مؤلف موسوعة (اليهود واليهودية والصهيونية) التي أمضى في إعدادها ربع قرن من عمره، ويُعدّ خبيرا بالشؤون الصهيونية، عمل مدرساً بالجامعات المصرية والسعودية والكويتية، وله رؤية يقينية في نهاية إسرائيل قريباً، وفق معطيات وحقائق نشرها في مقالات عدة، أو حلقات تلفزيونية، معتمدا على مصادر إسرائيلية ويهودية وصهيونية، من دون الاعتماد على مصادر عربية وإسلامية، وموضحاً بأن الطبيعة الوظيفية لإسرائيل تعني بأن القوى الاستعمارية الغربية اصطنعتها للقيام بوظائف تترفع هذه الدول عن القيام بها مباشرة، تنتهي هذه الوظائف والمهام في وقتها المحدد خلال الزمن القريب، ومشيراً بأن الحديث عن نهاية دولة إسرائيل لم يكن محصوراً عند العرب والمسلمين فحسب، بل خلال تصريحات- غير رسمية- لقادة عسكريين أوروبيين وأمريكان، ثم التصريح عن اقتراب نهاية إسرائيل في كبرى الصحف العبرية[1]، ثم بلغت هذه التصريحات ذروتها يوم 2002/8/2م حينما نشرت مجلة نيوزويك عنوان غلافها: هل ستبقى الدولة اليهودية على قيد الحياة؟

8- محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية**، القاهرة، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، 1997م، وخلاصة ما جاء، فقد ذكر في الفصل التاسع من كتابه بعنوان: العلو الإسرائيلي ونهايته، بأن الأحبار كتبوا في توراتهم، أن نبي الله يعقوب (إسرائيل) يدخل في مصارعة حرة مع الله في رؤيا منامية ويغلبه! لا شك، قد بلغ بهم الغرور والكبر غايته.

ولم ينكر الكاتب بأن اليهود فيهم الروّاد والنوابغ في كل فروع العلم والمعرفة والفنون، وفيهم الأنبياء العظام من أولي العزم، وفيهم نيوتن وآينشتاين الذين عاشوا في عصرنا، ولم يكن هذا العلم إلا فضلاً من الله، فماذا فعل بهم علمهم؟ يجيب المؤلف: زادهم كبراً وعلوّاً!

ويذكر المؤلف: وبعد أن أحيا لهم موسى القتيل، وشق لهم موسى البحر، وأغرق فرعون، ونجّاهم من القهر، طالبوا موسى بأن يجعل لهم وثناً! عجلاً يعبدونه! فهم الأعلى وباقي البشر (جوييم-Goys)، أدنى من الحيوانات، وشدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، ولجّوا في عنادهم، وباؤوا بغضب على غضب، هذا تاريخ مقروء ومشهود.

وفي رؤية تفسيره قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا**﴾ [الإسراء: 5]، يقول المؤلف: ليس هؤلاء العباد نبوخذ نصر (بختنصر) ولا تيتوس، كما زعم بعض المفسرين، فهؤلاء لم يجوسوا خلال الديار، بل سحقوا الديار ومحقوها ودمروها، وذلك في زمان السبي البابلي، وإنما هم المسلمون، حينما جاسوا ديار اليهود في

(1) صحيفة (يديعوت أحرونيوت) يوم (2002/1/29م).

خيبر وبني النضير وقينقاع، وكان انتصاراً ولم يكن دماراً، وكان السبب هو تأليب اليهود قبائل العرب، وخيانة اليهود لعهد الأمان، للقضاء على مُحَمَّد ﷺ.

ويرى المؤلف بأن ما يفعلونه في جولتهم الإفسادية الثانية هو عين ما فعلوه في الأولى، من تأليب أمريكا والدول الغربية وحشدها ضد الإسلام، قبل حرب 48م وحرب 67م، هو ما فعلوه قبل غزوة الخندق، ويذكر المؤلف بأن القرآن يختصر ما سوف يحدث، بأنه ستكون هزيمة لإسرائيل في فلسطين، ويدخل المسلمون القدس، ويدمّرون كل ما أنشأت إسرائيل وما عمّرت.

9- ياسين، أحمد، **مجاهد وداعية**، من أعلام الدعوة الإسلامية بفلسطين، وهو المؤسس والقائد والأول لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) حتى استشهاده، ولد في المجدل يوم 28/حزيران/1936م، ثم ارتحل مع أسرته إلى غزة بعد حرب 48م، وتعرض لحادثة في شبابه أثناء ممارسة الرياضة نتج عنها شلل تام، عمل مدرساً للغة العربية وخطيباً، اشتهر في مساجد غزة لقوة الحجة، وجسارته في قول الحق، واستشهد يوم 22/آذار/2004م.

أما عن رؤيته في مستقبل الكيان الصهيوني[1]، بعد مرور خمسين عاماً على قيامها، فقد صرّح هذا خلال لقاء نشرته محطة الجزيرة الفضائية، في برنامج شاهد على العصر، قال بأن دولة إسرائيل قامت على الظلم والاغتصاب، وأي كيان في هذا العالم يقوم على الظلم فإن نهايته تؤول إلى الزوال والدمار، ولو كان يملك القوة، فالقوة لا تدوم لأحد وإن طال الزمن، وضرب مثالاً على الطفل يبدأ ضعيفاً ثم يقوى، ثم يقوى، ثم يعود هرماً ضعيفاً وينتهي، وهكذا حال الدول، فإسرائيل بائدة في الربع الأول من القرن القادم 21، واعتمد في هذه النبوءة على استنتاج من معاني القرآن، فالأجيال تتغير كل أربعين سنة، وأن المرحلة الأولى لبني إسرائيل كانت في نكبة عام 1948م حيث قامت دولتهم، ثم بدأت المرحلة الثانية عام 1987م حيث قامت انتفاضة، وهي بمثابة حرب شعبية، وقتال ومواجهات وتحديات وقنابل، أما المرحلة الثالثة تكون تحديداً عام 2027م، بحيث تكون النهاية، ففي هذا التاريخ تكون إسرائيل غير موجودة، وقال بأن هذا التقييم هو استشفاف قرآني، لأن الله فرض التيه على بني إسرائيل أربعين عاماً في سيناء، لأجل تغيير الجيل المريض المرهق، حين جبنوا وتقاعسوا عن القتال، إلى جيل جديد مقاتل، وكذلك فإن جيل النكبة قد ينتهي، ويتجدد إلى جيل جديد مؤمن مقاتل، جيل التحرير، وحول سؤال عن مستقبل القضية الفلسطينية أجاب بأنه مستقبل صعب، يحتاج إلى جهد وتضحيات، ورغم اليأس الذي يسيطر على الناس إلا أن الله لا يخلف وعدة بالنصر للمسلمين، وقال بأن المركب يسير مع قائده، وقادة العرب والمسلمين المعاصرين ضعفاء متخاذلون.

10- الرفاعي، عدنان، **نهاية إسرائيل في القرآن الكريم**، كاتب ومفكر إسلامي، ولد في محافظة درعا، حصل على شهادة الهندسة المدنية من جامعة دمشق، وعيّن مديراً عاماً في وزارة السياحة والآثار السورية، وهو

---

(1) صرّح هذا خلال لقاء نشرته محطة الجزيرة الفضائية، في برنامج شاهد على العصر، أحمد ياسين، الجزء السابع، www.youtube.com/watch?v=CjpeJ4IOgjQ

من أعلام حركة إصلاح التراث الإسلامي فيها، وله مناظرات وبرامج تلفزيونية، ويمتاز بالمنهج العقلاني، وطرح الأفكار الجديدة التي تُعرض لأول مرة في العالم، ويدعو إلى فهم آيات القرآن بعيداً عن الأهواء والتعصب، وله عدة نظريات معززة بآلاف الأمثلة من الواقع المحسوس، ويرى بأن فهم النص القرآني لا بدّ أن يكون بطريق التعمق في داخل النص القرآني نفسه، فكل نص من نصوصه- كما قال- يحتمل معنى ظاهراً ومعنى باطناً، وأن معاني القرآن تتعمق وتحتاج إلى دراسة وتدبّر[1].

أما عن تفسيره آيات القرآن التي يُستنتج منها نهاية إسرائيل، فهو يرى بأن المرحلة التي تمرّ بها الأمة، هي مرحلة مؤرخة قرآنياً، وأنه يستبعد ما قيل، بأن يكون الدمار الأول والثاني زمن نبوخذ نصر أو تيتوس، وإن كان كذلك، فماذا نسمي الفساد الإسرائيلي في هذا العالم المعاصر، وقد أفسدوا فساداً في فلسطين لا فساد بعده، وعلو علوّا في الأرض كلها لا علوّ بعده، وغير مسبوق، لذا، فقد اعتمد القراءة التاريخية أولا في تأويله، ثم دعّمها بالأرقام العددية، مؤكداً أنها لم تأت عن طريق الصدفة، لأن كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يأتي فيه شيء صدفة، وضرب مثلاً، قال: إن عدد كلمات النص القرآني الذي تحدث عن إفسادي بني إسرائيل في سورة الإسراء هو (75) كلمة، وأن عدد حروف النص الذي تحدث عن الإفساد الأول- معتمداً منهجه على الحروف المرسومة- هو (75) حرفاً، وأن عدد حروف الإفساد الثاني هو (75) حرفاً أيضاً، وفي المقابل، فإن قيام (دولة) إسرائيل كان عام 1948م، وستنتهي عام 2022م، وأن بقاء هذا الكيان هو عدد السنوات بين الرقمين وهو (75) عاماً، ثم يتحدث بعدها- بما يخصّ هذا الأمر- عن قضايا مهمة أخرى كثيرة.

11- نوفل، أحمد، **نهاية وزوال إسرائيل**، هو محاضر ومفكر إسلامي في الجامعة الأردنية، ذكر خلال أكثر من لقاء في محطات فضائية[2]، بأن زوال الكيان الإسرائيلي بات قريباً جداً، مؤكداً بأن ذلك ربما يحتمل سنوات معدودة على الأصابع!

واعتمد الباحث نوفل في طرح نظريته على الحسابات الرقمية، حيث بدأ الحديث بالدفاع عن فكرة الباحث بسام جرار من قبله، وقال بأن الاعتماد على هذه النظرية هو اعتماد على العقل والمحسوس، ويلزمها جهد عقلي وعلمي كبيرين، لا خرافات وخزعبلات كما يدعي البعض، وأن هذا النوع من الإعجاز العددي قد تجاوز الشكوك، وهو حتم! فالقرآن كل شيء فيه بمقدار، في كل حرف وفي كل كلمة!

12- تميمي، أسعد بيوض، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية**، القاهرة، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، 1974م، إمام المسجد الأقصى، ففي حديثه عن الإفسادين واختلاف العلماء القدامى في تفسيرهما، منها قول ابن

---

(1) برنامج المعجزة الكبرى، الحلقة الثامنة، عل فضائية (دريم2) نشرها موقع الذكر للدراسات الإسلامية. www.thekr.net/index.php/2

(2) نهاية وزوال إسرائيل، أحمد نوفل www.youtube.com

عباس بأنهم أهل بابل بقيادة بختنصر (نبوخذ نصر)، وقول قتادة بأنه جالوت الذي قتلهم، فهو وقومه أولوا بأس شديد، وقول مجاهد بأن جاءهم جند فارس يتجسسون أخبارهم ومعهم بختنصر، وقول مُحَّد بن اسحق: إنه سنحاريب ملك بابل، وقيل إنهم العمالقة، وغير ذلك، ثم ذكر المؤلف بأن هذه الآيات مكية، وتتحدث عن إفسادين لليهود وعلو واحد كبير، ويتساءل، هل مضى هذان الإفسادان قبل نزول الآية أم أنهما آتيان؟ يجيب المؤلف بأن اللام في (لتفسدنّ)، واللام في (ولتعلنّ)، هي لام الاستقبال والتوكيد، وقد قرن مع الإفساد الثاني علواً كبيراً! واستنتج المؤلف بأن الإفساد الأول والتدمير الأول لم يمرّا قبل نزول الأيات، وأنهما تحققا مستقبلاً، زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام، حينما جاسوا ديار اليهود في المدينة بالطرد والقتل والسبي، أما الإفساد الثاني المقرون بالعلو الكبير؟ وهو غير مسبوق في التاريخ، فإنه يتحقق في زماننا، فأي فساد وأيّ علوّ لليهود؟ أكبر مما هو حاصل هذا الزمان؟

13- ماضي، مُحَّد إبراهيم، **صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل**، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ميدان السيدة زينب، 1992م.

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه، بأن الصراع بين المسلمين واليهود في عصرنا، قد وصل ذروته، وذلك حين تمكّن اليهود من إقامة دولتهم على أرض فلسطين، وحرقوا المسجد الأقصى، وذكر بأن الصراع المعاصر مع قمة فسادهم واستكبارهم، هو العلو الثاني.

ثم تتبع المؤلف تاريخ هذا الصراع ابتداءً من البعثة النبوية، وذكر في مجمل كتابه، أقوال زعامات دينية وسياسية يهودية معاصرة، لإقامة دولة يهودية من النيل إلى الفرات، وطالب المسلمين في أنحاء العالم، بأن يعلنوا ولاءهم للمشروع الإسلامي، من أجل تحرير فلسطين، ليكونوا من زمرة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ**﴾ [الإسراء: 5]، ثم طرح المؤلف فكرة تجديد خطة إيمانية لتحرير المسجد الأقصى وباقي أرض فلسطين.

ثم يستعرض المؤلف تحت عنوان: البعد الإيماني للأقصى المبارك، الصراع بين اليهود والمسلمين، ويستبشر بالمستقبل لهذه الأرض التي ستشهد مصرع يهود، ففي آية الإسراء الأولى ربط الله تعالى بين المسجد الحرام، وقد كان وقتئذ يملكه الكفار وتملأه الأصنام، بالمسجد الأقصى الذي كان زمن الرومان تملأه الأوساخ والقاذورات، ومن ذلك إشارة للمستقبل المشرق للمكانين.

وفي تفسير معنى الإفسادين في سورة الإسراء، يقول: نتأمل من الإفساد الأول لبني إسرائيل، في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ [الإسراء: 5]، قال: لما فسدوا وعلو علواً كبيراً في زمن البعثة المحمدية، بعث الله عليهم صحابة رسول الله ﷺ، وهم أولو بأس شديد على الكفار، كما جاء ذكرهم في القرآن، فجاسوا خلال ديارهم ذاهبين وجائين لقتلهم، في أطراف المدينة.

أما في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الإسراء: 6]، يرى المؤلف بأن هذا المعنى تحقق بعد زوال الخلافة الإسلامية عام 1924م، فقد ردّ الله الغلبة لليهود الذين تجمعوا في فلسطين، ليفسدوا مرة أخر،

وليعلوا فيها علواً كبيراً، ثم ينصر الله المسلمين عليهم: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: 7]، كما دخله عمر والصحابة الكرام.

أسئلة البحث:

1- إذا كان الفساد الأول والثاني لليهود، وقع في زمن نبوخذ نصر عام 586 ق.م، وزمن تيتوس عام 70م، فماذا نسمي إفسادهم في فلسطين اليوم؟

2- كيف بدأت قصة الصراع التاريخي بين المسلمين واليهود؟

3- هل هو صراع ديني أم تاريخي قديم، أم سياسي معاصر؟

4- هل ملوك بابل وروما: (بختنصر وتيتوس) المتهمان بإزالة إفساد اليهود الأول والثاني، كانوا كفارا أم كانوا من عباد الله الصالحين؟

أم كان القتل والسبي على يد القائد الروماني (تيتوس) عام 70م، والقائد اليوناني (أدريانوسِ- Adrianos)[1] الذي دمر الهيكل الثاني لليهود عام 135م، من عباد الله الصالحين؟

5- وأي ملك من ملوك اليهود قضوا عليه؟ هل كان سليمان؟

6- هل كان إفسادهم الأول والثاني المذكوران، مقرونين بالعلوّ الكبير، كما نشاهده اليوم في فلسطين؟

7- وما هي مظاهر إفسادهم آنذاك؟

8- وعلى يد من كان من قادتهم؟

9- أم كانوا مشردين، سيقوا أسرى وسبايا إلى بابل زمن الفرس؟

10- أو كانوا هاربين من الاضطهاد اليوناني والروماني إلى شتى أنحاء الأرض؟

11- فأين العلو الكبير في هذا؟

12- هل كان في عهد موسى عليه السلام؟ وقد مات قبل دخوله إليها؟

13- أم كان في عهد فتاه (يوشع بن نون) وكان مؤمناً لم يمارس الإفساد؟

14- هل كان في زمن حكم النبي الكريم سليمان في فلسطين، وهل كان حكمه فيها علواً وفساداً في الأرض؟

---

(1) هادريان أو أدريانوس، كان قائداً كبيراً في الجيش الرّومانيّ ما بين 138-117م.

15- هل كان إفسادهم الأول في عهد ملكهم الصالح (طالوت)؟

16- وهل عاد البابليون لتدمير اليهود في فلسطين مرة ثانية؟

17- وأي مسجد دخلوه في فلسطين؟

18- وهل جاء الله بكل اليهود (لفيفا) إلى فلسطين قبل هذه المرة للقضاء عليهم؟

19- وهل جرى كل هذا قبل الإسلام؟

20- هل كان لليهود السابقين كرة أخرى على قوم (بختنصر) البابلي؟ أو (سنحاريب) الأشوري؟ أو (تيتوس) الروماني؟ بعد أن حاربوهم في الماضي وهزموهم؟

21- هل اعتمد المفسرون والمؤرخون القدامى على حديث صحيح واحد؟

22- أم أنهم اعتمدوا إسرائيليات، وروايات وأكاذيب تاريخية لم تثبت؟

23- أم أنهم عاشوا زماناً كان فيه الحكم والسيطرة للإسلام، حيث كان المسلمون أقوياء يحكمون الأرض، بينما اليهود أفراداً قلائل ضائعين؟

24- هل كان أحد هؤلاء المفسرين، يتوقع أو يتخيل في ذلك الزمان، أن يكون لهؤلاء اليهود الضعفاء- ولو بعد مئات السنين- دولة قوية تهزم المسلمين وتذلّهم، وتسلب أرضهم والمسجد الأقصى؟

أسئلة كثير طُرحت، وأسئلة ما زالت تطرح، وهي تنتظر الباحثين للرد عليها في إجابات دقيقة، تتلاءم مع قناعاتهم وقناعات الأمم من أجناس وديانات شتى، وهم يعيشون واقعاً جديداً معاصراً، وأحداثاً تاريخية وسياسية معاصرة، تتعلق باليهود والمنطقة الإسلامية، وتقع أحداثها في بلاد الشام، ومسرحها فلسطين، لعلها تجيب على أكثر هذه الأسئلة.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث على المنهج الاستقرائي والسماعي، معتمداً على دراسة مراجع قديمة وحديثة، وأبحاث ومقالات ومقابلات، ودروس صوتية جديدة ومستجدة، ثم المنهج التاريخي، مستعرضا الحقب التاريخية القديمة، منذ القرن العاشر قبل الميلاد، بدءاً من زمن سيدنا داود وسليمان، معتمداً على الروايات والآثار من مصادر ومراجع صحيحة، بعيداً عن الإسرائيليات والخزعبلات والأكاذيب، ثم المنهج التحليلي والاستنتاجي، حيث إن الباحث أعطى وصفاً إجمالياً ثم تفصيليا لكل حالة منها، في مقابلة التفسيرات اللغوية والدينية والتاريخية، ونقدها واستخلاص نتائج تلاءمت مع أهداف البحث.

الخطوات الإجرائية:

وكانت الخطوات الإجرائية للدراسة على النحو الآتي:

1- جمع المواضيع التي تعرضت لاقتراب فناء حكم بني إسرائيل في فلسطين، وتقسيمها بحسب موضوعاتها إلى فصول ومباحث.

2- ذكر التفسيرات المعاصرة، وآراء المفسرين القدامى وتأويلاتهم، والتعقيب عليها ونقدها إن لزم الأمر.

3- كتابة الآيات القرآنية بخط المصحف الشريف (الرسم العثماني) باللون الغامق، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن بجانب نصّ الآية.

4- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، والحكم على الأحاديث الواردة في غير الصحيحين، وتوثيق ذلك في الهامش.

5- توثيق المسائل والآثار الواردة في البحث من مصادرها مباشرة.

6- ترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث.

7- تسجيل أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال بحثه.

حدود الدراسة:

خُصّت الحدود الزمانية بداية، منذ ظهور فكرة قيام دولة يهودية على أرض فلسطين، في العصر الحديث، وذلك في مؤتمر (بال) في سويسرا عام 1897م، وحتى بدايات القرن الواحد والعشرين.

أما الحدود المكانية، فقد انحصرت بالأرض المباركة- أرض فلسطين على الأخصّ، وهي الوعاء التاريخي الذي جمع أحداثاً كثيرة ومهمة خلال القرن الأخير.

الخطة التفصيلية

الفصل التمهيدي: لمحة حول فلسطين بين الماضي والحاضر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فلسطين- جغرافياً وتاريخياً

أولاً: أصل التسمية

ثانياً: الموقع والمساحة والسكان

الفصل الثالث: سورة الإسراء وتباشير نهاية إسرائيل

وفيه مباحث:

المبحث الأول: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:4]

المبحث الثاني: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء:5]

المبحث الثالث: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:6]

المبحث الرابع: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:7]

المبحث الخامس: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:8]

المبحث السادس: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104]

الفصل الرابع: نبوءات أخرى للدلالة على نهاية الكيان الإسرائيلي

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإعجاز العددي في القرآن

المبحث الثاني: حساب الجمل ودلالاته

المبحث الثالث: نبوءات أخرى

الفصل التمهيدي

لمحة حول فلسطين بين الماضي والحاضر

ويشمل على مبحثين:

المبحث الأول: فلسطين- جغرافياً وتاريخياً

المبحث الثاني: فلسطين والكيان الإسرائيلي

المبحث الأول

فلسطين- جغرافياً وتاريخياً

أولاً: أصل التسمية

تقرأ فلسطين بفتح الفاء واللام، أو كسرهما، أو كسر الأولى وفتح الثانية، وهو الأرجح،[1] ومن المعروف تاريخياً أن كلمة فلسطين هي مشتقة من فلستيا أو بلستيا (Palest) نسبة إلى قبائل البلست، وهم شعوب البحر الذين غزوا المنطقة في عهد فرعون مصر العظيم رمسيس الثالث 1182-1151ق.م، والشعب الفلسطيني الذي سمي (فلستانيز- Palestinians) أو أهل البحار، وقد جاءوا من جزر بحر إيجة، وورد اسمها في النقوش المصرية باسم (ب ل س ت)، وربما أضيفت النون بعد ذلك للجمع، واستوطنوا على الساحل الفلسطيني، وانخرطوا في حياة الشعب العربي في هذه البلاد وأصبحوا جزءاً منهم، فلم يَبْقَ لهم أثر مميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم.[2]

وكانت فلسطين جزءاً من سوريا لا يفصلها عنها حدود طبيعية، أو عامل جنسي أو تاريخي، لذلك لم يفرد لها المؤرخون اسماً مستقلاً، بل كانوا ينسبونها إلى الشعوب والقبائل التي تسكنها، وأهم أسمائها التاريخية[3]:

أ- **أرض كنعان:** نسبة إلى الكنعانيين العرب، وهو أول اسم سميت به.

ب- **فلسطين:** أطلق عليها هذا الاسم اليونان والرومان، نسبة إلى قبائل البالست، الذين سكنوا ساحل البلاد الغربي، ما بين يافا وغزة، فيظهر من ذلك أن تسمية جميع البلاد بـ (فلسطين - Palestine) هو من باب تسمية الكل باسم الجزء.

ت- **أرض الميعاد:** سماها اليهود بذلك، زعماً منهم أن الله وعدهم بها في أسفار التوراة أيام إبراهيم وأبنائه.

ث- **الأرض المقدسة:** يسميها مسيحيو الغرب لقداستها الدينية، وبسبب من ولد فيها وزارها من الأنبياء والرسل.

ج- **بيت المقدس:** ودعاها المسلمون إيلياء القدس، لأنها مهد الأنبياء، ولأن النبيﷺ أسري به إليها.

---

(1) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، 15).

(2) انظر: الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (41). انظر: كيث وايت لام، **اختلاق إسرائيل القديمة** (14). السعد، جودت، **أوهام التاريخ اليهودي** (41).

(3) انظر: برغوثي وطوطح، عمر وخليل، **تاريخ فلسطين** (10-11). انظر: قدح، محمود عبد الرحمن، **موجز تاريخ اليهود** (239-244).

ثانياً: الموقع والمساحة والسكان

أ- الموقع:

في القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام، تقع فلسطين، وهي إقليم صغير، ينحصر بين حدود مائية طبيعية، من الشرق نهر الأردن، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب البحر الأحمر، وهي جسر بين آسيا وإفريقيا وأوروبا، ومحطة اتصال بين الشرق والغرب، تتنازع عليها الأمم القديمة والحديثة، بل كانت ساحة حرب وميدان قتال لهذه الأطراف والقوى كلها، وستكون كذلك في مستقبل الأيام والعصور، لما سيأتي عليها من أحداث عظيمة، والماضي مرآة الآتي.

ب- السكان:

أقدم تاريخ مدوّن لفلسطين، ابتدأ من 3500 ق.م، بشهادة الحفريات المكتشفة أخيرا، وبعد عام 2500 ق.م، تدفق على فلسطين جماعات من سكان الجزيرة العربية والعراق، وعمّروها وشادوا فيها المدن، وأبرز أسماء الشعوب التي سكنوها[1]:

1- **الكنعانيون:** وهم من أصول عربية، أنشأوا فيها (119) مدينة، وحاربهم بنو إسرائيل زمن النبي داود عليه السلام، واحتلوا بلادهم، ولكن بقوا في مساكنهم ولم يغادروها، بدليل نصوص التوراة الكثيرة.

2- **الحثيّون:** من أصول بلاد تركستان، سكنوا بين القدس والخليل نحو سنة 1700 ق.م، ووصل بعض منهم إلى رام الله ونابلس، حاربوا فراعنة مصر الغزاة.

3- **اليبوسيون:** وهم بطن من بطون الكنعانيين العرب، سكنوا القدس (يبوس) وتسمّوا باسمها، احتل داود عليه السلام مدينتهم، وذكرت التوراة أن داود عليه السلام اشترى منهم بيدر أرونة- وهي ساحة المسجد الأقصى الآن- ليبني هناك هيكلا.

4- **الفنيقيون:** وهم أقوام كنعانية، اكتفوا بالساحل من طرابلس وصور وصيدا وبيروت وحيفا، تحالفوا مع سليمان بن داود، وعاونوه في بناء الهيكل.

ت- **الفلسطينيون:** وهم أقوام بحرية ليسوا من أصول عربية كالذين سبقوا، بل يونان ورومان، قدموا من جزيرة كريت وسكنوا ساحل البلاد، امتزج الفلسطينيون بغيرهم من السكان وتسمّت البلاد كلها باسمهم.

ث- الحدود[2]:

([1]) انظر: برغوثي وطوطح، عمر وخليل، **تاريخ فلسطين** (13-20)، انظر: فؤاد حسنين علي، **إسرائيل عبر التاريخ** (5-12).

([2]) انظر: الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، مجلد 1، ط1، بيروت، 1990م، (10).

يحدّ فلسطين من الغرب ساحل البحر الأبيض المتوسط، على طول (224) كم، ثم تعينت الحدود السياسية الحالية في صك الانتداب البريطاني، وبموجب الاتفاق الفرنسي- البريطاني عام 1338هـ/1920م، وكانت توسعة الحدود إلى جهة الشرق، دليل طبيعي على تهيئة البلاد لتقوم عليها (دولة) إسرائيل[1]، وقد بلغت طول الحدود البرية بين فلسطين المحتلة والأقطار العربية المجاورة اليوم نحو (951) كم، توزعت كما يلي: في جهة الشمال، مع سوريا (76) كم، ومع لبنان (79) كم، ومن جهة الشرق مع الأردن (587)كم، ومن جهة الغرب مع مصر (265) كم.[2]

ج- مساحة فلسطين:

تبلغ مساحة فلسطين التي رسمتها وأقرتها السياسة الأوروبية في بداية القرن العشرين، حوالي (27) ألف كم مربعاً، بما في ذلك بحيرة طبريا ونصف مساحة البحر الميت، وقد احتل اليهود عام 1948/1368 (77%) من مساحة فلسطين الكلية، أي (20.700) كم مربعاً.[3]

ح- عدد السكان:

قدّر العثمانيون عدد سكان فلسطين، زمن الحرب العالمية الأولى عام 1333هـ/1914م بـ(689,275) نسمة، كانت نسبة اليهود منهم (8%).[4]

وبعد مرور أكثر من مائة عام من احتلال الكيان، أصدر الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني في شباط عام 2018م، نشرة ذكر فيها التعداد السكاني في فلسطين المحتلة عام 1967م، وفق الترتيب الزمني لكل عشر سنوات، وذكر أن عدد السكان الذين تم عدّهم فعلا عام 2017م، هو (4,780,978) نسمة، بينما ترتفع الزيادة السكانية بنسبة مليون فرد فلسطيني لكل عشر سنوات، وفق الجدول الآتي[5]:

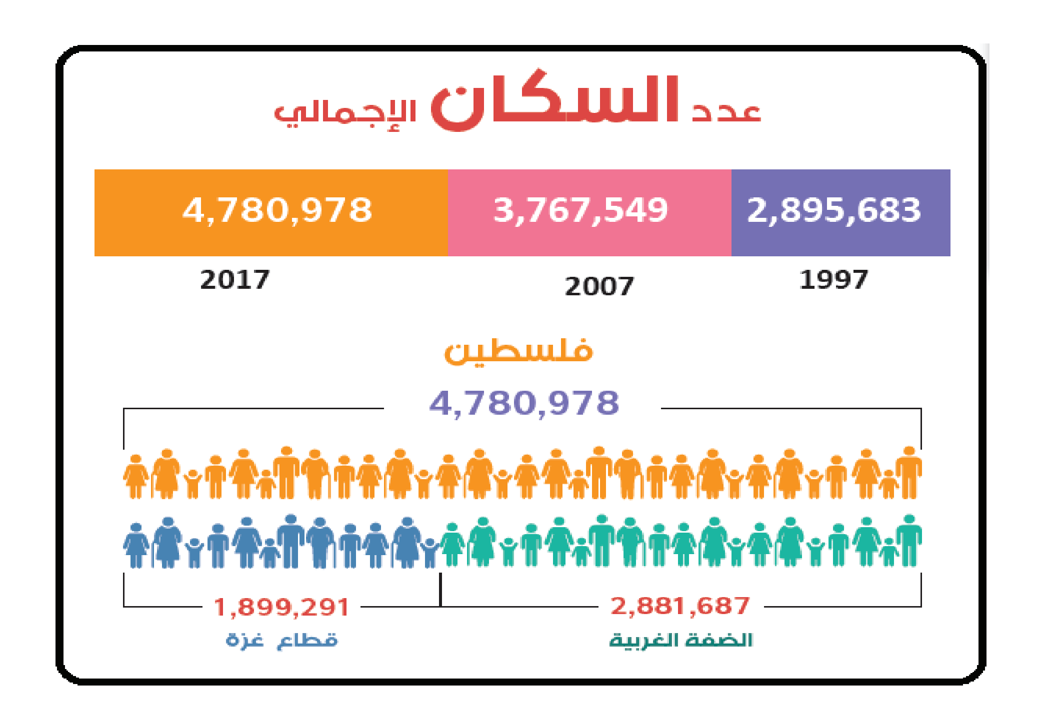
([1]) انظر: الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، مجلد 1، ط1، بيروت، 1990م، (9).

([2]) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، (ج1، ق1، 20).

([3]) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، (ج1، ق1، 15).

([4]) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، (ج1، ق1، 23).

([5]) انظر: موقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت 2017 http://www.pcbs.gov.ps/Downloads/book2364.pdf



وفي بيان آخر جاء فيه: أن عدد السكان الفلسطينيين الذين يعيشون داخل الوطن التاريخي هو (6,34) مليون نسمة، منهم حوالي (2,93) مليون نسمة يعيشون في مدن وقرى ومخيمات الضفة الغربية، وحوالي (1,88) مليون نسمة يعيشون في قطاع غزة، وحوالي (1,53) مليون نسمة، يقيمون داخل الوطن المحتل عام 48[1]، فيكون العدد الإجمالي للفلسطينيين (6,310,978) نسمة، كما بلغت نسبة السكان الحضر (73,9%)، والريف (16,6%)، وفي المخيمات (9,5%)[2]، في حين بلغ عدد السكان اليهود في دولة الكيان (6,6) مليون نسمة عام 2018م[3]، وقد كان في آخر إحصائية نشرت عام 2015م، حوالي (6,1) مليون يهودي[4]، هذا يعني بأن عدد العرب الفلسطينيين داخل الوطن المحتل، ما زال يحتفظ بوجوده وتوازنه مع عدد السكان في كيان المحتلّ نفسه، بالرغم من الحروب الكثيرة، وسياسة التهجير الجماعي، والقتل اليومي والاعتقال السياسي، والطرد والترحيل وهدم البيوت، وإغلاق الشوارع وبناء الجدار العنصري، والتحكم بالحدود الدولية، مقابل الحثّ المستمر والمتواصل على الهجرة اليهودية الجماعية إلى (أرض الميعاد) من شتى أنحاء العالم!.

([1]) انظر: تقرير وكالة معا الإخبارية، رام الله، فلسطين، يوم الأربعاء 2016/12/29م، بالإضافة إلى ما يقارب (5.59) مليون في الدول العربية ونحو (696) ألف في الدول الأجنبية https://www.maannews.net .

([2]) صحيفة الأيام، فلسطين، رام الله، يوم الاثنين 2016/7/11م، http://www.al-ayyam.ps

([3]) انظر موقع (بانيت) الإخباري، موضوع بعنوان **(عدد سكان إسرائيل: 8.8 مليون من بينهم 1.85 مليون عربي)** نشر يوم (2018/4/16) http://panet.co.il

([4]) انظر: صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، يوم الجمعة، 26 يوليو 2015م.

ثالثاً: المناخ والمعالم الطبيعية

أ- المناخ[1]:

تقع فلسطين في إقليم البحر الأبيض المتوسط، ولهذا فإن المناخ الذي يسودها يتألف من فصلين:

1- فصل ممطر، يمتد من شهر تشرين أول حتى أوائل نيسان، وتتراوح كمية الأمطار في أنحاء فلسطين (650) ملم في الشمال، و(350) ملم في الجنوب، ومتوسط درجة الحرارة في فصل الشتاء بين (7-18) درجة مئوية.

2- وفصل جاف، فصل الصيف، ويمتد عادة بين منتصف أيلول إلى منتصف حزيران، ومتوسط درجة الحرارة بين (24-27) درجة مئوية.

ب- المعالم الطبيعية:

تنقسم معالم فلسطين الطبيعية إلى الأقسام الآتية[2]:

1- السهول وتنقسم إلى المناطق الساحلية والمناطق الداخلية، أشهرها: مرج بن عامر[3].

2- المنطقة الجبلية[4]: تتراوح الارتفاعات من (417) متراً تحت مستوى البحر، في البحر الميت، وهي أخفض نقطة على سطح اليابسة على الكرة الأرضية، إلى (1208) متراً فوق مستوى البحر، في قمة جبل الجرمق[5] أو جبل ميرون كما تسميه حكومة الاحتلال.

3- منطقة الغور[6]، وهو انخفاض عظيم- أدنى الأرض- يقع شرق البلاد الفلسطينية، يخترقه نهر الأردن مع بحيراته.

4- وادي العربة[7]: هو ما استطال من الغور إلى خليج العقبة جنوبا، أرضه ملحية حارة، وأمطاره قليلة، يبلغ طوله نحو (180) كم، وعرضه نحو (30) كم، ومساحته نحو (7544) كم مربعاً، وتحيط به جبال قاحلة شامخة.

---

(1) انظر: الموسوعة الفلسطينية (176، 194)، الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، ص37- 38)، جغرافيا فلسطين، **جامعة القدس المفتوحة** (67، 75).

(2) انظر: الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (16-24)، **الموسوعة الفلسطينية** (94، 97، 134) أيضاً: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1 (27-51) انظر: المظاهر الطبيعية في فلسطين، موقع دائرة الثقافة والإعلام، دولة فلسطين، dci.plo.ps

(3) الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1 (52)، **الموسوعة الفلسطينية** (302)، أيضاً: الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (21).

(4) انظر: الموسوعة الفلسطينية، م1، (99، 106، 170، 176)، الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (18-21)، انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1 (46-60)، حسين يوسف وآخرون، **جغرافيا فلسطين** (30-37).

(5) جبل الجرمق: يقع شمالي غربي صفد، دُعي "الجرمق" نسبة إلى "الجرامقة" القبيلة العربية التي تركت منازلها في اليمن، ونزلت شمالي فلسطين في العصور الماضية.

(6) انظر: الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (21-24) انظر: دباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1 (61، 62، 63، 93، 103، 105).

(7) انظر: **الموسوعة الفلسطينية** (107)، الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1 (107-118) الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (23-24) جغرافيا فلسطين، **جامعة القدس المفتوحة** (47-50).

5- مدينة أريحا: تقع في منطقة الغور الفلسطيني، وهي من أقدم المناطق التي سكنها البشر نحو عام 7000 ق.م، وتعتبر أول مدينة في العالم عرفت حتى اليوم.

6- بئر السبع والصحراء الفلسطينية[1]: هو القسم الجنوبي من فلسطين، ذو الشكل المثلث، ويختلف في طبيعته وسكانه عن سائر البلاد، سكانه من البدو الرحل، بلغ عددهم عام 1946/1366 حوالي (97,504) نسمة، وجميعهم من العرب، والمناخ فيه صحراوي، وحرارته مرتفعة صيفاً، وباردة شتاء، تنخفض أحياناً إلى تحت الصفر المئوي.

7- البحار والأنهار[2]: ساحل البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب، وساحل البحر الأحمر من جهة الجنوب، ونهر الأردن[3]: يعتبر ثالث أنهار بلاد الشام طولا (252)كم، والبحر الميت[4]، أو بحيرة لوط، تقع في أعمق نقطة في منطقة الغور، تحيط بها جبال، وتبلغ مساحتها (1050) كم مربعاً، وهي بذلك أكبر بحيرة في بلاد الشام، وتنخفض عن سطح البحر نحو (392) متراً، وهي بذلك أوطأ بقعة تحت سطح البحر في العالم، وبحيرة طبريا[5]، تبلغ مساحتها (165) كم مربعاً، وتنخفض عن سطح البحر (212) متراً، وهي كثيرة السمك، وينابيع الحمّة، تقع في جوار بحيرة طبريا، بالإضافة إلى ما سبق، فهناك أنهار وعيون وجداول صغيرة، تقوى أو تخف وقد تجف، وهي تزيد عن (1500)[6].

رابعاً: فلسطين الأرض المباركة

قَالَ تَعَالَى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: 1]

حصرت آيات القرآن الفعل الماضي (باركنا) في أرض فلسطين وما حولها، وهي من النيل إلى الفرات، حيث ورد فعل (باركنا) ست مرات في القرآن، وجاءت كلها إخبارا عن الأرض المباركة؛ بأن الله هو الذي بارك فيها، ويأتي ذلك على مراحل:

مراحل البركة الربانية التاريخية للأرض المقدسة[7]:

([1]) انظر: الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (20-21)، أيضا: انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، (129-133).

([2]) انظر: **الموسوعة الفلسطينية**، العيون والينابيع (207-211)، الأنهار والسيول (212-224)، البحيرات (228-233).

([3]) **جغرافيا فلسطين**، مقرر جامعة القدس المفتوحة (39).

([4]) الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (22)، الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1 (84). انظر: **الموسوعة الفلسطينية** (109، 114، 135). انظر: **جغرافيا فلسطين، مقرر جامعة القدس المفتوحة (42-44).**

([5]) انظر: الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، (69)، انظر: **الموسوعة الفلسطينية** (115، 228، 230). **جغرافيا فلسطين**، جامعة القدس المفتوحة (41).

([6]) انظر: **الموسوعة الفلسطينية** (207-224).

([7]) انظر: المغلوث، سامي بن عبد الله، **أطلس الأنبياء والرسل** (50-57). انظر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية** (27-49)، البرغوثي وطوطح، عمر وخليل، **تاريخ فلسطين** (25).

أ- إبراهيم، أبو الأنبياء، أقام في أرض العراق، وأمره ربّه التوجّه إلى فلسطين، فأقام في بيت المقدس، وأقام لوط عليه السلام إلى الشرق منها، ثم كانت وفاة إبراهيم عليه السلام في فلسطين، ودفن فيها.

ب-إسحق، ابن إبراهيم عليه السلام، بعد وفاة إبراهيم، أقام ابنه إسحق عليه السلام في فلسطين، وتوفي ودفن فيها.

ت- يعقوب (إسرائيل) عليه السلام، عاش في فلسطين، وتوفي ودفن فيها.(1)

ث- يوسف بن نبي الله يعقوب بن نبي الله إبراهيم عليه السلام، ولد في فلسطين وعاش في مصر ومات فيها، ثم نقل جثمانه إلى فلسطين ودفن فيها.

ج- موسى، ومن نسل يعقوب جاء موسى عليه السلام، عاش زمن الفراعنة في مصر، هاجر إلى فلسطين، وتوفي ودفن فيها، ولم يدخل بيت المقدس.

ح- داود وسليمان، ثم جاء زمن نبي الله داود، ومن بعده ابنه سليمان، وهما من نسل يهوذا بن إسحق عليه السلام، استقرا في الأرض المقدسة فلسطين، في القرن العاشر قبل الميلاد.

خ- عيسى عليه السلام، هو المسيح عيسى ابن مريم، وينتهي نسبه إلى رحبعام بن سليمان، مكان بعثته أرض فلسطين، عاش فيها ورفع منها إلى السماء.

د- محمَّد ﷺ، ثم جاء زمن ظهور آخر الأنبياء محمَّد ﷺ، ولد وعاش في مكة والمدينة، وشاء الله أن يرتبط اسم هذا النبي بالأرض المباركة، فكانت حادثة الإسراء إلى بيت المقدس، والمعراج منها.

ويُستنتج مما سبق أن فعل (باركنا):

1- يصرح القرآن بأن فلسطين هي: ﴿**الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 71].

2- وأن البركة المذكورة في الآيات الست، تشمل المكان والزمان والإنسان.

3- أن بركة الإنسان في هذه الأرض ووراثتها، مقيدة بالإيمان والعمل الصالح، وليست مقيدة بأمة معينة أو جنس بشري، قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105].

وفي هذه الآية رد قرآني على دعاوى اليهود العنصرية، بأن أبقى الله الصلة النَّسَبيّة في الوراثة الإيمانية مع هذه الأرض المباركة، وجعلها لهم وحدهم، منذ إبراهيم إلى قيام الساعة، كما جاء في نص التوراة المحرّفة، كما هي رد

(1) المغلوث، سامي بن عبد الله، **أطلس الأنبياء والرسل** (52).

واضح أيضا على دعاوى الفلسطينيين المتعصبة، فيجعلون منها قضية فلسطينية تخصّ ساكنيها، أو قضية قومية عربية تخصّ العرب وحدهم.

4- أن نواة البركة ومحورها هو بيت المقدس والمسجد الأقصى، ثم تتوسع دوائر هذه البركة، لتشمل الأرض المباركة، الواقعة ما بين نهري النيل والفرات.

5- أن الفعل باركنا جاء بصيغة الماضي، ليدل على الثبات، فالبركة في هذه الأرض ثابتة، لا تزول على اختلاف فترات التاريخ، سواء سيطر المسلمون على هذه الأرض أو الصليبيون، أو غيرهم، أو كما يحصل مع اليهود الآن.

6- أنه مسند إلى الله تعالى دون البشر، فالذي بارك هذه الأرض هو الله.

7- شامل لكل أنواع البركة، الإيمانية والأخلاقية، والتاريخية والاقتصادية، وغير ذلك.

خامساً: المعالم الدينية في فلسطين

فلسطين حافلة بالمباني الدينية والأثرية، وتحتضن مئات الشواهد والمواقع منها:

أ- أبرز المعالم الإسلامية:

1- **المسجد الأقصى**[1]:

قَالَ تَعَالَى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: 1]

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ" قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى" قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ سَنَةً"[2].

فالمسجد الأقصى أو مسجد بيت المقدس، هو البناء الواقع وسط مدينة القدس، في الجهة الجنوبية من الساحة الواسعة، تبلغ مساحته المسقوفة (4500) متراً مربعاً، طوله (80) متراً وعرضه (55) متراً، وأساس قدسيته الدينية هي من موقعه الجغرافي والتاريخي، لا من هندسة بنائه وجمال ألوانه، فالعبرة في المكان لا في البنيان، وستبقى هذه القدسية أبدية كما كانت أزلية، وإن حاول بنو إسرائيل أن يحرقوه أو يهدموه، فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين، وتشد إليه الرحال، ولن يقدر الصهاينة التقليل من هذه القدسية مهما قالوا أو فعلوا.

([1]) انظر: شراب، محمد محمد حسن، **بيت المقدس والمسجد الأقصى** (469-509)، انظر: عرفة عبده علي، **القدس العتيقة**، مدينة التاريخ والمقدسات (29)، (45-51).

([2]) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، الجامع المسند الصحيح (1/ 370).

2- **مسجد قبة الصخرة:** بناء مثمن الشكل، يبلغ طول كل ضلع منه عشرين متراً بارتفاع عشرة أمتار، ونصف الارتفاع العلوي مغشّى بالقاشاني الأزرق، وقد كتبت عليه سورة ياسين باللون الأبيض[1]، وذكر المؤرخون المسجد إبّان الاحتلال الصليبي: "وكان عَلَى رأس قُبَّة الصَّخرة صليبٌ كبير مذهَّب... وكان المسجد الأقصى مشغولا بالخنازير والخَبَث"[2].

3- **مسجد خليل الرحمن:** يتكون المبنى الحالي من جدار ضخم شيّد فوق مغارة، على الطراز المعروف زمن الملك الروماني هيرودوس، باستعمال حجارة ضخمة أطولها (7,5) مترا، وهو بناء مستطيل الشكل، يبلغ طوله نحو (60) مترا، وعرضه نحو (34) مترا، وارتفاعه نحو (16) متراً، أما سمك الجدران فيبلغ نحو (2,7) مترا، ويسمى مسجد خليل الرحمن، نسبة إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي عاش في القرن السابع عشر قبل الميلاد، ويعتبر أقدم بناء مقدس في العالم، ما زال مستخدما حتى اليوم، يضم رفات نبي الله إبراهيم وزوجته سارة، وابنيهما إسحق ويعقوب وزوجتيهما ليقا ورفقا، مما جعل مدينة الخليل الفلسطينية ذات شهرة عالمية.[3]

4- **المسجد العمري:** أو جامع عمر، يقع في الجهة المقابلة من ساحة كنيسة القيامة، حيث رفض الخليفة عمر الصلاة فيها خوفاً من تحويلها إلى مسجد.[4]

ب- المعالم المسيحية في فلسطين[5]:

1- **كنيسة المهد:** تقع كنيسة المهد في مدينة بيت لحم، وهي من أقدم وأهم كنائس العالم، على بعد (30) كم جنوب مدينة القدس، التي يدين أغلب سكانها بالديانة النصرانية، بناها الإمبراطور (قسطنطين- Constantinus) عام 335م، استجابة لطلب الأسقف (ماكاريوس -Makarios)، على مغارة بطول (3) أمتار بعرض (12,2) متراً، يُهبط لها بدرجات حجرية، وفي شرقها تجويف حجري يُعتقد بأنه المكان الذي ولد فيه سيدنا عيسى المسيح عليه السلام.

2- **كنيسة القيامة:** تقع في الحي المسيحي، في الجزء الشمالي الغربي من مدينة القدس، وهي أهم الأماكن الدينية لدى المسيحيين، يحجّ إليها النصارى من جميع أنحاء العالم، وهي عظيمة الزخرفة وتتسع لثمانية آلاف شخص، وقد أنشئت في المكان الذي يعتقد بأن السيد المسيح صلب ودفن فيه، بناها الإمبراطور (قسطنطين- Constantinus) عام 335م، بأمر من أمّه الملكة (هيلانه- Helene).

([1]) انظر: عرفة عبده علي، **القدس العتيقة**، مدينة التاريخ والمقدسات، (48)، انظر: شراب، محمَّد محمَّد حسن، **بيت المقدس والمسجد الأقصى** (487).

([2]) انظر: الذهبي، شمس الدين، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، (26/41).

([3]) انظر: موقع: لجنة إعمار الخليل http://www.hebronrc.ps

([4]) انظر: شراب، محمَّد محمَّد حسن، **بيت المقدس والمسجد الأقصى** (510)، عرفة عبده علي، **القدس العتيقة**، مدينة التاريخ والمقدسات (52).

([5]) انظر: عرفة عبده علي، **القدس العتيقة**، مدينة التاريخ والمقدسات (75-85)، انظر: المغلوث، سامي عبد الله ابن أحمد، **أطلس الأديان** (187، 213)، انظر: شراب، محمَّد محمَّد حسن، **بيت المقدس والمسجد الأقصى** (514-520).

3- **كنيسة الجثمانية:** كنيسة جميلة تقع فوق صخرة الآلام، على بعد مئات الأمتار شرق المسجد الأقصى، حيث يعتقد النصارى بأن السيد المسيح اختبأ فيها وبكى عليها، قبل أن يعتقله الجنود.

سادساً: الحقب التي مرت بها فلسطين

أما أبرز المفاصل التاريخية التي مرّت بها فلسطين، فهي[1]:

1- **بين عام 1,5 مليون سنة- 3200 سنة ق.م:** وهي تسمى فترة العصر الحجري، حيث سكن الإنسان الكهوف والمغارات، واستخدم الأدوات الحجرية، وتنقّل في جمع قوته من الصيد إلى الزراعة وإنتاج الطعام وتربية الماشية.

2- **بين 4000-3000 سنة ق.م:** أستوطن اليبوسيون[2] بقيادة ملكهم "ملكي صادق" مدينة القدس وأسموها "شاليم" وهو اسم إله السلام عند الكنعانيين، ويبوس الذي يُنسب إليه اليبوسيون هو يبوس بن كنعان بن حام بن نوح[3].

3- **نحو عام 3200-1200 ق.م:** وهي تسمى فترة العصر البرونزي، حيث خلط الإنسان معدن النحاس مع القصدير لينتج عن ذلك معدن البرونز، واستخدمه لصناعة الأدوات.

4- **نحو عام 3000 ق.م:** سكن الفنيقيون فلسطين، وهم من القبائل العربية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية.

5- **نحو عام 2500ق.م:** نزل الكنعانيون أرض فلسطين، وسُمّيت المنطقة باسمهم، فأصبحت تُدعى بأرض كنعان، كما ورد هذا الاسم في نصوص التوراة.

6- **نحو عام 1200 ق.م:** نزلت جماعات بحرية، تسمى قبائل (بالست- Palest)، جاءت من جزيرة كريت، واختلطت بالكنعانيين، وأصبحت البلاد تعرف باسمهم.

7- **نحو 1200 ق.م:** كان زمن موسى عليه السلام وقومه، في أرض سيناء بعد خروجهم من مصر، وقد مات فيها دون أن يدخل أرض فلسطين.

8- **نحو عام 1200-586 ق.م:** بدأ الإنسان الكنعاني في فلسطين باستخدام أدوات وأوان مصنوعة من الحديد.

---

(1) انظر: دروزة، محمد عزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم** (18، 122، 207، 208، 381). انظر: عرفة عبده علي، **القدس العتيقة،** مدينة التاريخ والمقدسات (29-39)، انظر: النجار، زغلول، **المؤامرة** (55-89) و(147-180) الدباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين**، ج1، ق1، (10). انظر: قدح، محمود عبدالرحمن، **موجز تاريخ اليهود**، العدد 107، (236-271). انظر: النجار، زغلول، **الإسلام والغرب** (10-16). انظر: الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، (28-95).

(2) اليبوسيون: بطن من بطون العرب الأوائل، نشأوا في صميم الجزيرة العربية، بناة القدس الأولى نحو عام 3000 ق.م، زمن ملكهم (ملكي صادق) وسميت يبوس باسمهم، كان محبا للسلام، ومن هنا جاء اسم المدينة (أورشالم) أي مدينة السلام. انظر: عارف باشا العارف، **تاريخ القدس** (11).

(3) موقع الإذاعة الإسرائيلية باللغة العربية، موضوع بعنوان **من هم اليبوسيون؟** نشر بتاريخ 01/01/2011 www.israelinarabic.com تأريخ-يبوس-واليبوسيون.

9- **نحو عام 1011 - 971 ق.م:** أقام النبي داود عليه السلام أول مملكة لبني إسرائيل في القدس، وهو ثاني ملك على بني إسرائيل بعد طالوت.

10- **نحو عام 965-925 ق.م:** النبي سليمان عليه السلام يقوم بترميم وإعادة بناء المسجد الأقصى "الهيكل".

11- **نحو عام 923 ق.م:** انقسام مملكة إسرائيل التي أقامها داود إلى قسمين، واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب.

12- **نحو 923-721 ق.م:** قيام مملكة إسرائيل شمال فلسطين، وعاصمتها (شكيم- Shakeem) وهي نابلس، وملكها (يربعام- Yarbaam)، قضى عليها القائد الأشوري (سرجون- Sargon)، وسبى سكانها من بني إسرائيل إلى العراق وفارس وكردستان.

13- **نحو 923-586 ق.م:** قيام مملكة يهوذا في الجنوب، وعاصمتها أورشليم وهي بيت المقدس، وملكها (رحبعام- Rahbaam)، حيث سقطت بيد البابليين بقيادة نبوخذ نصّر، الذي خرّب القدس، ودمّر الهيكل وسبى (40) ألفاً من اليهود، بينما ظل سكان فلسطين الأصليين من الكنعانيين وقبائل العرب مستقرين ولم يهاجروا أو يرتحلوا إلى أيامنا هذه.

14- **عام 586 ق.م:** احتل نبوخذ نصر البابلي أورشليم، وأحرق الهيكل ودمّر المدينة، وسبى أهلها اليهود إلى بابل في العراق، وهو ما يُعرف في تاريخ اليهود بالأسر البابلي أو التدمير الأول لهيكل سليمان، وفي هذه الفترة ضاعت التوراة.

15- **عام 70م:** دمّر الإمبراطور الروماني (تيتوس- Titus) هيكل سليمان، المرة الثانية، وقتل وسبى عدداً كبيراً من اليهود، على إثر ثورة قاموا بها.[1]

16- **عام 135م:** دمّر الإمبراطور الروماني هدريان أو (أدريانوس- Adrianos) بقايا هيكل سليمان المرة الأخيرة، ومدينة القدس أورشليم، بسبب ثورة أخرى قام بها اليهود، وبنى مكان الهيكل معبد "جوبيتير" كبير آلهة الرومان، وغيّر اسم المدينة إلى "إيليا كابيتولينا" وتخلص من اليهود بالقتل والتعذيب والنفي، ومنعهم من دخولها[2]، وبعدها تشتت اليهود في جميع أنحاء العالم، وإلى هنا ينتهي تاريخ اليهود كأمّة ذات نسب، وصار العذاب يحلّ بهم أينما حلّوا وارتحلوا، بسبب سلوكهم المنحرف.

---

(1) دروزة، محمد عزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم** (381).

(2) انظر: ظاظا، د. حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي** (36-38). طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام** (152/1)، التل، عبد الله، **خطر اليهودية العالمية** (26).

17- **عام 636م/15هـ:** كانت وقعة اليرموك، حيث انتصرت جيوش المسلمين على الروم البيزنطيين، وتم فتح بيت المقدس والشام كله، وكتب الخليفة عمر عُهده (وثيقة) مع النصارى، حيث اشترطوا عدم السماح لليهود بالدخول إلى أرض فلسطين.

18- **عام 691م/72هـ:** حكم الخليفة عبد الملك بن مروان في القدس، وكانت أهم إنجازاته بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى عام 72هـ/691م، وهما من أعظم آثار الأمويين في فلسطين، وأول مسجد بني في بلاد الشام،[1] وكثرة الْأَقْوَال الْوَارِدَة فِي بِنَاء الْمَسْجِد الْأَقْصَى لَا يُنَافِي الآخر، فَإِنَّهُ يحْتَمل أَن يكون الْمَلَائِكَة أَولا ثمَّ جدّده آدم عليه السلام، ثمَّ سَام بن نوح، ثمَّ يَعْقُوب بن إِسْحَاق، ثمَّ دَاوُد وَسليمَان، فَإِن كل نَبِي مِنْهُم بَينه وَبَين الآخر مُدَّة أَن يجدّد فِيهَا الْبناء الْمُتَقَدّم قبله[2].

19- **عام 750م/132هـ:** بداية حكم العصر العباسي الأول، إلى عام 1258م.

20- **عام 1250-1517م- 648-922هـ:** فترة حكم المماليك لبلاد الشام ومصر.

21- **عام 1099م/493هـ، وتحديدا يوم الجمعة 15 يوليو:** احتل الصليبيون مدينة القدس، وارتكبوا في المسجد الأقصى مذبحة عظيمة، قتلوا فيها عشرات الآلاف من المسلمين، ونهبوا كنوزه، وجعلوا القدس عاصمة لهم، ووضعوا صليباً على قبة الصخرة، وأحالوا المسجد الأقصى إلى اصطبل للخيول، وعمّروا كنيسة القيامة، وأبدلوا بطريرك الكنيسة الأرثوذكسي زمن المسلمين بآخر لاتيني، الأمر الذي يتناقض مع تسامح الخليفة عمر بن الخطاب عندما دخل المدينة.[3]

22- **عام 1187م/583هـ:** كانت الضربة القاسمة في معركة حطين، حيث دخل القائد الأيوبي صلاح الدين محررا، بعد احتلال الصليبيين لهذه الأرض أكثر من (88) سنة، وقد دخل المدينة صلحا وسلما دون إسالة قطرة من دم، أزال الصليب عن قبة الصخرة، ووضع المنبر.[4]

23- **عام 1250م/648هـ:** بداية حكم دولة المماليك، وهي إحدى الدُول الإسلاميَّة التي قامت على أرض الشام، وكان أكثرهُم من التُرك والمغول.

24- **عام 1516م/922هـ:** بقيت القدس تحت سيادة المماليك، وقد حظيت بالاهتمام الديني والتجاري، وازدهرت البلاد، وغدت من أهم المراكز العلمية في ذلك الوقت، وأمر السلطان الظاهر بيبرس 1263م، بترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة.

---

(1) ابن الوردي، عمر بن مظفر، **تاريخ ابن الوردي** (1/ 33).

(2) انظر: أبو اليمن، مجير الدين، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** (1/ 30).

(3) انظر: ابن أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر** (2/ 211).

(4) انظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ** (10/ 38).

25- **عام 1516م/922هـ:** كانت معركة مرج دابق، حيث انتهى عصر المماليك في فلسطين بأكمله، وبداية عصر الإمبراطورية العثمانية.

26- **عام 1517م-1918م:** فترة الحكم العثماني لبلاد الشام، حيث شيّدوا فيها المنشآت، أهمها تجديد سور القدس الذي استغرق بناؤه خمس سنوات، وتجديد قبة الصخرة وكسوتها بالقاشياني الملوّن الفاخر، من الداخل والخارج.

27- **عام 1616م/1025هـ:** كانت أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود، أصدره السير الإنجليزي (هنري فنش- Henry Finch).[1]

28- **عام 1896م/1314هـ:** أصدر الصحفي اليهودي (ثيودور هرتسل-Theodor) Herzl كتابه الدولة اليهودية، ودعا إلى مؤتمر بازل (Bazel) بسويسرا عام 1897م، حضره زعماء وحاخامات اليهود من جميع أنحاء العالم، وتقرر فيه اختيار فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود!.

29- **عام 1901م/1319هـ:** عرض (هرتزل-Theodor Herzl)[2] على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، رشوة مالية ضخمة مقابل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، فرفض، وقام بطرده.

30- **عام 1909م/1327هـ:** تأسيس مدينة تل أبيب، التي أصبحت فيما بعد عاصمة الكيان الإسرائيلي.

31- **عام 1909م/1327هـ:** تمكن الماسونيون اليهود من الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وعزله بانقلاب عسكري، وتولي حزب الاتحاد والترقي للسلطة الفعلية في تركيا.

32- **عام 1902م/1320هـ:** اقترح المؤرخ الأمريكي (أ. ت. موهان- A.T.Mohan) تعبير (الشرق الأوسط) بدل الشرق العربي، لتبرير وجود مكان لليهود في المنطقة.

33- **عام 1916م/1335هـ:** التوقيع على اتفاقية (سايكس- بيكو -sykes-picot) بين فرنسا وبريطانيا على اقتسام الدول العربة الواقعة شرق البحر المتوسط، واستيلاء بريطانيا على ميناء حيفا وعكا في فلسطين، وحق روسيا في الدفاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين، كما يخضع الجزء الباقي من فلسطين لإدارة دولية.

34- **عام 1917م/1336هـ:** وبالتحديد 2 نوفمبر، أصدر وزير خارجية بريطانيا (بلفور- Arthur Balfour) وعده الشؤوم، الذي ينصّ على منح اليهود حق إقامة وطن قومي في فلسطين، على أساس المقولة الكاذبة، بأنها أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

([1]) انظر: طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام** (194/2).

([2]) صحفي يهودي نمساوي مجرى، يعتبر مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة، وحركة تأسيس وطنٍ قومي لليهود.

35- **عام 1920م/ 1339هـ:** التوقيع على اتفاقية عُقِدت في مدينة (سان ريمو- San Remo) الإيطاليّة، وسميت باسمها في التاسع عشر من نيسان من عام 1920م، وعقدها المجلس الأعلى للحلفاء؛ حيث تمّ في تلك الاتفاقيّة مُباحثة شروط الصُّلح مع تركيا، بالإضافة إلى رسم مستقبل المنطقة العربيّة المبنيّ على التّجزئة والانتداب، وقد كانت قراراتها مُجحِفةً وظالمةً بحقّ العرب.

36- **عام 1920م/1339هـ:** أصبح البريطاني (هربرت صموئيل-Herbert Samuel) أول مندوب سامي بريطاني في فلسطين، كما عيّن (نورمان بنتوتش- Norman Bentwic) مستشاراً قضائياً للحكومة، مع تولي عدد من المناصب الكبرى، وقد عملا على تمكين اليهود من الاستيلاء على فلسطين.

37- **عام 1924م/1343هـ:** تمكن مصطفى كمال أتاتورك، عميل الغرب، من إلغاء الخلافة العثمانية.

38- **عام 1929م/1348هـ:** كانت بداية الصراع الميداني، حيث تحدى اليهود المسلمين، واحتشد الآلاف من شبابهم وشاباتهم، ومشوا في شوارع القدس، حتى إذا وصلوا حائط البراق الذي يسمونه (حائط المبكى) حيث رفعوا علمهم وأنشدوا النشيد الوطني اليهودي بحماسة، وعلت أصواتهم بالهتاف: (الحائط حائطنا، الويل لمن يدنس أماكننا المقدسة) ما أدى إلى وقوع ثورات واضطرابات كثيرة ومستمرّة وقتئذ حتى يومنا.

39- **عام 1947م/1367هـ:** يوم 12/31، مذبحة بلدة الشيخ، ارتكبها عصابات (الهاجاناه- Haganah)، أدت المذبحة إلى مصرع نحو (600 شهيد)، غالبيتهم داخل المنازل.

40- **عام 1948م/1368هـ:** يوم 4/10، مذبحة دير ياسين، عصابات (شتيرن- Shtirin) و(الأرغون- Argon) و(الهاجاناه- Haganah)[1] داهمت القرية الساعة الثانية فجرا، أطلقوا النار والقنابل داخل المنازل لتدميرها على من فيها، استشهد 360 شخص، تم تدمير القرية بالفعل وأنشأوا مكانها مستعمرة إسرائيلية تسمى اليوم "جفعات شاؤول".

41- **عام 1948م/1368هـ:** يوم 15 مايو، أعلن (ديفيد بن جوريون- David Ben Gorion)[2] قيام دولة يهودية على أرض فلسطين، بعد إعلان بريطانيا انتهاء الانتداب.

42- **عام 1967م/1387هـ:** احتلال اليهود القدس الشرقية وباقي أرض فلسطين التاريخية، من النهر إلى البحر، وصحراء سيناء المصرية، وهضبة الجولان السورية، سعياً وراء تحقيق الحلم الصهيوني اليهودي بما يُسمّى "إسرائيل الكبرى" من النيل إلى الفرات.

43- **عام 1963م/1383هـ:** بابا الفاتيكان يصدر من مجمع الفاتيكان العالمي قرارا بتبرئة اليهود من دم المسيح.[1]

([1]) أسماء عصابات، مثلت الذراع العسكري للمنظمة الصهيونية على أرض فلسطين، قبل إعلان دولة إسرائيل في عام 1948.

([2]) أحد المؤسسين الأوائل لـ(دولة) إسرائيل، وهو أول رئيس وزراء إسرائيلي (1948 - 1953)

44- **عام 1973م/1393هـ:** تمكنت الجيوش العربية من تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي، وتحقيق الانتصار في حرب تاريخية، وانهيار الحلم اليهودي بإقامة مملكة في (أرض الميعاد) التوراتية.

45- **عام 1978م/1399هـ:** اجتاح اليهود لبنان، واحتلت منطقة الجنوب، وقتلت وشرّدت عشرات الآلاف، حتى وصلت العاصمة بيروت عام 1982م.

46- **عام 1987م/1408هـ:** تحديداً يوم 8 كانون أول، اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى، وسميت انتفاضة الحجارة، كونها الأداة فيها، وكانت بسبب القهر وإهانة الشعور القومي والديني الذي يمارسه الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة، سقط فيها (1200) شهيداً، و(160) إسرائيلياً، توقفت نهائياً مع توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993م.

47- **عام 1990م/1411هـ:** مذبحة المسجد الأقصى يوم الإثنين 10/8، حاول يهود من (جماعة أمناء جبل الهيكل) وضع حجر الأساس للهيكل الثالث في ساحة المسجد، وقد هبّ نحو خمسة آلاف من أهالي القدس المسلمين لمنعهم، أطلق جنود الاحتلال الرصاص دون تمييز، استشهد (21) شخص، وجرح (150)، كما اعتقل (270).

48- **عام 1991م/1412هـ:** وتحديدا يوم 30 أكتوبر، عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، بالعاصمة الإسبانية "مدريد" وذلك برعاية أمريكا وروسيا ومصر، لوضع حدّ للصراع العربي الإسرائيلي، نتج عنه مصالحة فلسطينية إسرائيلية، بإقامة حكم ذاتي فلسطيني على مساحة (22%) من مساحة فلسطين الكاملة.

49- **عام 1994م/1415هـ:** تحديداً وقت صلاة فجر يوم الجمعة 2/25، وقعت مذبحة الحرم الإبراهيمي، دخل اليهودي (باروخ جولدشتاين- Baruch Goldstein) وانتظر حتى سجد المسلمون، وأطلق سلاحه الرشاش، وآخرون يساعدونه في تعبئة الذخيرة، وقعت (350) إصابة داخل وخارج المسجد، منهم (50) شهيداً.

50- **عام 2000م/1421هـ:** تحديداً في 28 سبتمبر، اندلعت الانتفاضة الثانية بسبب دخول رئيس الوزراء الإسرائيلي وقتئذ (أرئيل شارون- Ariel-Sharon)[2] إلى المسجد الأقصى، برفقة آلاف الجنود، واستمرت نحو خمس سنوات، سقط فيها (4412) شهيداً، و(48,322) جريحاً، كما سقط (1069) قتيلاً إسرائيلياً، و(4500) جريحاً، وعطب (50) دبابة من نوع (ميركفا- Merkav) ، وعدد من المركبات العسكرية، توقفت عام 2005م.

([1]) انظر: عبد الوهاب، أحمد، **إسرائيل حرّفت الأناجيل والأسفار المقدسة** (21-25).

([2]) رئيس وزراء إسرائيل سابق للحكومة الإسرائيلية، عاش ما بين (1928- 2014م) .

المبحث الثاني

فلسطين والكيان الإسرائيلي

أولاً: أصل التسمية: إسرائيل، اليهود، العبريون[1]

أ- إسرائيل- معناه عبد الله- هو نبي الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، يدلّ على هذه التسمية، ما ورد في سفر التكوين: "وَقَالَ لَهُ اللهُ: "اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ". فَدَعَا اسْمَهُ "إِسْرَائِيلَ"[2].

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب الإثني عشر سبطاً، حيث أقام الإخوة في مصر عند أخيهم يوسف، وهناك تكاثروا وتناسلوا، وأنبياء بني إسرائيل كلهم من نسل إسرائيل، مثل موسى وهارون وداود وسليمان، وإلياس واليسع وذي الكفل، ويحيى وزكريا وعيسى، وإسرائيل (يعقوب) عاش قبل نزول التوراة على موسى بأكثر من خمسمائة عام.

ب- أما اليهود، فهم المتبعون لشريعة التوراة، من بني إسرائيل وغيرهم من البشر، وهذا المصطلح أعمّ من بني إسرائيل[3]، واختلف في أصل هذه التسمية على أقوال منها:

1- "الْيَهُودُ مِنَ الْهَوَادَةِ وَهِيَ الْمَوَدَّةُ أَوِ التَّهَوُّدُ وَهِيَ التَّوْبَةُ؛ كَقَوْلِ مُوسَى عليه السلام: ﴿**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف: 156] أَيْ: تُبْنَا، فَكَأَنَّهُمْ سُمُّوا بِذَلِكَ فِي الْأَصْلِ لِتَوْبَتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ فِي بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ".

2- وَقِيلَ: " لِنِسْبَتِهِمْ إِلَى يَهُوذَا أَكْبَرِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ عليه السلام ".

3- أو "لِأَنَّهُمْ يَتَهَوَّدُونَ، أَيْ: يَتَحَرَّكُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ التَّوْرَاةِ"[4].

ت- وكلمة (العبرانيون) مرادفة لبني إسرائيل، وتسمى لغتهم العبرية، وقد اختلف في هذه التسمية على أقوال منها:

---

(1) انظر: قدح، محمود عبدالرحمن، **موجز تاريخ اليهود**، العدد 107 (239-244).

(2) سفر التكوين، إصحاح (35) فقرة (10)

(3) انظر: قدح، محمود عبد الرحمن، **موجز تاريخ اليهود** (238-242).

(4) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (1/ 285).

أنها نسبة إلى (عابر) أو (عيبر) وهو الجد الخامس لإبراهيم، بدليل النص كما ورد في سفر التكوين: "وَعَاشَ شَالَحُ ثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ عَابِرَ. وَعَاشَ شَالَحُ بَعْدَ مَا وَلَدَ عَابِرَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ"[1].

أو نسبة لـ(أَبْرَامَ- Apram) وهو رسول الله إبراهيم عليه السلام، الذي عبر نهر الفرات أو نهر الأردن، كما ورد في سفر التكوين: "فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ"[2]، وكما ورد في قاموس الكتاب المقدس[3].

ومن أجل إضفاء البعد الديني، استغل اليهود في هذا الزمان اسم إسرائيل في مرحلة قوتهم المعاصرة، وأقاموا دولتهم في فلسطين وأطلقوا عليها اسم (دولة) إسرائيل، وأطلقوا هذا الاسم أيضاً على مؤسساتهم ورموزها، مثل بنك إسرائيل، وعلم إسرائيل، وصوت إسرائيل، ويعنون بذلك أنهم مرتبطون بنبيّ الله إسرائيل عليه السلام، وأنهم على دينه، وأنهم ورثته وأبناؤه، ومن ثمّ فإن الله راض عنهم، ومؤيد لهم، وهم بذلك يستهمّون المشاعر الدينية والروحية في نفوس اليهود في العالم ليهاجروا إلى هذا الكيان، وليستثمروا ما لديهم من الطاقات والقدرات، فخاطبوا أفرادهم خطاباً دينياً توراتياً، واستخرجوا كل الطاقات الكامنة لدى هؤلاء الأفراد، وسخّروها في بناء كيانهم، لذا، كان من الأولى بالمسلمين في هذا الزمان، عدم ذكر كلمة (إسرائيل) على هذا الكيان ومسمياته في المؤسسة الإعلامية بشتى أشكالها، واستبدالها بلفظ يهود، فيُقال: دولة الكيان اليهودي وعلم اليهود وجيش اليهود وبنك اليهود.

ثانياً: الصهيونية والماسونية

أ- الصهيونية و(بوتوكولات- Protocols) صهيون:

"اشتقتّ كلمة الصهيونية من اسم جبل صهيون في القدس"[4]، وهي حركة سياسية عنصرية متطرفة، ظهرت أواخر القرن التاسع عشر، لتعبر عن رغبات الشعب اليهودي وطموحاته في العصر الحديث، وتهدف إلى هجرة يهود العالم إلى (أرض الميعاد) وإقامة دولة لليهود في فلسطين، تكون عاصمتها القدس، وإعادة بناء هيكل سليمان فيها، ثم إقامة دولة عظمى تحكم من خلالها العالم كلّه[5].

ففي عام 1897م، عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرا، والهدف منه إقرار خطة إستراتيجية شاملة ومتكاملة للسيطرة على العالم، في وثائق سُمّيت بوتوكولات صهيون، وقد استطاعت سرقتها سيدة فرنسية هي مدام (K)، ثم وصلت هذه الوثائق إلى مكتب (أليكسي نيكولافيتش- Aleksey Nikolayevich) أحد

([1]) سفر التكوين، إصحاح (11) فقرة (14-15).

([2]) سفر التكوين، إصحاح (14) فقرة (11).

([3]) وينسب اسمهم إلى عابر، أحد أجداد إبراهيم الذي أتى بهم إلى فلسطين وقد منحهم اللقب الكنعانيون، إذ سموا إبراهيم أبرام العبراني، بعد أن عبر نهر الفرات إلى فلسطين. **قاموس الكتاب المقدس**، دائرة المعارف الكتابية المسيحية، شرح كلمة العبرانيون.

([4]) الحمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية** (105).

([5]) انظر: مسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (16/ 4) بترقيم الشاملة آليا.

أعيان روسيا القيصرية، فترجمها ونشرها بالروسية سنة 1902م، ثم ترجمت هذه البروتوكولات إلى اللغات الأخرى.[1]

ومن الأهداف أيضاً، العمل على تحطيم العقائد، والحطّ من قدر رجال الدين، للقضاء على الأديان عند الأغيار[2]، كل ذلك بهدف تغيير خريطة العالم الذهنية، وإقامة حكومة يهودية عالمية على أرض الميعاد، بزعامة ملك من نسل داود وسليمان،[3] وقد نتج عن هذا السلوك المختلّ كراهية شديدة لليهود في شتى أنحاء العالم، أينما حلوا وارتحلوا، وقد صدق (ليون بنسكر-Lion Binsker)[4] حينما يقول ساخراً: إن من يدعي أن الشعب اليهودي ليس شعب الله المختار فهو أعمى، فهذا الشعب مختار للكراهية العالمية من كل الشعوب التي تختلف فيما بينها كثيراً، ولكنها تتفق على شيء واحد وهو كراهية اليهود.[5]

ب- الماسونية:

يتكون اسم الماسونية من ثلاثة مقاطع (فري ماسون ري- Free Mason Ry) وتعني جمعية البنائين الأحرار، وهي مؤسسة يهودية من بدايتها إلى نهايتها، وغايتها بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وورد في دائرة المعارف اليهودية ما يلي: "لغة الماسونية الفنية وإشاراتها ورموزها وطقوسها كلها يهودية"، وجاء في دائرة المعارف الماسونية الأوروبية: "يجب أن يكون كل محفل ماسوني على نمط الهيكل اليهودي"[6].

فالماسونية حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح خامات التلمود، في مراحل الضياع السياسي، فأخذ الحاخامات على عهدهم إقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية.[7]

والماسونية واحدة من أهم وأذكى وأخبث عمليات اليهود ضد بني الإنسان، ذلك أنها اعتمدت، ومنذ النشأة المبكرة على الدقة والضبط والعمل المنظم، كما اعتمدوا على جملة أفكار منها: نقاء الجنس اليهودي، واصطفاء اليهود من دون البشر، لكن الخطير والشر المستطير في هذا التنظيم اليهودي هو ضرب المسيحية نهاراً جهاراً، استهدافا للقضاء على مقومات الإسلام وصرفهم عن عقيدة التوحيد.[8]

([1]) انظر: الأمير، د. بهاء، **الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون** (42-43)

([2]) وردت كلمة الأغيار والأمميين، والجوييم، وهي تعني جميع البشر من غير اليهود.

([3]) انظر: الأمير، د. بهاء، **الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون** (44-45).

([4]) ليون بنسكر: طبيب وناشط صهيوني، ومؤسس وقائد حركة محبي صهيون، حاول معالجة القضية اليهودية على أساس قومي وليس على أساس ديني.انظر: موقع الحوار المتمدن.

http://.wwwm.ahewar.org/s.asp?aid

([5]) انظر: حسن، مُحَمَّد خليفة، **الحركة الصهيونية** (87)

([6]) أبو حبيب، مُحَمَّد ناصر، **القوة الخفية الماسونية** (8، 9).

([7]) انظر: طعيمة، صابر، **الماسونية ذلك العالم المجهول** (11).

([8]) انظر: طعيمة، صابر، **الماسونية ذلك العالم المجهول** (5-6).

ثالثاً: التوراة: تعريف

التوراة، كلمة عبرية تعني الينبوع، ولكنها استخدمت بمعنى الشريعة، أو التعاليم الدينية، وهي ذلك الكتاب السماوي الذي أنزله الله تعالى على رسوله وكليمه موسى، في طور سيناء، لهداية بني إسرائيل، وتغطي أسفار التوراة الخمسة الحالية فترة من التاريخ، تبدأ مع بدء الخليقة، وتنتهي بوفاة موسى على جبل نبو في شرق الأردن، أي حوالي 1300 ق.م[1] وتسمى العهد القديم، ولها نسخ كثيرة[2] أبرزها: النسخة العبرية، وهي المعتبرة والأكثر تداولا هذه الأيام، وعدد أسفارها (39)، والنسخة السامرية، وعدد أسفارها (7) فقط، ويرفض أصحابها بقية الأسفار في الأولى، باعتبارها من وضع البشر، والنسخة اليونانية، وهي المعتبرة عند النصارى الكاثوليك، وعدد أسفارها (39)، وتسمى السبعينية.[3]

وتتألف التوراة في شكلها المعاصر من خمسة أسفار[4] هي:

أ- سفر التكوين، ويقع في (50) إصحاحاً، تتحدث عن بدء الخليقة وقصة آدم، ونوح والطوفان، وينتهي بقصة يوسف واستقرار بني يعقوب في مصر.

ب- وسفر الخروج (50) إصحاحاً، تتحدث عن اضطهاد الفراعنة لبني إسرائيل في مصر، وموسى والوصايا العشر.

ت- سفر اللاوين (27) إصحاحاً، ويسمى سفر الأحبار، شرائع وطقوس كهنوتية، وسرد مسيرة موسى عبر سيناء.

ث- سفر العدد (36) إصحاحاً، يرد فيه عدد الشعب الراحل مع موسى في الصحراء، وعدد المدن والقرى، وتذمر اليهود من أحكام وفتاوى، وعصيانهم وانحرافهم عنها، وغضب موسى عليهم.

ج- سفر التثنية- الاشتراع (34) إصحاحاً، أي إعادة تطبيق الشريعة بعد خروجهم من سيناء إلى فلسطين، وبه تنتهي التوراة المنسوبة إلى موسى.

ومما يجدر بالذكر أن أقدم نسخة مكتشفة للعهد القديم كانت في (كهوف قمران)[5]، وهي لا تمثل العهد القديم كله، واختلفت آراء المؤرخين في تاريخ كتابتها، فمنهم من قال أنها كتبت حوالي (200) سنة قبل الميلاد،

([1]) انظر: ظاظا، د.حسن، **الفكر الديني اليهودي** (13)، أيضاً: الزغيبي، أحمد، **العنصرية اليهودية**، (86/1).

([2]) عبدالوهاب، أحمد، **فلسطين بين الحقائق والأباطيل**، (23)، نقلاً عن دائرة المعارف الأمريكية، طبعة 1959م/1379هـ، (م3/ 623).

([3]) انظر: الزغيبي، أحمد، **العنصرية اليهودية** (93/1).

([4]) انظر: ظاظا، د.حسن، **الفكر الديني اليهودي** (13-17).

([5]) كهوف قمران: اكتشف الرعاة الفلسطينيون منتصف القرن العشرين كهفا جديدا، اعتقد علماء الآثار أنه كان يخفي مخطوطات البحر الميت، وأشارت صحيفة ديلي تلغراف إلى أن المخطوطات التي عمرها نحو (2000) سنة، تعتبر ثاني أقدم مجموعة نصوص توراتية تكتشف على الإطلاق، وهي محفوظة اليوم فيما يعرف بضريح الكتاب المقدس في (متحف

وذهب بعضهم إلى أنها تعود إلى ما بعد الفتح الإسلامي، بينما يجد الباحث أن الفرق الزمني بين هذه النسخة على الرأي الأول وبين زمن موسى يصل إلى ألف عام تقريباً، وبينها وبين سليمان نحو (800) عام، فهل يمكن لهذه النسخة أن تعدّ وثيقة تاريخية موثوق بها؟[1].

رابعاً: التلمود

التلمود أحد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود، وهو النتاج الأساسي للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، يضم داخله وجهات نظر شتى متغايرة تماما، كالشريعة وعلم الغيب والتاريخ والآداب، والزراعة والصناعة، والتجارة والربا والضرائب، والميراث، وأسرار الأعداد والفلك والتنجيم، والقصص الشعبي، ومختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة، لا يكاد يدع للفرد اليهودي حرية الاختيار في حياته العامة والخاصة[2].

وينقسم التلمود إلى جزئين[3] مهمّين:

أ- مَشَناه (Mashanh)[4] وهو الأصل "المتن".

ب- جمارا (Gemara)[5] شرح مشناه.

و(مَشَناه) أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها (يهوذا هاناسي- Yahotha Hanasi)[6] عام 190م، أي: بعد قرن تقريبًا من تدمير تيوتس الروماني الهيكل، أما (جمارا) فاثنان: جمارا أورشليم "فلسطين"، وجمارا بابل.[7]

وللدلالة على أثر الفكر التلمودي المعاصر، ورد في خطاب (بنيامين فرانكلين- Benjamin Franklin)، وهو أحد مؤسسي الاستقلال الأمريكي، أمام الكونجرس عام 1789م، حيث قال: أيها السادة، هناك خطر كبير يتهدّد الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الخطر هو اليهود... ففي أي أرض يحلّ بها اليهود... يعملون على

إسرائيل) بالقدس. انظر: محطة الجزيرة الفضائية، مقال بعنوان: **اكتشاف كهف جديد كان يخفي مخطوطات البحر الميت** (2017/2/10م). http://www.aljazeera.net/news

([1]) انظر: روجيه غاندي، **فلسطين** (374)، انظر: مقالة (**هيكل سليمان حقيقة أم خيال**)، للباحث عثمان سعيد العاني، صحيفة الرسالة، فلسطين، العدد (45) يوم الخميس 14 ذو القعدة 1418هـ الموافق 1998/3/12، (17).

([2]) انظر: أيبش، أحمد، **التلمود، كتاب اليهود المقدس** (26).

([3]) انظر: خان، ظفر الإسلام، **التلمود تاريخه وتعاليمه** (11، 12).

([4]) المشناة: جمعها مشنايوت، وهي كلمة تعني التكرار أو التعليم، وهي التوراة الشفاهية وتفسير تحليلي للتوراة المدوّنة، وتنقسم إلى عدد من التعاليم، مؤلّفها الحاخام (يهودا هاناسي)، قام بتحريرها وتنظيمها في القرن الثاني للميلاد، منذ تدمير الهيكل المقدس الثاني حتى بداية القرن الثالث للميلاد، وتُعتبر مصدراً هاماً فيما يتعلق بطقوس الهيكل المقدس والعادات والتقاليد التي كانت متبعة في تلك الفترة. المصدر نفسه.

([5]) الجمارا: هي النصوص والإيضاحات والتبريرات اللازمة لقبول شرائع المشنا. أيبش، أحمد، **التلمود، كتاب اليهود المقدس** (28).

([6]) يهوذا هناسي: حاخام يهودي في القرن الثاني الميلادي، جمع التقاليد الأربعة ورتبها في (6) أنظمة، مقسّمة إلى فصول ومقاطع. انظر: عقيقي، الأب أميل، **مدخل إلى الأدب الرابيني**، ص (117 – 119)

([7]) انظر: أيبش، أحمد، **التلمود، كتاب اليهود المقدس** (28).

تدنّي المستوى الأخلاقي والتجاري فيها، وعلى مدى تاريخهم الطويل... بل كانوا يعملون على إثارة الأزمات المالية... وهم يبكون على قدرهم ومصيرهم... أعني طردهم من وطنهم الأم (فلسطين)..." [1].

خامساً: هيكل سليمان

ويُسمّى معبد سليمان، أو بيت المعبد الأول، أو (هار هابايت- **har**-habait) أي جبل البيت، أو جبل الهيكل (Temple Mount) أو (هيخال- Haykal) أو (بيت يهوة - Jehovah) أو (بيت همقداش- Hamdash) وفقاً لما جاء في الكتاب المقدس، ولهذا الهيكل منزلة دينية وروحانية خاصة في قلوب وعقول اليهود، فإنهم يزعمون أنه أهم مكان للعبادة، وأن سليمان بناه لهم ولديانتهم.

ما هيكل سليمان؟

الهيكل وجميع مسمّياته، هو البيت الذي بناه النبي سليمان في القدس من أجل العبادة، وأطلق عليه اسم الهيكل، أو بيت الإله، أو بيت الرب، أو المعبد، أو البيت المقدس، وغيرها، كما يسمّي المسلمون مسجدهم بيت الله، أو المسجد، أو الصومعة، أو المصلى، أو الجامع، أو الحرم المكي، أو الحرم المدني، وغيرها، فالهيكل في الكتاب المقدس هو بيت الربّ، (ثم حرّفوا معناه إلى) مسمّى لسكن الربّ حين يهبط من السماء، وليس مكان عبادة، كما جاء في سفر الملوك: "حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ سُلَيْمَانُ: "قَالَ الرَّبُّ إِنَّهُ يَسْكُنُ فِي الضَّبَابِ. إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ بَيْتَ سُكْنَى، مَكَانًا لِسُكْنَاكَ إِلَى الأبد". [2]

وفي الحقيقة هو مسجد، بناه سليمان عليه السلام مكان عبادة وتوحيد الله وطاعته، مع اختلاف المسمّيات، ولم يبنه لهدف عنصري أو طائفي أو قومي، ولم يبنه ليخلد أمجاد اليهود لأنهم شعب الله المختار، أو لأنهم أبناء الله وأحباؤه، كما يزعمون، بل إن جهاد سليمان في دعوة التوحيد، وفتوحاته التي كانت لإدخال الناس في دين الله، تتلاءم فكراً وسلوكاً مع تعاليم الإسلام ومبادئه، ونصوص القرآن وفرائضه، حيث رفض سليمان الأموال والهدايا من بلقيس ملكة سبأ، وهذا المبدأ لا يتلاءم بالمقارنة بأيّ حال، مع دعوة الفكر اليهودي المعاصر، بالتحكم في أرصدة المصارف المركزية في عواصم الدول، أو تعاليم التلمود البغيضة، للسيطرة على العالم وثرواته، وقتل الناس وسلب الأراضي وتشريدهم من أوطانهم، بل هو النقيض تماماً.

وليس هناك كتاب تاريخي موثوق، يثبت للباحث، بناء سليمان معبداً أو هيكلاً بالصفات المذكورة في التوراة، على جبل موريا في بيت المقدس، ومع ما ذكر من وصف هذا المكان في كتب اليهود، إلا أن حقيقة هذا البناء

([1]) انظر: النجار، زغلول، **المؤامرة** (29).

([2]) سفر الملوك الأول، إصحاح (8/12-13).

ما هي إلا شيء آخر، لا يمتّ لليهود بأية صلة، ولا يتعلق بالتاريخ اليهودي، أو يختص ببني إسرائيل بأدنى رابط، بل العكس تماماً، إنما هذا البناء يتعلق بغيرهم من الأمم الأخرى!!

لمحة تاريخية مختصرة:

ورد في تقرير اللجنة الدولية المقدّم إلى عصبة الأمم عام 1930م، وهم قضاة من سويسرا وهولندا منهم: (الياس لوفغرين- Löfgren)، و(شارلس باردي- Sharles Pardi) و(فان كمين- Fan Kameen) و(ستيغ ساهلين- Stig Sahlin)، وباقتراح من بريطانيا، ناب عن فريق اليهود الدكتور مردخاي الياش (Eliash)، والحاخام (موشى بلاو- Moshe Blow)، وجمعية الحاخامين العالمية، والوكالة اليهودية، أما فريق المسلمين فقد كانوا موكلين من قبل المجلس الإسلامي الأعلى، حيث توصلت اللجنة، إلى آرائها وقراراتها هذه بإجماع الرأي، ستُذكر هنا بإيجاز، شواهد أبرز ما جاء فيها[1]:

أولاً: تمّ بناء الهيكل وهدمه مرّتان:

أ- بنى الملك سليمان الهيكل في أورشليم نحو عام 950 ق.م، ووضع فيه التابوت والأحجار، وجعل المكان معبدا لله، وتم تدميره عام 586 ق.م، على يد ملك بابل (نبوخذ نصر)، وسبى أكثر سكانها إلى مدينة بابل في العراق.[2]

ب- أعيد بناؤه في مكانه عام 515-525 ق.م، على يد (زورو بابل) أحد كبار كهنة اليهود، بعد رجوع بني إسرائيل من سبي بابل، بعد مرور نحو (50) سنة، بمساعدة القائد البابلي (كورش)، ثم تجديد بنائه ثم تخريبه على يد الملك (أنطيوخوس الرابع) نحو عام 322 ق.م، بعد قمع الفتنة التي قام بها اليهود، ثم تجديد بنائه على فترات مختلفة.

أعاد القائد الروماني (هيرودوس - Hirodus) بناء هيكل جديد عام 40 ق.م، ثم هُدم على يد القائد الروماني (تيتوس-Titus) عام 70م، ودمّر القدس بأسرها، ولم يبق من الهيكل سوى قسم من حائطه الغربي فقط.

وفي عام 135م، وفي عهد الإمبراطور هادريان أو (أندريانوس- Andrianos) تمّ تدمير المدينة، وطرد اليهود منها، وأقيمت مكانها مدينة جديدة، سميت بـ (إيليا كابيتولينا- Aelia Capitolina)، وبقيت تحمل هذا الاسم حتى دخلها المسلمون في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وصارت تسمى: القدس أو بيت المقدس.

([1]) انظر: تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام 1930م، الحق العربي في حائط المبكى في القدس، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1968م، شواهد من ص (143-9).

([2]) أي أن هذا الهيكل حافظ على وجوده وعظمته مدة أربعة قرون وربع تقريباً.

وخلاصة ما ذكره المؤرخون، أن هيكل بيت المقدس عمّره سليمان بن داود، في القرن العاشر قبل الميلاد، وبقي عامراً حتى خربه بختنصر عام 586 ق.م، وهو التخريب الأول، ثم عمره كورش، بعد عودة بني إسرائيل من سبي بابل، وهي عمارته الثانية، ثم خرّبه الملك أنطوخيوس الرابع نحو عام 322 ق.م، ثم أعيد بناؤه زمن القائد الروماني هيرودوس نحو عام 40 ق.م، وبقي عامراً حتى خرّبه تيتوس التخريب الثاني عام 70م، ثم تراجع للعمارة قليلاً، حتى أجهز عليه الإمبراطور الروماني (أندريانوس- هادريان) عام 135م، الذي هدم مدينة القدس، وطرد اليهود منها، وشردهم في بقاع الأرض، ثم جاء عصر الملك (قسطنطين-Constantinus) وأمّه هيلانه عام 313م، حيث حوّلا مكان البناء إلى مكبّ للنفايات، نكاية باليهود، إلى أن دخله المسلمون عام 637م، حيث عمّره الخليفة عمر بن الخطاب، وهو عمارته الرابعة، ثم خُرّب بعد ذلك، وعمّره الوليد بن عبد الملك، وهي عمارته الخامسة، وهو على ذلك إلى يومنا هذا.[1]

أما الحقيقة، فهي أن سليمان ﷺ، أعاد وجدّد بناء المسجد الأقصى في ذلك الزمان، ليكون معبدا للصلاة، فالنبي داود وسليمان، كانا مسلمين، وقد بنى سليمان، أو جدّد بناء المسجد الأقصى من أجل الصلاة فيه، باختلاف المسميات وقتئذ، إن كانت هيكلا أو معبدا أو مسجدا، شهد على ذلك القرآن وأحاديث الرسول محمدﷺ، ومؤرخو أهل الكتاب والمسلمين على السواء، منهم المؤرخ النصراني ابن العبري[2]، حيث ذكر: "وفي السنة الرابعة من ملكه، شرع سليمان في بناء بيت المقدس، وهو المعروف بالمسجد الأقصى، في جبل الأموريين في أرنان[3]، وعَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ ابْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا..."[4].

وقد أخبرنا الإسلام أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قد بنى المسجد الأقصى أولا، قبل بناء أو تجديد داود وسليمان له، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ، قَالَ: "مَسْجِدُ الْحَرَامِ ثُمَّ بَيْتُ الْمَقْدِسِ"، فَسُئِلَ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ عَامًا"[5]، ففي البداية كان هذا البناء هو المسجد الأقصى، وبقي وسيبقى كذلك، وما جرى ويجري لهذا المسجد على مرّ العصور، هو اختلاف مسمّيات لا أكثر.

([1]) انظر: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، **المختصر في أخبار البشر** (1/ 38-39).

([2]) ابن العبري، أبو الفرج، غريغوريوس يوحنا بن أهارون بن توما الملطي 1243-1286م، مؤرخ، حاز منصب رئيس رؤساء الكهنة في بلاد المشرق، انظر ترجمته في مقدمة كتابه مختصر تاريخ الدول، أيضا الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (5/ 117).

([3]) ابن العبري، غريغوريوس يوحنا الملطي، **تاريخ مختصر الدول** (32).

([4]) ابن ماجة، أبو عبد الله القزويني، **سنن ابن ماجه** (2/ 414)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. أيضا: السندي، نور الدين السندي، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه** (430/1)، وَإِسْنَادُ طَرِيقِ ابْنِ مَاجَهْ ضَعِيفٌ، أيضا: صهيب عبد الجبار، **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد** (17/ 13) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

([5]) ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** (35/ 373)، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وللدلالة على هذه النظرية، تُطرح أسئلة، لماذا يعرف المسلمون أماكن مقدساتهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس، مهما طال عليها الأمد، لماذا يعرف النصارى أماكن مقدساتهم في بيت لحم والقدس والناصرة وطبريا؟ ولماذا لا يعرف اليهود أماكن مقدساتهم؟ لماذا يختلفون ولا يتفقون؟ لماذا يجري التنقيب عليها ولا يجدون شيئاً؟ أم أن القضية مزاجية؟ أم أنها قضية قرارات سياسية وعسكرية؟ وفرض سياسة الأمر الواقع!

الفصل الأول

نظرات قرآنية على مستقبل اليهود في فلسطين

وفيه مباحث:

المبحث الأول: نظرة تفسيرية في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]

المبحث الثاني: نظرة تفسيرية في قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: 90]

الثالث: نظرة تفسيرية في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران: 111]

المبحث الرابع: نظرة تفسيرية في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167]

المبحث الخامس: نظرة تفسيرية في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: 61]

المبحث الأول

نظرة تفسيرية

في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا خَلَا يَهُودِيٌّ قَطُّ بِمُسْلِمٍ إِلَّا هَمَّ بِقَتْلِهِ".[1]

فالعداوة: "بُغض نفسي تجعل صاحبها بعيداً ممن يعاديه، فلا يصله بخير، ولا يقربه بمودة، وقد تحمله على إرادة الشر بالعدو".[2]

أولاً: أقوال المفسرين القدامى

أ- ذكر الماتريدي، تحتمل الآية وجوهًا: تحتمل: أن يكون ما ذكر من شدة عداوة اليهود للذين آمنوا قومًا؛ مخصوصين منهم، وتحتمل: اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله ﷺ وأصحابه هم أشد عداوة لهم، وتحتمل: اليهود جملة، فهو- والله أعلم- على ما كان منهم من قتل الأنبياء وتكذيبهم إياهم، ونصب القتال والحرب مع رسول الله ﷺ والمؤمنين، وما كان منهم من قول الفحش في الله- سبحانه- ما لم يسبقهم أحد بمثل ذلك، ما وصفوا الله ﷻ بالبخل والفقر، وهو قوله- تعالى-: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة: 64]، وقالوا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾ [آل عمران: 181]، وغير ذلك من القول؛ وذلك لشدة بغضهم وعداوتهم وقسوة قلوبهم؛ فعلى ذلك؛ كل من دعاهم إلى دين الله تعالى، فهم له أشد عداوة، وأقسى قلبًا[3].

ب- وذكر أبو السعود: الآية جملةٌ مستأنَفة مَسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود، وعَراقتهم في الكفر وسائرِ أحوالهم الشنيعة، التي من جملتها موالاتُهم للمشركين، أُكِّدت بالتوكيد القسَميّ، اعتناءً ببيان تحققِ مضمونها.[4]

ت- وذكر ابن عطية: وهذا خبر مطلق منسحب على الزمن كله، وهكذا هو الأمر حتى الآن، وذلك أن اليهود مرنوا على تكذيب الأنبياء وقتلهم، ودربوا العتو والمعاصي، ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة، فهم قد لجت عداواتهم وكثر حسدهم، فهم أشد الناس عداوة للمؤمنين.[5]

([1]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (3/ 166) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جدًا.

([2]) الجزائري، أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير** (2/ 4).

([3]) انظر: الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي** (3/ 572).

([4]) انظر: أبو السعود، العمادي محمد بن محمد، **تفسير أبي السعود** (3/ 71).

([5]) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، **المحرر الوجيز، تفسير ابن عطية** (2/ 225).

ث- وذكر ابن كثير: "مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ كُفْرِ الْيَهُودِ عِنَادٌ وَجُحُودٌ وَمُبَاهَتَةٌ لِلْحَقِّ، وغَمْط لِلنَّاسِ وتَنَقص بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ. وَلِهَذَا قَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَسَحَرُوهُ، وأَلَّبوا عَلَيْهِ أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".[1]

ج- وقال النعماني: "مَذْهَبُ اليَهُود الفَاسِد، أَنَّهُ يَجِبُ إيصَالُ الشّرِّ إلى من يُخَالِفُهُمْ في الدِّين بأيّ طريقٍ كان، فإن قَدَرُوا على القَتْل فذلِكَ، وإلاَّ فنهب المالِ والسَّرِقَة، أو بِنَوْعٍ من المَكْرِ والكَيْدِ والحِيلَةِ".[2]

وظاهر الآية، يدل على أن اليهود في غاية العداوة للمسلمين، وقد نبه النص القرآني على أسبقية قدمهم في العداوة، بتقديمهم على الذين أشركوا.

ح- ذكر الثعالبي: "اللامُ في قوله: لَتَجِدَنَّ: لام ابتداءٍ، وقال الزَّجَّاج: هي لامُ قَسَمٍ، وهذا خبر مُطْلَقٌ منسحبٌ على الزمان كلِّه، وهكذا هو الأمر حتَّى الآن، وذلك أن اليهودَ مَرَنُوا على تكذيبِ الأنبياء وقَتْلِهِمْ، ومَرَدُوا على استشعار اللعْنَةِ، وضَرْبِ الذِّلَّةِ والمَسْكنة، فهم قد لَجَّتْ عداوتهم، وكَثُر حَسَدهم، فهم أشدُّ الناسِ عداوةً للمؤمنين".[3]

خ- ويقول السيوطي: "كأنَّ سائلاً سأل: لم تفردت اليهود بعداوة النبي ﷺ؟ فقيل: لأنهم حرفوا اسمه ووصفه من التوراة، وكتموا الحق، وأخذوا على ذلك الرشى".[4]

ثانياً: أقوال المفسرين المعاصرين

أ- قال محمد رشيد رضا: "وَأَنَّ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْغَالِبَةِ عَلَيْهِمْ قَسَاوَةَ الْقَلْبِ، وَالْخِيَانَةَ وَالْمَكْرَ، وَالْكَذِبَ وَقَوْلَ الْإِثْمِ، وَالْمُبَالَغَةَ فِي سَمَاعِ الْكَذِبِ، وَأَكْلَ السُّحْتِ، وَالسَّعْيَ بِالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، وَفِي إِيقَادِ نَارِ الْفِتَنِ وَالْحَرْبِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتَمَرَّدُوا عَلَى مُوسَى، إِذْ أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَقِتَالِ الْجَبَّارِينَ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ بِالتِّيهِ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى أَنَّهُمْ يُوَالُونَ عَلَيْهِمُ الْمُشْرِكِينَ، بِسَبَبِ مَا وَرِثُوهُ مِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ عَنِ الْغَابِرِينَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ عَاقَبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ بِاللَّعْنِ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ، وَبِالْغَضَبِ وَالْمَسْخِ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ فِي زَمَنِ الْبَعْثَةِ وَقَبْلَهُ تُثْبِتُهَا تَوَارِيخُهُمْ وَتَوَارِيخُ غَيْرِهِمْ".[5]

([1]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (3/ 166).

([2]) النعماني، أبو حفص سراج الدين، **اللباب في علوم الكتاب** (7/ 476).

([3]) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن** (2/ 411).

([4]) السيوطي، جلال الدين السيوطي، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار** (3/ 160).

([5]) رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار** (7/ 235).

ب- وذكر الخطيب: ففتش وراء كلّ شر يهبّ على المجتمعات الإنسانية من أي أفق، تجد أن مطلعه اليهود.. قديماً وحديثاً.. اليوم، وما بعد اليوم..[1]، وفي كون اليهود يظلون أشد الناس عداوة للمسلمين، كان في واجب المسلمين بالتعامل معهم على هذا الاعتبار.[2]

ت- قال الآلوسى: "والظاهر أن المراد من اليهود العموم".[3]

ث- ذكر الجزائري: "أما اليهود، فلما توارثوه خَلفاً عن سلف، من إنكار الحق، والوقوف في وجه دعاته، إضافة إلى أن أملهم في إعادة مجدهم ودولتهم يتعارض مع الدعوة الإسلامية".[4]

ج- قال المراغي: أما اليهود فكانوا في أول الإسلام أشد الناس عداوة لأهله، فهم في ذلك كمشركى العرب سواء، ولما عجزوا عن إطفاء نوره بمساعدة المشركين على النبي ﷺ، قصدوا إلى ذلك ببثّ البدع فيه، وتفريق كلمة أهله كما فعل عبد الله بن سبأ من ابتداع التشيّع لعلىّ ﷺ، والغلوّ فى ذلك، وإلقاء الشقاق بين المسلمين، ثم في الفتنة بين علىّ ومعاوية، ولولا ذلك لما قتل أولئك الألوف من صناديد المسلمين، ثم ما كان من منافقيهم من الإسرائيليات الكاذبة التي لا تزال مبثوثة في تضاعيف كتب التفسير والحديث والتاريخ.[5]

فالإسرائيليات خطر عظيم، اندس وسرى في كتب التفسير، فكان خطرًا على ثقافة المسلمين عامة، وعلى كتب التفسير خاصة؛ لأن اليهود كانوا أكثر أهل الكتاب صلة بالمسلمين، وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، كما ذكر القرآن الكريم، وهؤلاء بحكم عداوتهم للإسلام لم تعوذهم الحيل؛ يعني: لم تنقصهم الوسائل، ولا الحيل، ولا الخداع الذي يصلون من خلاله إلى إفساد عقائد المسلمين، فدخلوا الساحة من أكثر من باب: من الكذب، ومن تحريف الكلم عن مواضعه، ومن الكتمان لما أنزل الله، ناهيك عن فرقة منهم تعمدت أن تظهر الإسلام، اعتنقت طائفة منهم الإسلام، ليس حبًّا فيه، ولكن رغبة في القضاء عليه، وتحريفه، وإظهاره أمام الناس بالأساطير والخرافات والأباطيل.[6]

وفي استقراء التاريخ الإسلامي، يُلاحظ أن لليهود دوراً في كل فتنة وحدث يضرّ المسلمين، من خلال الدسائس والتفريق بينهم، منذ بداية الدعوة إلى الوقت الحاضر، ومحاولة إفساد عقيدتهم وأخلاقهم، فالمحققون يجزمون أن اليهود هم الذين أنشأوا التشيع والرفض ابتداء، وزرع بذور الخلاف العقدي منذ فجر التاريخ، إلى

([1]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (4/ 6).
([2]) دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث** (9/ 206).
([3]) طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (4/ 254).
([4]) الجزائري، أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير** (2/ 5).
([5]) انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي** (10/ 104).
([6]) انظر: جامعة المدينة العالمية، مناهج جامعة المدينة العالمية، **الدخيل في التفسير** (69).

احتلال بلاد المسلمين في أرض الشام، وذبحهم وقهرهم، وتأليب الأمم وشعوب العالم، وحكومات أوروبا وأمريكا وغيرها، للاستيلاء على ثرواتهم، ومقومات وجودهم.

ح- ذكر الطيبي: كأن سائلاً سأل، لم تفردت اليهود بعداوة النبي ﷺ دون النصارى؟ فقيل: لأنهم حرفوا اسمه ووصفه من التوراة، وكتموا الحق، وأخذوا على ذلك الرشى، وأظهروا المسبة...[1].

فالعداوة أصلها البغض، وإن عداوة اليهود للمسلمين مستأصلة، وهي أشد من عداوة النصارى، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النصارى، لأنهم كانوا يبغضون أنبياءهم ويقتلونهم، فكيف لا يبغضون المسلمين؟

ثالثاً: أحوال اليهود في المدينة مع الرسول ﷺ:

كان في المدينة وحولها، ثلاث قبائل معروفة من اليهود، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكان بنو قينقاع والنضير حلفاء الخزرج، وكانت قريظة حلفاء الأوس، فلما قدم النّبي ﷺ إلى المدينة هادنهم، ثم نقض العهد بنو قينقاع، ثم بنو النضير، ثم بنو قريظة.

ويُستنتج من استقراءات أحوال هذه القبائل اليهودية الثلاث، وعلاقتها السياسية مع المسلمين في عهد النبي في المدينة، وممارساتها معه، في عدد من النقاط، أبرزها:

أ- إثارة الفتن وتأليب النفوس، منها حادثة شاس بن قيس اليهودي، الذي أرسل فتى من فتيان اليهود يُذَكِّرُ الأنصار بما كان بينهم في الجاهلية، ففعل الفتى حتى كادوا أن يتقاتلوا، فخرج إليهم النبي ﷺ، ونهاهم عن العودة إلى الجاهلية، وذكرهم بالإسلام والحب الذي ربط الله به قلوبهم، فعادوا إلى رشدهم.

ذكر الحجازي: تالله لتجدن أشد الناس عداوة للمؤمنين اليهود، وما ذلك إلا أنهم أهل عناد وجحود، وغمط للحقوق، يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، خاصة أهل العلم ورجال الدين، ولذا نراهم قتلوا الأنبياء بغير حق، وقتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس، ووقفوا مع النبي ﷺ مواقفهم المشهورة، فقد هموا بقتله، وحاولوا ذلك مرارا فسمّوه، وسحروه، وألّبوا عليه القبائل، وكانوا مصدر النفاق والشغب، هذا شأنهم دائما، فهم أهل مكر وخيانة، غلبت عليهم الأنانية وحب المادة، ولؤم الطبع وسوء الصنع.[2]

ب- الحسد والبغض للآخرين، كقول الحجازي اليهودي: لا يغرنّ محمدًا أن غلب قريشًا وقتلهم، لما نصر الله المسلمين على المشركين في غزوة بدر، فلما بلغ رسول الله ﷺ ما قاله، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وحذرهم

([1]) انظر: الطيبي، شرف الدين الحسين، **فتوح الغيب** (5/ 15).
([2]) انظر: الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح** (1/ 550).

من الغدر ودعاهم إلى الإسلام، فقالوا: أما والله لئن حاربتنا لتعلمنّ أنّا نحن الناس، وهذا تهديد واضح للرسول ﷺ بالحرب، وتأكيد لنقضهم للمعاهدة التي بينهم وبينه، ومع ذلك فقد صبر عليهم الرسول ﷺ، وهم أصروا على نقضهم للعهد.

ذكر الواحدي: "إن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين حسدا للنبي ﷺ، وكان ينبغي أن يكونوا أقرب إلى المؤمنين، لأنهم أهل كتاب، يؤمنون بموسى والتوراة، والكفار كانوا يكذبون بهما، ولكنهم حسدوا النبي ﷺ والمؤمنين".(1)

إن شدة العداوة من اليهود، قائمة أساساً على تعصبهم واستعلائهم، وكراهتهم خروج النبوة من غير ولد إسرائيل، ثم على تَرَسُّلِهِم في شهواتهم، ما أدى إلى تمردِهم على الأَنبياء، وتكذيبهم، وقتل المئات منهم في هذا السبيل.(2)

ت- المسّ بالأعراض، وإثارة الفتن الأخلاقية، كحادثة امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع لبيع الذهب، حيث احتال عليها اليهود، وربطوا طرف ثوبها، فلما قامت انكشفت عورتها وأخذوا يضحكون، فاستغاثت المرأة برجل مسلم فقتل اليهودي، وقتل اليهود المسلم، فقامت الحرب بينهما، وحاصر المسلمون اليهود في حصونهم، واستسلموا رعباً وخوفاً، وشفع لهم حليفهم عبد الله بن أُبي بن سلول، واكتفى النبي ﷺ بطردهم من المدينة إلى الشام.

فاليهود اليوم ينشُرون المخدِّرات والمسْكرات، ويُشيعون الفواحش والرَّذائل في أوْساط الشُّعوب، وهم تجَّار الرَّذيلة، وسماسِرة البغاء، ويسيْطِرون على الإعْلام بقنواته الفضائيَّة المتعددة، الَّتي تنشر الأفلام الإباحيَّة الخليعة، وكتب الانحراف الجنسي بين الفتيان والفتيات، بالإضافة إلى المنهج الإباحي الذي كان يسير عليه فتيانهم، وكان ذلك ينتشر بشكل غريب وسريع.

ث- التحريض على الحرب وسفك الدماء، منها حادثة كعب بن أشرف اليهودي، وهو من أغنياء اليهود، لم يكتف بالحزن على قتلى قريش في بدر، بل رحل إلى مكة يعزيهم ويواسيهم، ويؤلبهم على قتل المسلمين، ويشعل نار الفتنة والثأر، وقد تطاول بإيذاء المسلمين مباشرة بهجاء الرسول ﷺ، رغم العهود والمواثيق التي كانت بين اليهود وبين الرسول ﷺ.

---

(1) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** (2/ 216).
(2) انظر: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (3/ 1140).

ذكر الجاوي: مذهب اليهود أنه يجب عليهم إيصال الشر إلى من خالفهم في الدين، بأي طريق كان، فإن قدروا على القتل فذاك، وإلا فبغصب المال، أو بالسرقة، أو بنوع من الحيلة.[1]

وعلى ذلك، فإن نظرة اليهود لغيرهم من الـ(جوييم -Goys)[2]، هي نظرة أو فلسفة شيئية هدّامة، تنافي الأخلاق الإنسانية، وهي التي تسوغ لهم أن العالم ملك لهم بكل من فيه وما فيه، وأن يروا كل من ليس منهم عدواً لهم، فيعملوا على سحقه، بل يستوجبون على أنفسهم هذا، لان (بوتوكولاتهم- Protocols)[3] لا تكتفي بتسويغ جرائمهم، بل تشجعهم على التفنن والإفراط فيها.

ج- محاولة اغتيال الرسول مُحَمَّدﷺ، حين همّ بنو النضير بقتل النبي لما جاءهم إلى بيوتهم يطلب منهم أن يساعدوه بالمال، وكانت عقوبتهم جراء خيانتهم، طردهم من المدينة.

ورد في تفسير القاسمي: لشدة إبائهم، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في إتباع الهوى، وركونهم إلى التقليد، وبعدهم عن التحقيق، وتمرّنهم على التمرّد، والاستعصاء على الأنبياء، والاجتراء على تكذيبهم، ومناصبتهم لهم؛ ولهذا قتلوا كثيرا منهم؛ حتى همّوا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة، وسموه، وسحروه، وألّبوا عليه أشباههم من المشركين، وفي تقديم كلمة اليهود على كلمة المشركين في الآية، إشعار بتقدمهم عليهم في العداوة.[4]

وقد ورد في المسند، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا..."[5].

ح- نقض بنو قريظة العهد مع المسلمين يوم حرب الخندق (الأحزاب)، وتحزيب قبائل العرب، وتأليبهم ضدهم، وكان حكم الله فيهم القتل، وقد أنفذ.

ذكر النخجواني: "ومن جملة خصالهم المذمومة، أنهم كانُوا من غاية غفلتهم وانهماكهم في الضلال، لا يَتَناهَوْنَ ولا يمنعون أنفسهم عَنْ مُنكَرٍ مخالف للشرع فَعَلُوهُ مرة أو مراراً، بعد تنبههم بمخالفته، بل يصرون عليه عناداً واستكباراً" [6].

([1]) الجاوي، مُحَمَّد بن عمر نووي، **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد** (1/ 288).

([2]) هم الأغيار، جميع الأمم من غير اليهود.

([3]) بروتوكولات أو قواعد حكماء صهيون: وثيقة تتحدث عن خطة صهيونية لغزو العالم، والسيطرة عليه من خلال المال والأعمال والإعلام وغيرها من الطرق، تعتمد على العنف والحيل والحروب والثورات والتحديث الصناعي والرأسمالية، وخلق فوضى عامة شديدة تهدد استقرار العالم للسيطرة على الشعوب واستعبادها لتثبيت السلطة اليهودية، وتتضمن 24 بروتوكولاً، وذلك في عام 1901م. انظر: مدونات الجزيرة الفضائية، تقرير بعنوان **(بروتوكولات حكماء صهيون)** يوم (2018/3/7م)
http://blogs.aljazeera.net

([4]) انظر: القاسمي، مُحَمَّد جمال الدين، **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)** (4/ 225).

([5]) ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** (6/ 413). وذكر المحقق في الحاشية: إسناده حسن.

([6]) النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية** (1/ 202).

خ- ونقضوا عهودهم التي أمرتهم بها كتبهم السماوية، حين سفك بعضهم دم بعض، ونقضوا عهودهم مع أنبيائهم، إذ آذوهم وعصوهم، ونقضوا عهدهم الذي أخذ عليهم بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ، عند ظهوره، ونقضوا عهدهم في كل موقف يرون النقض فيه يوافق أهواءهم، ويساير شهواتهم.

إنَّ تاريخ اليهود مع شعوب الأرض على اختلافها وتنوعها، لم يترك وراءه رائحة عطرة، بل فاحت صفحاته بالرائحة الكريهة، وهي تظهر حالهم ونواياهم، فهم-كما يدّعون- سادة العالم من الـ(جوييم-Goys) الأغيار (غير اليهود)، وأن السلامة الأبدية لليهود، بأن يكونوا اليد الخفية التي تحرك العالم! وابتكار أبشع الخطط لاستعباده والسيطرة عليه! وإذلاله أفرادا وجماعات، وانشغال العالم بنفسه للسيطرة عليه! وصياغة خطة يقودها حكماؤهم الأشرار، وحسب الأحوال، لهدم الحكومات، وذلك بإغراء الملوك باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك، بدعوى نشر مبادئ الحرية والمساواة ونحوها، مع تفسيرها تفسيراً خاصاً يستحيل تحقيقه، ونشر الفوضى والإباحية، عن طريق جمعيات سرية وعلنية مختلفة، أهمها فنية ورياضية، وإفساد أنظمة الحكم في العالم جميعا، في تدرج، رغم فسادها في الأصل، إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم.

وقد كان أول مؤتمر لليهود في مدينة بال بسويسرا سنة 1897م، اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أعتى وأخبث حكماء صهيون، برئاسة زعيمهم هرتزل (Hertzl)، وكانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية، محاطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ، لاستبعاد العالم كله، تحت تاج ملك من نسل داود، وصياغة المؤامرة اليهودية على البشرية والعالم، أبرز عناصرها[1]:

أ- وضع اليهود خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع، لمصلحة اليهود وحدهم.

ب- التحريض على الأديان لا سيما المسيحية.

ت- هدم الحكومات في كل الأقطار، والاستعاضة عنها بحكومات ملكية استبدادية يهودية.

ث- إغراء الملوك باضطهاد الشعوب، وإغراء الشعوب بالتمرد على الملوك، بدعوى نشر مبادئ الحرية والمساواة، مع إبقاء كل من قوة الحكومة وقوة الشعب في عداء وخوف دائمين، والاستعانة على تحقيق ذلك بالمال والمناصب...

ج- يكون مقر الحكومة الإسرائيلية في أورشليم أولا، ثم تستقر إلى الأبد في روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية قديما.

([1]) انظر: التونسي، محمد خليفة، **الخطر اليهودي**، بروتوكولات حكماء صهيون (31-34).

ح- إلقاء بذور الخلاف والشغب والفوضى في كل الدول، عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والفنية والرياضية والأندية، مع بقاء الأمة اليهودية متماسكة.

خ- نشر التطرف السياسي والديني، كالاشتراكية والإباحية والفوضوية.

د- يرون أن طرق الحكم الحاضرة في العالم جميعا فاسدة، والواجب زيادة إفسادها في تدرج إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم، لأن حكم الناس صناعة لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود! استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة، وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب الأغيار!

ذ- يجب أن يُساس الناس كما تساس قطعان البهائم الحقيرة.

ر- كل الأمميين حتى الزعماء الممتازين منهم، إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود، يسهل استعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب، أو غيرها...

ز- يجب أن توضع تحت أيدي اليهود، كل وسائل الطبع والنشر، والصحافة والمدارس والجامعات، والمسارح وشركات السينما ودورها، والعلوم والقوانين...

س- أن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام، وإفساد الشبان، والقضاء على الضمائر والأديان، والقوميات ونظام الأسرة، وإغراء الناس بالشهوات البهيمية الضارة، وإشاعة الرذيلة والانحلال، حتى تُستنزف قوى الأمميين استنزافاً، فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود.

ش- وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود، لا على أساس قوة العمل والإنتاج والثروات الأخرى.

ص- إحداث الأزمات الاقتصادية العالمية على الدوام، كي لا يستريح العالم أبداً، فيضطر إلى الاستعانة باليهود، ويرضى صاغراً مغتبطاً بالسلطة اليهودية العالمية.

فاليهود، من أكثر العابثين في الأرض فسادا، وهذا في الحقيقة وصف من أبرز صفاتهم في الماضي والحاضر، ولا نجد في الغالب في هذا الوقت وما قبله، نحلة أو ملة فاسدة، أو مذهباً منحرفاً، إلا لليهود فيه اليد الطولى، فمنذ فجر الإسلام، ظهر ذلك جليا في فساد عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي فجر الخلاف بين المسلمين آنذاك، بظهور الشيعة، وما زالت آثاره باقية في قلب العالم الإسلامي حتى اليوم، وفي عصرنا الحاضر، عاث اليهود فسادا في أرض الشام، باحتلال أراضي المسلمين العرب، والاستيلاء على مقدراتهم، واستباحة الأرواح والأعراض والأموال، بالقتل والتخريب وسفك الدماء، وما زالت ذكرى عصاباتهم الإجرامية كالهاجاناة وغيرها، كابوساً دموياً، يلاحق أحلام الأجيال المتلاحقة، حاضراً ومستقبلاً، والواقع الذي تعيشه الأمة يشهد على ذلك كله.

ولعل ما يتصف به اليهود من قسوة القلوب، واعتدائهم على الخلق، وما يحصُل في فِلَسْطين أكبر شاهد، وهم يواجهون أطفال الحجارة في الأرض المحتلة، بالسلاح والذخيرة الحية، ولا غرو من ذلك، فقد وصفهم الله بقسوة القلوب، عقوبة من الله لهم، على مخالفتهم وكثرة أذاهم، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ [البقرة: 74].

المبحث الثاني

نظرة تفسيرية

في قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: 90]

لماذا غضب الله على اليهود؟

إن ثمة أسباب كثيرة وحقيقية، اتصف بها بنو إسرائيل على مرّ الأزمان، كانت مدعاة، استوجبت غضب الله عليهم، وقد كانوا تميزوا قبل الإسلام بأخلاق وطبائع وصفات تاريخية، لزمتهم كما يلتزم الصبغ على الثوب، وما زالت، وهي السبب في سلوكهم الشائن ومقت الناس لهم، واضطهادهم عبر القرون والأجيال، أبرزها:

الزهو والاستعلاء على الـ(جوييم-Goys) وهم الأغيار من البشر غير اليهود، فهم يعتقدون وما زالوا؛ بأنهم أبناء الله وأحباؤه من دون الناس!

أ- وأنهم شعب الله المختار، حسب ما جاء في تعاليم التلمود، ما نتج عن ذلك الغرور والتعلق بالأماني الكاذبة.

ب- الجبن والحرص على الحياة، وهذا الوصف ورد في القرآن، كما أنه واضح في مشاهد يومية في حياتهم، في شتى أنحاء العالم.

ت- إثارة الفتن، وتدبير المؤامرات بين الأمم لإضعافها، والتسلق على أكتافها، بالسر والعلانية.

ث- الإجرام والإفساد في الأرض، في كل زمان عاشوا فيه، وكل زمان عاصروه.

ج- ثم الغدر ونقض العهود مع الأغيار، بدافع الأنانية وحب الذات.

ح- الصد عن الأديان السماوية، وإحلال أفكار ومبادئ مستحدثة، كالشيوعية والماركسية واللادينية.

خ- قتل الأنبياء والصالحين من قومهم في زمانهم، مما جعلهم ملعونين على ألسنة والرسل.

د- لا يتبعون ما ينفع الناس في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

ذ- الصدّ عن تعاليم الله السماوية، واتباع أهواء وتشريعات تتلاءم مع مصالح ذاتية، أهمها: اغتنام الفرص لجمع المال بشتى وسائل القهر والإجرام الدموي.

ر- يحرفون كلام الله في الكتب المقدسة، ليس جهلا منهم، بل من بعد ما عقلوه، ثم يقولون هذا من عند الله، من أجل إرضاء العوامّ من الناس بفتوى، تتلاءم مع حاجاتهم لكسب الأموال من ذوي الحاجة.

ز- اللؤم والخيانة والخداع والخسّة، يشهد على ذلك صفحات التاريخ المختلفة، ذات الورق الأصفر، ابتداء من روسيا ودول أوروبا الشرقية، إلى أمريكا غربا.

هذه هي الرذائل التي توارثها اليهود جيلا بعد جيل، جعلتهم ملعونين على ألسنة الأنبياء، ومغضوب عليهم من رب العباد.

أولاً: أقوال المفسرين القدامى

أ- ذكر القرطبي في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا﴾ أَيِ انْقَلَبُوا وَرَجَعُوا، أَيْ لَزِمَهُمْ ذَلِكَ".[1]

ب- وقيل: فبَاءُوا بِغَضَبٍ، سَجَّلَتِ الْآيَةُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ... اقْتَرَفَ ذَلِكَ سَلَفُهُمْ، وَتَبِعَهُمْ عَلَيْهِ خَلَفُهُمْ، فَحُقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ... لَحُقَّ عَلَى كُلِّ يَهُودِيٍّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ... فَإِنَّ سَبَبَ مَا نَزَلَ بِالْيَهُودِ إِنَّمَا هُوَ عِصْيَانُهُمْ وَاعْتِدَاؤُهُمْ حُدُودَ مَا شَرَعَ اللهُ لَهُمْ، وَسُنَنُ اللهِ فِي خَلْقِهِ لَا تَتَغَيَّرُ وَأَحْكَامُهُ الْعَادِلَةُ فِيهِمْ لَا تَتَبَدَّلُ... [2].

ت- وقيل: "وَتَنْكِيرُ الْغَضَبِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ نَوْعٌ عَظِيمٌ مِنْ سَخَطِهِ جَلَّ شَأْنُهُ".[3]

ث- وقيل، في قوله: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ﴾ [البقرة: 61] أي: استحقوا الغضب من الله".[4]

ج- وذكر ابن كثير: "مَعْنَى الْكَلَامِ إِذًا: فَرَجَعُوا مُنْصَرِفِينَ مُتَحَمِّلِينَ غَضَبَ اللَّهِ، قَدْ صَارَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ غَضَبٌ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ سُخْطٌ".[5]

ح- وذكر القرطبي في تفسيره، ما أجمع عليه علماء المسلمين: "فَالْجُمْهُورُ أَنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ"[6].

ثانياً: الغضب على اليهود في السنة الشريفة

أ- عن عدي بن حاتم قال، سألت النبي ﷺ عن قول الله جلّ وعزّ "غير المغضوب عليهم، "قال: هم اليهود"[7].

([1]) القرطبي، شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي** (430/1).

([2]) انظر: رضا، محمّد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** (1/ 277).

([3]) رضا، محمّد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** (1/ 275).

([4]) الطبري، محمّد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (2/ 138).

([5]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (1/ 282).

([6]) القرطبي، شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي** (1/ 149).

([7]) الطبري، محمّد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (1/ 186)، حسن غريب.

ب- كما أنهم يقتلون النبيين، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةٌ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلا مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقُتِلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ".[1]

ثالثاً: أقوال المفسرين المعاصرين

أ- ذكر الشيخ الشعراوي في خواطره: وبنو إسرائيل بعث الله لهم أنبياء ليقتدوا بهم فقتلوهم، لماذا؟.. لأنهم فضحوا كذبهم وفسقهم وعدم التزامهم بالمنهج... إذن فغضب الله عليهم من عصيانهم واعتدائهم على الأنبياء وما ارتكبوه من آثام.[2]

ب- وقيل: بأن الآية "عَائِدَةٌ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ"[3]، وهي تعمّ أجيالهم المتعاقبة منذ أن عبدوا العجل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى زماننا، ثم إلى يوم الدين.

ومثل ذلك الجزاء، الذي نزل بالظالمين من بني إسرائيل في الدنيا، فإن الله سيجزي القوم المفترين في كل زمان، فكل مفتر في دين الله جزاؤه غضب الله والذلة في الدنيا.

ت- وذكر قطب في الظلال: بأن ضرب الذلة والمسكنة عليهم، وعودتهم بغضب الله، لم يكن- من الناحية التاريخية- في هذه المرحلة من تاريخهم فحسب، وإنما كان فيما بعد.[4]

ث- وذكر حوى: "ومن ثمّ، فقد فسّر رسول الله ﷺ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ (في الفاتحة) بأنهم اليهود، لأنهم يعرفون الحق ويجحدونه وينحرفون عنه".[5]

ج- وقيل: إن هؤلاء اليهود، بجانب ضرب الذلة عليهم حيثما حلوا، قد صاروا في غضب من الله، وأصبحوا أحقاء به، وضربت عليهم كذلك المسكنة التي تجعلهم يحسون بالصغار مهما ملكوا من قوة ومال.[6]

فاليهود هم اليهود، وهذه طبائعهم في تقلب القرون والأزمان، وحكم الله فيهم ثابت، فإذا عبدوا العجل زمن أجدادهم من دون الله، نالهم غضب الله وسخطه، وقد لعنهم الله وغضب عليهم في مواقع كثيرة من القرآن، وجعل منهم القردة والخنازير، ذلك لأن اليهود لهم أخلاق وصفات تميزوا بها عن غيرهم من الأمم والشعوب، كانت سببا في سلوكهم المنحرف عن طبائع البشر عموما، مما نتج عنه مقت الناس واضطهادهم لهم عبر القرون.

---

(1) الطائي، مُحَمَّد بن علي، أبو الفتوح، **الأربعين في إرشاد السائرين** (ص: 90) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، عَالٍ، مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الأَئِمَّةِ.

(2) انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي- الخواطر** (1/ 368).

(3) ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** (1/ 527).

(4) انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (1/ 75).

(5) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (1/ 185).

(6) انظر: طنطاوي، مُحَمَّد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (2/ 222).

وهذه المعركة التي شنّها اليهود على الإسلام والمسلمين منذ ذلك التاريخ البعيد، ثم لم تهدأ حتى اللحظة الحاضرة، باختلاف الوسائل، لا يتغير إلا شكلها، أما حقيقتها فباقية، وطبيعتها واحدة، وذلك على الرغم من أن العالم كله كان يطاردهم من جهة إلى جهة، ومن قرن إلى قرن، فلا يجدون لهم صدراً حنوناً إلا في العالم الإسلامي المفتوح، الذي ينكر الاضطهاد الديني والعنصريات، ويفتح أبوابه لكل مُسالم لا يؤذي الإسلام ولا يكيد للمسلمين!

رابعاً: الغضب على اليهود في الكتاب المقدس

وبالربط بين حاضر اليهود وماضيهم، يُلاحظ أن أسفار العهد القديم قد احتوت فصولاً كثيرة، طال فيها الشرح عن انحرافات اليهود وآثامهم المتنوعة، وجرائم أخلاقية لم يسلم منها الصالحون والعباد، وأحداث قبيحة لم يسلم منها الأنبياء والرسل الكرام، وذكرت فيها صور بشعة جداً، مما أثار ثائرة المفكرين والناقدين المسلمين، وتنديدات شديدة وحملات عنيفة عليهم بسببها من شتى أنحاء العالم، فاستحقوا بذلك غضب الله وغضب الشعوب.

وهذا تقرير رباني مباشر، بأن الله كتب ذلك على مختلف أجيال بني إسرائيل، الغضب المتواصل من لدن موسى عليه السلام، إلى فترات أنبياء بني إسرائيل المتعاقبة، إلى عصرنا الحاضر، ويشهد على ذلك نصوص العهد القديم في الكتاب المقدس، أبرزها:

أ- يتوعد الرب بني إسرائيل المنحرفين عن أحكام الله وتشريعاته، من الغضب إلى السخط والإبادة، بأن يطحنهم طحنا ويذرّيهم بين الأمم، ويجرّد وراءهم بالسيف، كما جاء في النصّ: "وَإِنْ كُنْتُمْ بِذلِكَ لاَ تَسْمَعُونَ لِي بَلْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ، فَأَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلاَفِ سَاخِطًا... وَأُذَرِّيكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، وَأُجَرِّدُ وَرَاءَكُمُ السَّيْفَ"[1].

ب- وفي مشهد آخر أشدّ تأثيراً، خاطب موسى ربّه معاتبا له، وذلك بسبب غضبه على شعب إسرائيل، وقراره الحكيم بالقضاء عليهم، بالقتل والفناء عن وجه الأرض كما ورد في النص التوراتي: "فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: "لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ"؟"[2].

ت- ثم راجياً التراجع عن هذا الغضب، ودعوة الرب للندم عما يفعل، ونسبة الشرّ لذاته الإلهية، بما لا يتلاءم مع أخلاق الأنبياء، حيث ورد: "اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ".[3]

---

(1) سفر لاويين، إصحاح (26) فقرات (27-33).

(2) سفر الخروج، إصحاح (32) فقرات (11-12).

(3) سفر الخروج، إصحاح (32) فقرات (12).

ث- ثم ما لبث النص أن يعاود هذا الغضب، ويؤكده من تلقاء نفسه للذات اليهودية، في التعرض للذات الإلهية بما لا يليق بها، في صورة حقيرة وكريهة وغير مقبولة لدى صاحب الفطرة السليمة، حيث يقول: "فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ".[1]

ج- وقد وصفهم الإنجيل بالخراف الضالة، وقال فيهم عيسى عليه السلام: يا أولاد الأفاعي، وتوعّدهم بالغضب الآتي، ولن ينفعهم التنادي بالآباء والأجداد الأنبياء، كما ورد في النصّ المقدّس: "قَالَ لَهُمْ (أي يسوع): "يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَب الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. وَلاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَبًا"[2].

ح- كما أن الربّ غضب غضباً شديداً على بني إسرائيل، في سفر الخروج، حينما عبدوا العجل، بدليل النص: "فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "... قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ... زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ... وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى:...فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ"[3].

خ- وفي نصّ آخر من موقع آخر، يعود غضب الربّ مرة أخرى: "وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ"[4].

كل هذا الغضب من الله، وهذا السخط، نتيجة المواقف والانحرافات الدينية والأخلاقية التي كانوا وظلوا يرتكبونها، بما في ذلك قهر الشعوب أينما حلوا وارتحلوا، وقدر ما استطاعوا، وتكذيب الأنبياء وقتلهم، وعصيان أوامر الله وعدوانهم على خلقه، ليكون هذا الغضب المتراكم؛ عقاباً ربانياً ملازماً لهم طوال الدهر، يشاهده بنو الإنسان جيلا بعد جيل، منذ آلاف السنين. فقد سلّط الله عَلَيْهِم الآشوريين والفراعنة المصريين، والبابليين واليونانيين و(البطالسة-Ptolemies)[5] المصريين الوثنيين، ثمَّ الرومان الوثنيين والنصرانيين قَدِيماً وحديثاً لقرون عديدة، ثمَّ سلط الله عليهم المسلمين، فأجلى الرسول ﷺ بني قينقاع وَبني النَّضِير عَن الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة، وَقتل بني قُرَيْظَة، وَحَارب يهود خَيْبَر حَتَّى استسلموا لَهُ، ثمَّ أوصى بإخراجهم بالكلية من جَزِيرَة الْعَرَب، وتشتيتهم إلى أنحاء الأرض، وَفِي الْعَصْر الحَدِيث، كان غضب الرب قد وقع على اليهود فِي الدول الأوروبية وَغَيرهَا من بلاد العالم.

---

[1]) سفر الخروج، إصحاح (32) فقرات (14).

[2]) إنجيل متى، إصحاح (3)، فقرة (7-8) وإصحاح (12) فقرة (34) وإصحاح (23) فقرة (33) وإنجيل لوقا، إصحاح (3) فقرة (7).

[3]) سفر الخروج، إصحاح (32) فقرات (7-10).

[4]) سفر صموئيل الثاني، إصحاح (24) فقرة (1).

[5]) البطالسة (Ptolemies) أسرة ملكية حكمت مصر، بعد وفاة الإسكندر المقدوني، من عام 323 إلى عام 30 قبل الميلاد. أسسها بطلميوس الأول. انظر: **تفسير الكتاب المقدس**- العهد القديم- القمص تادرس يعقوب.

ويظهر من هَذِه الْأَمْثِلَة والنماذج، بأن اليهود قد باؤوا بغضب على غضب، غضب الرب المتتابع فِي كل الْبِلَاد الَّتِي نزلُوا بهَا، وأَنهم تعرضوا لنقمة أهل الْبِلَاد الَّتِي سكنوها في أغلب العصور، يَسْتَوِي فِي ذَلِك تاريخهم الْقَدِيم والوسيط والْحَدِيث والمستقبل أَيْضاً، إلى يوم القيامة، حسب الْوَعيد الإلهي، وَسيكون ذَلِك على يَد الْمُسلمين إن شَاءَ الله كَمَا وَردت بذلك الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة، عَنْ عبد اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "تُقَاتِلُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عبد اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، فَاقْتُلْهُ".[1]

كما أن غضب الربّ على اليهود، لم ينحصر معناه في نصوص نظرية وحسب، بل تعدّاها إلى الممارسة العملية، باختلاف الأزمان والعصور، القديمة والحديثة، حيث تعرّض اليهود لاضطهاد عرقي وكراهية دينية في أوروبا- في العصور الوسطى- وصلت في أثناء الحروب الصليبية إلى شنّ حملات بغرض القضاء على اليهود، بوصفهم قتلة المسيح، كما أن عدداً من المذابح ارتكبت بحقهم من قبل المسلمين، بعضها في الأندلس في القرن الثاني عشر، وهدم معابدهم في البلاد العربية كمصر وسوريا والعراق واليمن، في القرن الثامن عشر، وفي أوروبا الوسطى، ظهرت موجة جديدة من كراهية اليهود، واستخدم مصطلح معاداة السامية لأول مرة أواسط القرن التاسع عشر، وفي النصف الأول من القرن العشرين، اتُّخذت كراهية اليهود بعداً جديداً، تمثّل في طردهم من مجتمعات أوروبا الوسطى، ثم وصلت المعاداة ذروتها قبل منتصف القرن العشرين، إلى إبادة اليهود في ما يعرف بالمحرقة (الهولوكوست- holocaust)[2]، وفي أمريكا الشمالية، قام المسيحيون بحملات ضد اليهود، وفي روسيا أيضاً رُبط اليهود بمؤامرات للسيطرة على العالم مثل الماسونية وبروتوكولات حكماء صهيون.

كما إن غضب الله على اليهود، له أصول في الأديان السماوية، بسبب كراهية الشعوب على اختلافها، لهذا النوع من البشر، ما أدى لازدراء بني إسرائيل واليهود كجنس بشري وأصحاب ديانة مزيفة ومحرفة، ذلك بسبب معتقدات وممارسات، نتج عنها كراهية قومية عرقية فكرية، وصراعات بين هؤلاء بالشعوب المجاورة، أدت إلى اضطهادهم، على مدى فترة تفوق الثلاثة آلاف سنة، وما زالت مستمرة حتى اليوم.

يَقُول المؤرخ الْيَهُودِيّ (مكاريوس- Makarios)[3]: "إِلَى هُنَا- أي عام 135م- يَنْتَهِي تَارِيخ الإسرائيليين كأمة، فَإِنَّهُم بعد خراب أورشليم تفرقُوا فِي جَمِيع بِلَاد الله، وتاريخهم فِيمَا بَقِي من العصور، مُلْحق بتاريخ الممالك الَّتِي توطنوها أَو نزلُوا فِيهَا، وَقد قاسوا فِي غربتهم هَذِه صنوف الْعَذَاب وَالْبَلَاء... وَمَعَ تشتتهم فَإِن الْعَذَاب كَانَ يحل بهم أَيْنَمَا حلوا، وتعرضوا لنقمة أهل الْبِلَاد الَّتِي يسكنون فِيهَا".[4]

([1]) البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح** (4/ 42).

([2]) تطلق كلمة (هولوكوست) على الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود على أيدي النازيين خلال الحرب العالمية الثانية، وهي كلمة يونانية تعني التدمير حرقاً كما تشير الموسوعة البريطانية، وكانت في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذي يضحي به للرب، ويحرق حرقاً كاملاً. انظر: شيحة، فارس، مقالة بعنوان: **اليهود وحقيقة محرقة "الهولوكوست" النازية**،، مدون وكاتب، موقع (نون بوست) 25 مايو 2016م http://www.noonpost.org

([3]) شاهين مكاريوس (Makarios) مؤرخ يَهُودِيّ معاصر، مؤلف كِتَاب (تَارِيخ الإسرائيليين).

([4]) قدح، محمود بن عبد الرحمن، **موجز تاريخ اليهود** (260).

فأسباب غضب الله على اليهود كثيرة، لا يمكن للباحث أن يحصيها أو يحصرها باجتهاده، فمنها أسباب دينية، ومنها اجتماعية، ومنها مادية اقتصادية، ومنها تربوية ونفسية، وقد ذكر الله تعالى عدداً منها، على سبيل الذكر لا الحصر، ولكن الله يعفو عن كثير، فهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم، وينقضون عهدهم في كل مرة، وأنهم أصحاب خيانة، لا تزال تطلع على خائنة منهم، وبسبب ذلك جعل الله قلوبهم قاسية، وأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه قاصدين، ليس جهلاً منهم بل من بعد ما عقلوه، ثم يقولون هذا من عند الله، من أجل إرضاء العوامّ من الناس بفتوى تتلاءم مع حاجاتهم مقابل كسب مبلغ من المال.

كما أنهم في زمانهم، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون، وأنهم حاولوا قتل عيسى عليه السلام، وحاولوا قتل رسول الله مُحَّمداً، كما ادعوا بأن يد الله مغلولة، وأنه فقير وهم أغنياء، كما أنهم جبناء وقت الحرب، وأحرص الناس على حياة، خاطبوا نبيهم: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، وأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وادعاؤهم الكاذب بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم، وأنهم مولعون بإيقاد الفتن والحروب بين شعوب الأرض، فكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله برحمته، وأنهم يسعون في الأرض فساداً، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، وأخذهم الربا وقد نُهو عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأنهم شرٌّ مكاناً وزماناً، وأنهم اعتدوا على حرمات الله في السبت، وأنهم ملعونون على لسان داود وعيسى، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وأن الله لعنهم وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير.

ومن يحلّ عليه غضب الله ولعنته، فإنه خاسر فاشل، وينتظر نهاية بائسة لا محالة، طال الزمن أم قصر، فهم ناجحون ماهرون في إذلال الشعوب ونهب خيراتها، وهذا النجاح يزرع الغضب عند تلك الشعوب، وإن كيانهم في فلسطين، قائم على غضب الله وغضب الشعوب، فهو إلى زوال، وهذه النتيجة هي ثمرة حصادهم، ورصيدهم وإرثهم التاريخي، وقد أساء اليهود للشعوب كلها، أساؤوا للعرب والمسلمين أولا، ثم باقي شعوب العالم، وقد سكنت هذه الشعوب، شاردة الذهن، وظنوه سكون الاستسلام، لكن الحقيقة، هو السكون الذي يسبق العاصفة، فهذه الشعوب تمتلك ذاكرة واعية، تختزل فيها إساءات اليهود عبر التاريخ، رصيدا يكبر ويكبر، ثم يكون وقودا لبراكين الغضب، فويل لليهود من انتقام الشعوب، شعب أوروبا، وشعب أمريكا، وشعب ألمانيا، شعوب إفريقيا، ويل لليهود من غضب الشعب العربي، ويل لليهود من غضب الشعوب الإسلامية، وويل لليهود من غضب قد اقترب، ويل لليهود من غضب قادم لا محالة، ويل لليهود من غضب وغضب وغضب، وتُكاد تُرى براكين غضب الله، والغضب البشري، يفجّرها الله، وتُصبّ عمّا قريب، على رؤوس اليهود في أرض فلسطين.

وخلاصة القول، فإن كل مساحيق التجميل في الدنيا؛ وكل وسائل الإعلام التي يملكونها على الأرض، عجزت بأن تجمّل الوجه القبيح لليهود، وممارساتهم عبر تاريخ الأمم والشعوب، ناهيك عن ممارساتهم البغيضة في أرض فلسطين وشعبها، والشعوب العربية والإسلامية، وعلى الرغم من المعاناة الكبيرة التي تقع على كاهل الأمة، فإنها

صامدة متماسكة ومتمسكة بأرضها، وهذا الإصرار والثبات من دواعي الفخر والاعتزاز لكل مسلم، بل ولكل إنسان ينشد الحق والعدل والحرية.

المبحث الثالث

نظرة تفسيرية

في قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران: 111]

مع ما يبذل اليهود ومنظماتهم الدولية، ومع ما يمتلكون في كيانهم كل سلاح فتاك، ويمتلكون شبكة الأعلام العالمي، وتأليب شعوب الأرض، وتلاعبهم بالقرار السياسي الدولي على دين الإسلام وأهله، ومع ما نال ذلك المسلمين من أذى كثير، فإن مصداقية هذه الحقيقة القرآنية: لن يضروكم إلا أذى، تظهر واضحة وجليّة.

وحين تفحّص التاريخ المعاصر لهذه الأرض، والنظر في مخططات اليهود الماضية والحاضرة، في هدم القيم الدينية والأخلاقية للشعوب الإسلامية، وتدمير معنويات الإنسان العربي وسلب إرادته في عقر داره، أو ينظر الباحث في مكائد اليهود الحاضرة، في إثارة غرائز الأمة الإسلامية وشهواتها، أو في مشاريع اليهود المقبلة، في تخريب الأديان السماوية عند جميع الأغيار، حين ابتكروا الأنظمة الفكرية، كالماسونية والصهيونية، والتلمود والـ(بوتوكولات- Protocols)، والنظم السياسية على أساس النعرات القومية في الأوطان لا الأديان، وترويج المعارف والأطماع في نفوس الأفراد والجماعات، كالملاح الماهر ينتفع بكل تيار مهما يكون اتجاهه ليحصل على نتائج، كل هذا وذاك، من أجل إعادة بناء وإقامة مملكة داود وسليمان على أرض الميعاد.

ما الضرر؟ وما الأذى؟

أ- قيل: "الْإِيذَاءُ: الْإِصَابَةُ بِالْأَذَى، وَالْأَذَى مَا يُؤْلِمُ وَيُحْزِنُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ"[1].

ب- وقيل: إن الأذى هو الحدث الذي يؤلم ساعة وقوعه ثم ينتهي، أما الضرر فهو أذى يؤلم وقت وقوعه، وتكون له آثار من بعد ذلك، ولننظر إلى ما حدث لبني قينقاع، ولما حدث لبني قريظة، ولما حدث لبني النضير، ولما حدث ليهود خيبر، هل ضرّوا المؤمنين إلا أذى؟[2].

ت- وقيل بأن الضرر قسمان: ضرر يترك أثراً في الأمة، فيضعف قوتها، ويوهن أمرها، وضرر لَا أثر له: كالأذى بالقول أو الفتنة في الدين تتناول الآحاد، أو محاولة التأثير في ضعاف الإيمان، أو محاولة بث روح النفاق بين الجماعة من غير أن يعم ويشيع.[3]

---

(1) ابن عاشور، محمّد الطاهر، **التحرير والتنوير** (9/ 61).

(2) انظر: الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي –الخواطر** (3/ 1679).

(3) انظر: أبو زهرة، محمّد بن أحمد، **زهرة التفاسير** (3/ 1360).

أولاً: آراء المفسرين القدامى

أ- قال مقاتل: "يعني اليهود لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً باللسان".[1]

ب- وذكر الثعلبي: "يعني لَنْ يَضُرُّوكُمْ أيها المؤمنون هؤلاء اليهود إِلَّا أَذىً باللسان وعيداً وطعناً".[2]

ت- وقال الواحدي: "وهذا وعد من الله تعالى لنبيه والمؤمنين بالنصر، فلم يقاتل يهود المدينة رسول الله ﷺ والمسلمين إلا ولوا منهزمين".[3]

ث- وذكر الرازي: "وَهُوَ أَنَّهُمْ لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِالْقَلِيلِ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي لَا عِبْرَةَ بِهِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ صَارُوا مُنْهَزِمِينَ مَخْذُولِينَ"[4].

ج- وقال أبو حيان: "هَاتَانِ الجملتان تضمنتا الإخبار بمغيبين مُسْتَقْبَلَيْنَ وَهُوَ: إِنَّ ضَرَرَهُمْ إِيَّاكُمْ لَا يَكُونُ إِلَّا أَذًى، لَا ضَرَرًا يَكُونُ فِيهِ غَلَبَةٌ وَاسْتِئْصَالٌ. وَلِذَلِكَ إِنْ قَاتَلُوكُمْ خُذِلُوا وَنُصِرْتُمْ، وَكِلَا هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ وَقَعَ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[5].

ح- وقيل: "وَمِثْلُهُ مَا وَرَدَ فِي الْأَذَى مِنَ الْمَطَرِ وَأَذَى الرَّأْسِ مِنَ الْقَمْلِ"[6].

يظهر بوضوح، من تأويلات المفسرين القدامى، التي خلصوا إليها من اجتهاداتهم المتقاربة في لفظها ومعناها، بأن أقصى ما يقدر عليه اليهود على المسلمين وأرضهم ومقومات وجودهم، هو الضرر والأذى، من قول باللسان، أو عمل محدود، أو وعيد وتهديد وطعن بالمسلمين، لا عبرة له في استئصال أو إزالة،، وأن اليهود مهزومون في أية مواجهة عسكرية، لا يجتمع لهم جيش ولا ترفع لهم راية، وهو دون ضرر أو أذى يكون فيه غلبة أو استئصال، استدلوا على هذا القول وغيره، من حروب وغزوات وقعت في زمن مضى، وهو زمن الرسول ﷺ وأصحابه، على خلاف المفسرين المعاصرين الذين عاشوا بعد منتصف القرن العشرين، حيث أقام اليهود كياناً ودولة، وحققوا انتصارات، وقتلوا وطردوا، وهدموا وقهروا، وخربوا ديار المسلمين، واحتلوا أرضهم ومساجدهم! فهل كل هذا مجرد ضرر وأذى، كالأذى من المطر أو القمل؟ كما قيل في تأويل القدامى؟ أم أنه قتل وتشريد وسفك دموي؟

([1]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (1/ 295).

([2]) الثعلبي، أحمد بن محمد، **تفسير الثعلبي** (3/ 129).

([3]) الواحدي، أبو الحسن، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد (التفسير الوسيط)** (1/ 480).

([4]) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، **تفسير الرازي، مفاتيح الغيب** (8/ 327).

([5]) أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (3/ 303).

([6]) رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** (10/ 445).

ويتساءل الخطيب: فما لنا إذن لا نقبل هذا التأويل؟ ولم نغامر تلك المغامرة الخطرة بآية من آيات الله، ونحمّلها ما لا تحتمل، لنتخذ منها أملاً يدفئ صدورنا، ويطمئن قلوبنا، ويخفف آلام جراحنا التي نعانيها من هذا الحدث الذي نعيش فيه، في مرارة، وألم، وقلق؟[1].

ثانياً: آراء المفسرين المعاصرين

أ- يقول قطب في الظلال: "فلن يكون ضرراً عميقاً ولا أصيلاً يتناول أصل الدعوة، ولن يؤثر في كينونة الجماعة المسلمة، ولن يجليها من الأرض، إنما هو الأذى العارض في الصدام، والألم الذاهب مع الأيام، فأما حين يشتبكون مع المسلمين في قتال، فالهزيمة مكتوبة عليهم- في النهاية".[2]

ب- وذكر الخطيب في تفسيره: وأن غاية ما يبلغه اليهود من كل ما يكيدون وما يمكرون، لا يتجاوز "الأذى" الذي مهما بلغ لا يبلغ حدّ الخطر والتلف.. وسيظل المسلمون- رغم كل شيء- على الصحة والسلامة أبداً، وإن كيانهم سيظل سليماً معافى.[3]

ت- وذكر الخالدي: إنه وعد قرآني جازم قاطع، صيغ بهذه الجملة المنفية بحرف (لن) الذي يدل على التأبيد، أي لن ينجح اليهود في إيقاع الضرر بكم، ولن ينجحوا في تفريغ فلسطين منكم، ولن تكون فلسطين لهم، ولن يستقروا ويستريحوا فيها ويتمكنوا منها[4].

ث- وقيل: يشتبك المسلمون مع اليهود اليوم في معركة 1967م، قد جمع لها اليهود كل كيدهم ومكرهم، وما استطاعوا من عتاد، وحشدوا فيها كل قوة، وقد أخذوا جيوش المسلمين على غرّة، فكان لهم من هذا نصر معجّل، تخلى فيه المسلمون عن مواقع كثيرة من أوطانهم، في سيناء، وسوريا، والأردن.. وتوقف القتال.. استعدادا لمعركة قادمة فاصلة.. ولا ندري متى يكون هذا اليوم الذي نلتحم فيه مع اليهود.. ولكن الذي نؤمن به ولا نشك فيه، هو ما وعدنا الله به، من النصر على اليهود دائماًس..[5].

ويتضح جلياً، من تأويلات المفسرين المعاصرين، اختلاف نبرة اللفظ في سياق الكلام، عن تأويلات من سبقوهم من المفسرين القدامى، وذلك من أجل ملاءمتها للواقع المعاصر، وما جدّ فيه من أحداث عظيمة، مع أن النص القرآني ثابت، واللفظ واحد لم يتغير، وإنما الذي تغير هو السنوات والعصور والأحداث، فقد ورد في تأويلاتهم مصطلحات جديدة ومعاصرة لم ترد في تأويلات من سبقهم من المفسرين القدامى، حيث تعرض الشيخ عبد الكريم الخطيب موضحاً: قد يبدو لبعض المتأولين، أن يتأول الآية الكريمة على هذا الوجه، ويقف

([1]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 555).
([2]) قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (1/ 449).
([3]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 554).
([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (99-100).
([5]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 554).

بها عند حدود الزمن الذي نزلت فيه، ويجعل أسباب نزولها مقيدا بهذا الوقت.. وذلك ليحمى كلام الله من المجازفات التي تنجم عن تعميم هذا الحكم الذي تحمله، والذي قد لا تجيء الأيام بتصديقه، خاصة وأن محامل الآية الكريمة تقبل هذا الوجه من التأويل ولا تردّه![1].

ويذكر دروزة معللاً: "على أن هذا لا يمنع القول، إن إطلاق الخطاب للسامعين، يمكن أن يكون شاملاً لكل مؤمن في كل وقت ومكان، مع التنبيه على أمر مهم وهو أن يكون المسلم الذي يستحق هذا الخطاب مخلصاً في إيمانه قائماً بواجباته".[2]

يتساءل الخطيب: أفنرجع إذن عن هذا الذي ذهبنا إليه، في حمل الآية الكريمة على عمومها، من أن النصر الذي وعد الله به المسلمين على اليهود هو وعد دائم مستمر، غير موقوت بوقت، أو موقوف على واقعة بعينها- أفنرجع إذن ونعود من قريب؟[3]. أجاب الشيخ الشعراوي: لا، لقد انتبهنا إلى كل شيء إلاّ الإسلام، قدمنا الانتماء لعصبية وقومية وعرقية على الإيمان فكيف نطلب نصراً من الله؟ لا يحق لنا أن نطلب نصرة لله إلا إذا دخلنا المعركة ونحن من جند الله، والهزيمة تحدث عندما لا نكون جنداً لله؛ فإذا هزمنا فتأكدوا أننا لسنا من جنود الله[4].

وقد يأتي إنسان ويقول: كيف ينتصر علينا اليهود ونحن مسلمون؟ وكيف نفسر قول الله تعالى: ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ [النساء: 141].

والواقع يشهد بأن للكفار على المؤمنين ألف سبيل وسبيل!

وقد يُستنتج الجواب بأكثر من سؤال:

1- هل تتبع الأمة الآن منهج الإسلام وروحه ؟

2- وماذا عندها من الإسلام ومن الإيمان؟

3- هل تحسب نفسها على ربها أثناء خوض معركتها مع أعدائها؟

4- وهل تتوقع هزيمتها جراء ابتعادها عن تعاليم ربها؟

5- وهل دخلت معركتها كمعركة إسلامية؟

6- وأين هذه الآية من قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: 7]

([1]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 555).

([2]) دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث**، (7/ 213).

([3]) الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 556).

([4]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي-الخواطر** (3/ 1682).

ذكر الخطيب: إننا ندعو إلى أن يفهمها المسلمون جميعا هذا الفهم الذي فهمناها عليه، وأن ينتظروا تأويلها في الأيام المقبلة كما ننتظره، فإن أخلفهم من الآية هذا الوعد، وإن وجدوا لهذا الإخلاف غمزة في دينهم، أو حرجاً منه في صدورهم، أو خلخلة له في قلوبهم- فالحَكَمُ الله بيني وبينهم! ولن يخزينا الله أبداً، ولن يخلفنا وعده الذي وعد![1].

إذاً فالضرر الذي يصيب الأمة الإسلامية من أعدائها على قسمين:

أولهما: ضرر يؤدى إلى هدم كيان الأمة، وإضعاف قوتها وإهدار كرامتها، واستسلامها بالكامل، وجعل أمورها في أيدي أعدائها، تُصرّفِها كيف تشاء.

وثانيهما: ضرر لا يؤثر في كيان الأمة، ولا يؤدى إلى اضمحلال قوتها كالأذى بالقول، أو محاولة التأثير في ضعاف الإيمان.

"أما إذا تركت أمة الإسلام ما أمرها الله- تعالى- به وتجاوزت ما نهاها عنه فإنها في هذه الحالة قد تصاب من أعدائها بما يؤثر في كيانها، وتكون هي الجانية على نفسها بمخالفتها لأوامر الله ونواهيه".[2]

والواقع يشهد بصدق هذه الحقيقة القرآنية، فها هم بعد سبعين عاما من إقامة كيانهم، وحرصهم على تهويد فلسطين، الأرض والشعب، والحجر والشجر، منذ عام 1948م، لم ينجحوا في أهدافهم، ولم يلغوا الهوية الإسلامية فيها، أو القضاء على وجود أهل فلسطين، وها هي الحركات الإسلامية والتنظيمات السياسية، توجّه الناس وتقودهم، وتعلن ميدانيا، عن وجودها الإسلامي المميز.

كما اندلعت ثورة شعبية دموية عارمة، في عام 1987م، وانتفاضة ثانية في عام 2000م، اتسمت بالطابع الإسلامي، وووجهت باجتياح عسكري يهودي للمدن الفلسطينية، وهجمات في سنوات طويلة متتابعة، أكلت الأخضر واليابس، لكنها لم تؤثر بأي حال، على وجود الشعب المسلم هناك، بينما ارتحل اليهود من مستوطناتهم وهجروها إلى أمريكا وأوروبا وروسيا، وارتحل كثير من النصارى من مدن رام الله وبيت لحم والناصرة، لكن المسلمين بقوا، كلما هدم اليهود بيتا زرعوا مكانه اثنين، وكلما أغلق اليهود شارعا أو خربوه، استعمل الفلسطينيون طرقاً ترابية، وقد لجأوا إلى السهول والأودية، وتسلقوا الجبال والهضاب، وتحدّى رئيس حكومتها وقتئذ (أرئيل شارون- Ariel-Sharon) الفلسطينيين بالقضاء على ثورتهم خلال مائة يوم، لكنه فشل، وأصيب بالمرض، ودخل في غيبوبة ثماني سنين، وهلك، وما زالت الثورة باقية، بل تزداد توسعاً وقوة.

([1]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 557).

([2]) طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (2/ 216-217).

أما الأذى، فهو أمر عام واستثناء من الضرر، والأذى لا بدّ من حدوثه، كنتائج طبيعية وعادية للشعوب المقاومة، بعد إخفاق القوى المعتدية من إيقاع الهزيمة بالشعوب المنكوبة، وهو ما يحققونه من حربهم على المسلمين، فما الأذى؟ وما مدى تأثيره على الفلسطينيين؟.

إن كل ما أصاب الفلسطينيين على أرضهم، هو أذى سطحي خارجي، لا يصل إلى أعماقهم، رغم أشكال القهر المختلفة، ومصادرة الأراضي والطرد من الأوطان، فهو يقع على الأبدان، ويصيب الحواس والأطراف، وينتج عنه آلام وأوجاع، وتنزف دماء ويسقط شهداء، ويصيب أفرادا وجماعات، ومع كل هذا، فهو يبقى شكلياً وسطحياً، لا يمسّ الوجود التاريخي أو الديني، أو الثقافي لهم، يشهد بذلك كله، الواقع المعاصر للحرب المتواصلة بين الجانبين، هي حرب غير متكافئة في القوة والعتاد، لكن الحسم فيها يكون واضحاً، إلى جانب المسلمين بمرور عشرات السنين، بالإخفاق في إزالة صمود الأمة، وقتل روحها، واجتثاث وجودها، وكلما ازداد اليهود في قتلهم وبطشهم وتنكيلهم، كلما ازداد هذا الشعب المحتل استعلاء، ورفضاً للوجود اليهودي على أرضه.

هذا الأذى الحاصل في أرض فلسطين، إن كان لا بدّ من وقوعه، فإنه لا نجاة منه، فهو ضريبة الجهاد والمواجهة، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ**﴾ [النساء: 104].

فأينما وجدت الحروب كانت التضحيات، من سقوط الشهداء والجرحى والأسرى، والأحكام العالية في السجون، واحتجاز جثث الشهداء وهدم بيوتهم، وقهر الأهالي، وتعذيب النساء والأطفال والنفوس والأفئدة، لكن الهمم راسخة وثابتة، والعزائم قوية، والإرادة باقية، وهذه مقومات النصر لأية أمة تبحث عن البقاء.

وقد فشل اليهود بامتياز، في القضاء على الجهاد في فلسطين، أو اقتلاع أهلها منها، رغم العقاب الجماعي المتواصل، بشتى الطرق لردع المجاهدين، كما أخفقوا في القضاء على انتفاضة الشعب الفلسطيني، في عقود متواصلة، وما زالت مستمرة إلى اليوم، رغم اختلاف شكلها ونوعها، ومراحلها المختلفة التي تتناسب مع كل مرحلات الاحتياط الأمني، فقد بدأت من مرحلة المقاومة بالحجارة، والزجاجات الحارقة، إلى الحقائب المتفجرة في الحافلات، إلى الأحزمة الناسفة في المراكز التجارية والأسواق، ثم تطورت إلى مرحلة صناعة الصواريخ المحلية، ثم إلى ضرب السكاكين على الحواجز العسكرية وفي الطرقات العامة، ثم إلى حوادث المركبات المتمثلة في دهس الجنود في الشوارع، وهناك آلاف الشواهد التي تقع يومياً، من حياة هذا الشعب المجاهد، تتجلى فيها استعلاؤه على الآلام والدماء، وكلما ازداد العدو أذى، ازدادت أشكال الجهاد كمّاً ونوعاً.

قد يُقال: لقد قاتل العرب اليهود أكثر من ثلاثة حروب، في القرن العشرين، فمن هم الذين ولو الأدبار وانهزموا؟ ومن الذين انتصروا؟

الجواب: إن العرب لم يحاربوا اليهود في جميع حروبهم معهم، حرباً إسلامية بالمواصفات والمقاييس القرآنية، وقد أصرّ العرب على إقصاء الإسلام عن الواقع والمجتمع، وعن ميدان المواجهة، فأصبحوا دعاة إسلام لا مسلمين،

حاربوا اليهود بقوميتهم واشتراكيتهم، فانهزمت دعواتهم وراياتهم، وإن الوعد الرباني في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [آل عمران: 111] لا يخاطب أصحاب الرايات القومية أو العلمانية أو الاشتراكية، إنما يخاطب المؤمنين الملتزمين، وتعدهم بالنصر إن هم التزموا بالتعاليم الربانية، وعندما يُسلم العرب حقاً، ويلتزموا بأحكام دينهم، وتعاليم رسولهم، والحلال والحرام، والأوامر والنواهي، سيرون مصداق هذا الوعد، ويقطفون ثماره على أرض الواقع.

النتائج:

1- رغم العدوان الإسرائيلي الدموي، والمتواصل لعشرات السنين دون توقف، ورغم هزائم الجيوش العربية، فقد صمد الشعب الفلسطيني، وأصرّ على البقاء، وصنع أهم إنجاز حققه حتى الآن، بخلق وجود سكاني ديموغرافي مقاوم، ألحق الفشل بالمشروع الصهيوني الذي كان هدفه ترحيل السكان الفلسطينيين لإحلال المهاجرين اليهود مكانهم، ولا شك أنها مفارقة تاريخية، أن يلد هذا الإنجاز الإنساني من رحم الهزيمة العسكرية!

إن كل حكومات (إسرائيل) قديمها وحديثها، أرادت احتلال كل فلسطين ونشر الاستيطان الاستعماري فيها وتهويدها، ولا فرق هنا بين (جولدا مائير- Golda Maeir) أو (رابين- Rabin) أو (بيرس- Beriz) أو (بيغن- Begin) أو (نتنياهو- Nataniaho) أو (أرئيل شارون- Ariel-Sharon)، فهؤلاء كلهم عملوا للهدف نفسه، وجميعهم عارضوا وحاربوا حق الفلسطينيين في الوجود.

2- إن ما يواجهه الشعب الفلسطيني المحاصر في أرضه، غير مسبوق في التاريخ الحديث، فهو يواجه نظام قمع متجدد ومعقد، وعمليات متداخلة في الوقت ذاته، أبرزها: التطهير العرقي الذي تعرض له الشعب الفلسطيني منذ قرن تقريباً، والاستعمار الاحتلالي الاستيطاني بمصادرة الأراضي وتهجير الفلسطينيين وإحلال الإسرائيليين مكانهم، كما أنه الاحتلال الأطول في التاريخ البشري الحديث، ثم تحول هذا الاحتلال إلى منظومة التمييز العنصري والتهجير القسري الأسوأ في تاريخنا المعاصر، والتي تمس كل مكونات الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج.

3- ناهيك، أن (دولة) إسرائيل منذ منتصف القرن الماضي، خاضت حروباً دموية عدة، وواجهت ثلاث ثورات شعبية فلسطينية، وهي تواجه اليوم مقاومة يومية، وكفاحا متواصلا، وعددا يتزايد عن ملايين الشهداء والجرحى والأسرى، والمقهورين والمهجرين في أقطار العالم، وما زال شعب فلسطين طوال هذه السنوات من الاحتلال، باقياً، لم يرضخ ولم يتراجع، وقاوم وما زال يقاوم، وسيبقى يقاوم ويصر على بقائه، يحافظ على أرضه وتاريخه، وعلى مقومات وجوده، وتراثه وثقافته، وأماكنه المقدسة، بما في ذلك حق عودة اللاجئين المهجرين إلى ديارهم التي هجّروا منها.

الخلاصة: وبالرغم من كل ما سبق، فإن عدد الفلسطينيين على أرض فلسطين التاريخية، في آخر إحصائية رسمية صدرت عام 2017م، فإنه يقترب من عدد اليهود في الكيان نفسه! ما يؤكد أن المشروع الصهيوني برواح في مكانه إن لم يكن يتراجع، رغم كل الجبروت العسكري والاقتصادي لإسرائيل، ورغم الدعم الأميركي-الأوروبي، والعالمي اللامحدود لها.

المبحث الرابع

نظرة تفسيرية

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167]

هذا إخبار وإعلام، فيه قسم من الله، وهذه سنة الله في تعذيب اليهود على الأرض، إنه قسم وإنها سنة واقعة لا محالة، بالكيان اليهودي على أرض فلسطين عاجلاً، ومستمرة إلى يوم القيامة آجلاً، وهذه السنة الربانية، عقوبة من الله جزاء لما ارتكبوه ويرتكبونه، من جرائم عظيمة ضد الشعوب، حاضراً ومستقبلاً.

أولاً: أقوال المفسرين القدامى

أ- ذكر البلخي: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ يعني: قَالَ ربك، لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ يعني بني إِسْرَائِيل، ما دامت الدُّنْيَا مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ، يعني يعذبهم شدة العذاب، فبعث اللَّه المسلمين عليهم إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ"[1].

ب- وذكر عبد الرزاق: مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، قَالَ: "بَعَثَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْعَرَبِ فَهُمْ فِي عَذَابٍ مَهِينٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[2].

ج- وذكر ابن سلامَ، عنْ قَتَادَةَ قال: "ثُمَّ عَادَ الْقَوْمُ لِشَرِّ مَا بِحَضْرَتِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ نِقْمَتِهِ، ثُمَّ كَانَ عَذَابُ اللَّهِ أَنْ بَعَثَ عَلَيْهِمُ الْعَرَبَ، فَهُمْ مِنْهُمْ فِي عَذَابٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[3].

د- وذكر الطبري: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾، يعني واذكر، يا مُحَمَّد، إذ آذن ربك، وأعلم، أو أَمَرَ ربك، ليبعثنّ على يَهُود من يسومهم سوء العذاب" يقول: إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب، فيسومونهم سوء العذاب، يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم".[4]

هـ- قال ابن أبي حاتم: مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ قَالَ: "سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَرَبَ فَهُمْ مِنْهُمْ فِي عَنَاءٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ".[5]

---

(1) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 71).

(2) عبد الرزاق، أبو بكر بن همام، **تفسير عبد الرزاق** (2/ 94).

(3) ابن سلام، يحيى بن أبي ثعلبة، **تفسير يحيى بن سلام** (1/ 119).

(4) انظر: الطبري، مُحَمَّد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (13/ 204-207).

(5) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن مُحَمَّد، **تفسير القرآن العظيم** (5/ 1604).

و- وقيل، في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، يعني: أعلم ربك، ويقال: قال ربكم وكل شيء في القرآن تأذن فهو إعلام. ومعناه: لَيَبْعَثَنَّ أي ليسلطن عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ أي على بني إسرائيل، والذين لا يؤمنون بمحمد ﷺ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ يعني: يعذبهم بالجزية والقتل[1].

ز- وذكر ابن عطية: وقد حتم الله عليهم هذا، وحط ملكهم، فليس في الأرض راية ليهودي[2].

ح- وذكر السمعاني: "مَعْنَاهُ: تألى رَبك وَحلف ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167] أَي: يذيقهم سوء الْعَذَاب، وَهُوَ الْجِزْيَة، وَقيل: هُوَ قتل بُخْتنصر إيَّاهُم فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ يبْعَث عَلَيْهِم الْعَذَاب، وَقد أهلكهم؟ وَقيل: أَرَادَ بِهِ على أبنائهم، وَمن يَأْتِي بعدهمْ"[3].

ط- وذكر البغوي، "قَالَ عَطَاءٌ: حَكَمَ رَبُّكَ. لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ، أَيْ: عَلَى الْيَهُودِ، مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ يُقَاتِلُونَهُمْ."[4]

ومن خلال استقراء تاريخ بني إسرائيل القديم، فقد بعث الله أمما وأقواما على اليهود، يسومونهم سوء العذاب، على مراحل مختلفة أبرزها[5]:

1- بعث الله عليهم فرعون مصر، يسومهم سوء العذاب، فأنجاهم الله... ثُمَّ عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا بِحَضْرَتِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ...

2- ثم بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ فَسَبَى وَقَتَلَ وَخَرَّبَ، ثُمَّ عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا بِحَضْرَتِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ...

3- ثم سلط اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُخْتُنَصَّرَ فَسَبَى وَخَرَّبَ، ثُمَّ عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا بِحَضْرَتِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِه...

4- فسلط الله عليهم (تيتوس- Titus) الروماني، ثُمَّ عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا بِحَضْرَتِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ...

5- ثَمَّ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَرَبَ المسلمون، ثُمَّ عَادَ الْقَوْمُ بِشَرِّ مَا بِحَضْرَتِهِمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا شَاءَ مِنْ نِقْمَتِهِ وَعُقُوبَتِهِ...

---

(1) انظر: السمرقندي، **أبو الليث نصر بن محمد، تفسير السمرقندي، بحر العلوم** (1/ 561).

(2) ابن عطية، عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز، تفسير ابن عطية** (2/ 471).

(3) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد، **تفسير السمعاني** (2/ 227).

(4) البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (2/ 243).

(5) انظر: البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (3/ 120).

ثانياً: أقوال المفسرين المعاصرين

أ- ذكر الزحيلي: "تَأَذَّنَ مثل أذّن: أي أعلم ونادى للإعلام، لَيَبْعَثَنَّ ليسلطن عَلَيْهِمْ أي على اليهود، يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ، أي يذيقهم سوء العذاب بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان، وبعده البابليين المجوس بقيادة بختنصر، فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية، ثم النصارى، ثم المسلمين، ثم الألمان في العصر الحديث... وأما وجود اليهود في فلسطين الآن فهو أمر عارض مؤقت زائل بإذن الله، لثقتنا بوعد الله وكلامه".[1]

ب- "أَيِ اعْلَمْ، وَمَعْنَى يَسُومُهُمْ" يُذِيقُهُمْ، قيل: المراد بختنصر. وَقِيلَ: الْعَرَبُ. وَقِيلَ: أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ أَظْهَرُ، فَإِنَّهُمُ الْبَاقُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".[2]

ت- وذكر ابن حيان: قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ تَأَذَّنَ رَبُّكَ عَزَمَ... وَأُجْرِيَ مَجْرَى فِعْلِ الْقَسَمِ[3].

ث- لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ قِيلَ: وَفِي هَذَا الْفِعْلِ مَعْنَى الْقَسَمِ... لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ أَيْ: لَيُرْسِلَنَّ عَلَيْهِمْ وَيُسَلِّطَنَّ... وقد كانوا أبقاهم اللَّهُ هَكَذَا أَذِلَّاءَ مُسْتَضْعَفِينَ مُعَذَّبِينَ بِأَيْدِي أَهْلِ الْمِلَلِ، وَهَكَذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ فِي الذِّلَّةِ الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِمْ وَالْعَذَابِ وَالصَّغَارِ.[4]

ج- والمعنى: وإذ حتّم ربك وحكم، ليسلطن على اليهود إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ كالإذلال وضرب الجزية وغير ذلك، بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه، واحتيالهم على المحارم. وقد بعث الله تعالى، بعد سليمان عليه السلام، بختنصر مالك بابل، فخرب ديارهم، وقتل مقاتلتهم، وسبى نساءهم وذراريهم... ثم تسلطت عليهم ملوك شتى، ولبثوا زماناً طويلاً يكابدون بلاء عنيفا، إلى أن صاروا جميعا تحت سلطة الرومان، بعد ولادة عيسى عليه السلام بإحدى وسبعين سنة، واستؤصلوا من أرضهم، وتفرقوا في البلاد شذر مذر، صاغرين مقهورين، ومن هاهنا، استدل من استدل بأنهم لا يكون لهم دولة ولا عزّ.[5]

ح- ذكر حوى: "لقد صدق وعيد الله، ولا بدّ أن يصدق في مقبل الأيام، وإنما هي دورات لهم في التاريخ، حتى إذا عتوا وأفسدوا وتجبروا واشتد أذاهم، بعث الله عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة".[6]

([1]) انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (9/ 147-149).
([2]) القرطبي، شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، (7/ 309).
([3]) انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، (5/ 206).
([4]) انظر: الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، (2/ 296).
([5]) انظر: القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)** (5/ 213).
([6]) حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير** (4/ 1968).

خ- يُفهم أن هذا العقاب لهم كان معلوماً لديهم بإعلام الله لهم، ومن مراجعة الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم- أسفار موسى- نجد هذا الإعلام واضحاً في أكثر من مكان، ومن ذلك ما ورد في الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين[1]، وتكاد الآيات التي مرت معنا أن تحصي الكثير منه.[2]

د- "وَفِي قُوَّةِ الْكَلَامِ مَا يُفِيدُ مَعْنَى الْقَسَمِ مِنْ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَلِهَذَا تُلُقِّيَت بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: عَلَى الْيَهُودِ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَيْ: بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ أَوَامِرَ اللَّهِ وَشَرْعَهُ وَاحْتِيَالِهِمْ عَلَى الْمَحَارِمِ".[3]

ذ- وذكر الخالدي: هذا القسم خطاب لمسلمي هذا الزمان، حيث يعيش اليهود فترة انتعاش على أرض فلسطين، فإن سنة الله في تعذيب اليهود ماضية لن تتوقف، وأن الأداة التي اختارها الله في تعذيبهم، في قوله تعالى ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ هم المسلمون، وهو بعث مستقبلي لم يتحقق، وقد تحقق بعد نزول الآية، فالفاعل الذي يبعث هو الله، والعذاب الذي يُبعث بأمر الله، والذين يحملون العذاب على اليهود هم قوم مكرّمون عند الله، وأن هذا الفعل لا ينطبق على الأقوام غير المسلمين، فالفعل (بعث ويبعث) خاص ببعث الله للمسلمين، ليعذبوا اليهود.[4]

ر- فالمسلمون الربانيون، هم المرشحون الوحيدون، الذين (يبعثهم) الله للقضاء على اليهود وتعذيبهم، وإراحة شعوب العالم منهم، وأن تمكين الله لليهود على أرض فلسطين في هذا الزمان، هو تمهيد وتهيئة للبعث الإسلامي القادم، ولهذا، فإن الله يجمع لهم اليهود من بقاع الأرض إلى فلسطين، ليسهل عليهم تعذيبهم والقضاء عليهم.[5]

ز- جاء في الظلال: "ولقد يبدو أحياناً أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزت واستطالت! وإن هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ.. ولا يدري إلا الله من ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة التالية، وما بعدها إلى يوم القيامة"[6].

س- وذكر دروزة: وفي كل زمن ومكان، رغم ما قد يبدو من ظروف يُتاح (لليهود) أن يبرزوا في المجتمعات، حيث لا يلبث المرء أن يكتشف أن ذلك مظهر سطحي وحسب، فضلا عن أنه ليس إلا بالنسبة لأفراد وظروف، وأن الكثرة الكاثرة منهم مسربلة دوما بذلك العقاب الذي كتبه الله عليهم.[7]

([1]) سفر اللاويين: هو أحد الأسفار المقدسة الخمسة الأولى المنسوبة لموسى، ويشكل جزءًا من التوراة، أصل التسمية تعود إلى مفردة (لاوي) وهو أحد أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وقد عهد إلى هذا السبط شؤون الخدمة الكهنوتية في المجتمع اليهودي بشكل حصري؛ أما في الترجمة اليسوعية للكتاب المقدسة يظهر السفر تحت اسم سفر الأحبار، ويعتبر السفر الثالث من حيث الترتيب في الكتاب المقدس. انظر: **تفسير الكتاب المقدس**- العهد القديم- القمص تادرس يعقوب.

([2]) انظر: حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير** (4/ 2044).

([3]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير** (3/ 497).

([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (114-118).

([5]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (139-140).

([6]) قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (3/ 1386).

([7]) انظر: دروزة، محمّد عزت، **التفسير الحديث** (6/ 172).

ش- وقيل: والبعث يفيد القيام فجأة... ولا تغتروا بهم في فلسطين، فملكهم عرض زائل قريباً إن شاء الله، فنحن واثقون بكلام الله، وقد بدت تباشير الخلاص!![1].

وإن كان أقوامٌ آخرون قبل الإسلام، عذبوا اليهود لقرون عديدة كالفراعنة مثلاً، ففي العصر الحديث، كان اليهود يُسامون سوء العذاب في الدول الأوروبية وغيرها، فمثلاً[2]:

1- اضطهدوا سنة 1298م، حينما أمر الملك إدوارد الأول بطرد اليهود من جميع بريطانيا، وقد فتك البريطانيون باليهود فتكاً ذريعاً.

2- وفي فرنسا اضطهدهم الملك لويس التاسع.

3- وفي عهد الملك (فيليب- Philip) الجميل سنة 1306م.

4- وفي سنة 1321م، نكّل بهم الفرنسيون وطردوهم، وفي سنة 1582م طردوا مرة أخرى.

5- وفي إيطاليا حاربهم بابوات الكنيسة الكاثوليكية.

6- وفي سنة 1540م، ثار عليهم الإيطاليون فقتلوهم وطردوهم.

7- وفي روسيا حدثت مذابح فظيعة في عهد الحكم القيصري سنة 1881 و1882م، وفي سنة 1902م، قتل اليهود بالآلاف.

8- وَفِي أَلمانيا ظلّ الْقَتْل والطرد باليهود قَائِما فِي القرنين الثَّانِي عشر وَالرَّابِع عشر الميلاديين.

9- وفي بداية الحكم الإسلامي في الجزيرة العربية، سلط الله عليهم المسلمين، فَأجلى الرسولﷺ بني قينقاع وَبني النَّضِير عَن الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة، وَقتل بني قُرَيْظَة وَحَارب يهود خَيْبَر حَتَّى استسلموا لَهُ وصالحوه، ثمَّ أوصى بإخراجهم من جَزِيرَة الْعَرَب.

وَكَانَ آخر مَا لاقوه من عَذَاب وتقتيل وتشريد، على يَد (هتلر- Adolf Hitler) النازي، إبتداء من توليه الحكم فِي أَلمانيا 1933م إِلَى 1945م.

ثالثاً: نصوص الكتاب المقدس

وهذا العقاب الرباني لهم، كان معلوماً لديهم منذ قرون سابقة، بإعلام الله لهم في كتبهم، التي سلمت بعض نصوصها من التحريف، بمن يسومهم سوء العذاب، ومن مراجعة الأسفار الخمسة الأولى في العهد القديم، نجد هذا

([1]) انظر: الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح** (1/ 781).

([2]) انظر: التل، عبد الله التل، **خطر اليهودية العالمية** (106-120). انظر: طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام** (2/47-73).

الإعلام واضحاً في أكثر من مكان، بأن يسلط الله عليهم الرعب والهزيمة، ويسلط عليهم الأعداء ويهربون من دون مطارد، فينكسر ويتحطم بذل عزهم وفخارهم، وأيّ عذاب أشدّ من هذا العذاب؟ ومن ذلك ما ورد في سفر اللاويين:

"وَإِنْ رَفَضْتُمْ فَرَائِضِي وَكَرِهَتْ أَنْفُسُكُمْ أَحْكَامِي... أُسَلِّطُ عَلَيْكُمْ رُعْبًا وَسِلًا وَحُمَّى تُفْنِي الْعَيْنَيْنِ وَتُتْلِفُ النَّفْسَ... وَأَجْعَلُ وَجْهِي ضِدَّكُمْ فَتَنْهَزِمُونَ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، وَيَتَسَلَّطُ عَلَيْكُمْ مُبْغِضُوكُمْ، وَتَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ... وأَزِيدُ عَلَى تَأْدِيبِكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ... فَأُحَطِّمُ فَخَارَ عِزِّكُمْ..."[1].

وفي نصّ آخر، يتوعّد الربّ بأن يجلب على اليهود سيف الانتقام، والوباء والجوع: "...وأَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ.... فَتَأْكُلُونَ وَلاَ تَشْبَعُونَ".[2]

إذن لا مستقبل للكيان اليهودي في فلسطين، فهو موقوت، ونرى في عصرنا عذاب الله المباشر بحق هذا الكيان، فقد يستمر بقاؤه جيلاً أو أكثر أو أقل، لكن تحقيق سنة الله قائمة، ليسلط الله عليه عباده المؤمنين، ويزيلونه عن هذه الأرض المباركة.

ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد، في صورة (دولة) إسرائيل، التي أذاقت العرب المسلمين في أرضهم ويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**﴾ [الإسراء: 104]، ووفقاً لسنة النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عبداللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"[3]، وقد سلط الله عليهم أنواع الذل مرات ومرات، مما كان سبباً في تشريدهم وانتشارهم في الأرض، واليوم يعودون من جديد إلى هذه الأرض!.

وبرغم الكراهية والبغض الشعبي العالمي ضد اليهود، كرد فعل على سلوكهم وانحرافهم عن أخلاق البشر المألوفة، ما زال اليهود يدّعون الظلم والاضطهاد، منذ استعباد الفراعنة المصريين لهم في مصر، ثم خروجهم منها، ثم تدمير دولتهم الأولى والثانية والثالثة في أورشليم، وقتلهم وسبيهم وقهرهم على يد قادة بابليين ورومان ويونان، في عصور ما قبل الميلاد وبعده، حيث تشتتوا عام 135م وما بعدها، في شتى بقاع الأرض، وعاشوا أقليات

([1]) سفر لاويين، إصحاح (26) فقرات (15-19).

([2]) سفر لاويين، إصحاح (26) فقرات (25-26).

([3]) نيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، **المسند الصحيح المختصر** (4/ 2239).

بين الشعوب الأخرى، يعملون في الزراعة والحرف اليدوية الأخرى، ما دعاهم إلى إثارة الفتن والأحقاد في البلاد التي سكنوها، ثم إلى تخريبها، السيطرة على ثرواتها، ومراكز التجارة والصناعة فيها..!.

فضلاً عن تجبير اليهود، لاضطهاد النازية لهم في العصر الحديث على يد (هتلر- Adolf Hitle) ، الذي بطش بهم خلال الحرب العالمية الثانية، ولعل أخطر وسيلة إعلامية على المجتمعات، استغلتها المنظمات اليهودية لاستعطاف الأمم والشعوب نحو الشعب اليهودي، هي محطات التلفزة، التي تدخل كل بيت وكل مجتمع، وهذه الوسيلة أهم قناة اتصال جماهيري، وهي بصر الإنسان وسمعه في العصر الحديث، وقد عمل اليهود جاهدين في كل مرة لبسط سيطرتهم على هذه القنوات.

وقد بلغ عدد محطات البث التلفازي في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين (700- 1100) محطة، و(7200) محطة إذاعية، تدفقت عليها مئات الملايين من أموال اليهود في العالم، لبث هستيريا الاضطهاد النازي والظلم الواقع على اليهود، ومهاجمة العرب والمسلمين، وقصص وهمية خرافية أخرى ابتكرها الصهاينة، تكشف عن الاضطهاد والإبادة التي تعرض لها اليهود على يد الألمان، بغية كسب الرأي العام الأمريكي والعالمي.[1]

ذكر طنطاوي: زعم اليهود أنهم مظلومون، وأنهم قد نكّل بهم وأُوذوا، وأن (هتلر- Adolf Hitler) أباد خضراءهم وقتل أبناءهم، فتحركت (الرحمة!) في قلوب الأقوياء من دول الأرض، فأرادوا أن يجدوا لهم داراً، فلم يجدوا إلا أرضنا، فأجبرونا أن نخرج من مساكننا، وأن نمنحهم خيرات بلادنا، وجاء وزير المتمدنين الذين يلبسون جلود الظباء على أجساد الذئاب[2]، فأعطاهم (وعداً!) بأن يجعل لهم من قلب بلادنا ملجأً، يمنحهم ما لا يَملكُ، وهم لا يستحقون ما منح، فكانت فضيحة التاريخ البشري التي لم يُسمع بمثلها في حاضر ولا غابر، وها هم أولاء اليوم يدعوننا إلى السلام ونبذ الحرب يقولون: أليس السلام خيراً لكم، فلماذا تراق الدماء، وتزهق الأرواح ؟[3].

([1]) انظر: فقيه، د.شادي، **كيف سيطر اليهود على العالم** (126-129).

([2]) يقصد الجنرال آرثر جيمس بلفور، وزير خارجية بريطانيا، بتاريخ 2 نوفمبر 1917م.

([3]) طنطاوي، علي بن مصطفى، **قصتنا مع اليهود** (ص: 9).

المبحث الخامس

نظرة تفسيرية

في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 112]

وقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: 61]

يُلاحظ أن تاريخ اليهود في أغلب عصوره، قائم على المطاردة والملاحقة، من أغلب شعوب الأرض، وإن كانوا ينجون في فترة من الفترات، بحبل من الله وحبل من الناس، إلا أنهم يعودون إلى الذلة المسكنة، مرة بعد مرة، وإن ملكوا الأسلحة النَّوويَّة، والطَّائرات، والدَّبَّابات المتطوِّرة، وتفوَّقوا على المسلمين في القوَّة العسكريَّة، وكما يُفهم من سياق التعبير القرآني، فقد أوقع الله بهم لعنته وغضبه إلى يوم القيامة.

أما أن ينقلب هذا المفهوم في زماننا! بأن يجعل لهم كياناً سياسياً وعسكرياً! يصولون في العالم ويجولون! ويكون لهم دولة قوية في بلاد المسلمين! يتوسطون بها قارات العالم! ويعلنّ فيها علواً كبيراً! إنما هو لحكمة أرادها الله تعالى، فيها عبر ودلالات، لنرى أن الله بحكمته، سيقطع هذا الحبل بهم، من علوّ شاهق، وفي لحظة انتعاش وانتفاش، فيخرون من قمة الهرم، إلى الذلة والمسكنة، وهُم في ذلَّة

أولاً: أقوال المفسرين القدامى

أ- ذكر في تفسير البحر المحيط: "مَعْنَى الضَّرْبِ هُنَا: الْإِلْزَامُ وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ، وَكَقَوْلِ الْعَرَبِ: ضربة لازم، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْإِحَاطَةُ بِهِمْ وَالِاشْتِمَالُ عَلَيْهِمْ، وَقِيلَ: فَقْرُ النَّفْسِ وَشُحُّهَا، فَلَا تَرَى مِلَّةً مِنَ الْمِلَلِ أَذَلُّ وَأَحْرَصُ مِنَ الْيَهُودِ. وَأَمَّا الْمَسْكَنَةُ: فَالْخُشُوعُ، فَلَا يُرَى يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ بَادِي الْخُشُوعِ".(1)

ب- وقال الطبري: "يعنى بقوله: (وضربت) أي فرضت؛ ووضعت عليهم الذلة وألزموها، و"الذلة" هي الصغار؛ ومعنى الكلام: وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله من أجل كفرهم بآيات الله، وقتلهم النبيين بغير الحق، من أجل عصيانهم ربهم، واعتدائهم حدوده".(2)

ت- وذكر ابن كثير: "أَيْ: وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ وَأُلْزِمُوا بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا، ولَا يَزَالُونَ مُسْتَذَلِّينَ، مَنْ وَجَدَهُمُ اسْتَذَلَّهُمْ وَأَهَانَهُمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الصَّغَارَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِمْ أَذِلَّاءُ مُتَمَسْكِنُونَ، وقال: كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنْ أَحْبَارِ

(1) أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (380/1).

(2) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (2/ 136، 142).

الْيَهُودِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ حَسَدُوهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ وَعَادُوهُ وَقَاتَلُوهُ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الذُّلَّ الدُّنْيَوِيَّ الْمَوْصُولَ بِالذُّلِّ الْأُخْرَوِيِّ".[1]

ث- وذكر النسفي: فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه، أو ألصقت بهم، حتى لزمتهم ضربة لازم، كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه، فاليهود صاغرون أذلاء، أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة، وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن تضاعف عليهم الجزية، ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء، وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيا[2].

ج- وقيل: "أَذَلَّهُمُ اللَّهُ فَلا مَنَعَةَ لَهُمْ، وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ تحت أَقْدَامَ الْمُسْلِمِينَ".[3]

ح- وذكر الطبري: "أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: هؤلاء يهود بني إسرائيل. قلت له: هم قبط مصر؟ قال: وما لقبط مصر وهذا، لا والله ما هم هم، ولكنهم اليهود، يهود بني إسرائيل".[4]

خ- قال ابن كثير، "أين ما ثقفوا، أَيْ: أَلْزَمَهُمُ اللَّهُ الذِّلَّةَ والصَّغَار أَيْنَمَا كَانُوا".[5]

د- قيل: ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ أَيْ: "أَلْزَمَهُمُ اللَّهُ الذِّلَّةَ والصَّغَار أَيْنَمَا كَانُوا فَلَا يَأْمَنُونَ ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ**﴾ أَيْ: بِذِمَّةٍ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ عَقْد الذِّمَّة لَهُمْ وضَرْب الْجِزْيَةِ عَلَيْهِمْ، وَإِلْزَامُهُمْ أَحْكَامَ الْمِلَّةِ ﴿**وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾ أَيْ: أَمَانٌ مِنْهُمْ وَلَهُمْ، كَمَا فِي الْمُهَادَن والمعاهَد وَالْأَسِيرِ إِذَا أَمَّنَه وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوِ امْرَأَةٌ ".[6]

ذ- وقيل: "وَشَبَّهَ الْعَهْدَ بِالْحَبْلِ لِأَنَّهُ يَصِلُ قَوْمًا بِقَوْمٍ".[7]

ر- وقيل: "الْحَبْلُ: مَا يُشَدُّ بِهِ لِلِارْتِقَاءِ، أَوِ التَّدَلِّي، أَوْ لِلنَّجَاةِ مِنْ غَرَقٍ، أَوْ نَحْوِهِ، وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِهَيْئَةِ اجْتِمَاعِهِمْ وَالْتِفَافِهِمْ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَوَصَايَاهُ وَعُهُودِهِ بِهَيْئَةِ اسْتِمْسَاكِ جَمَاعَةٍ بِحَبْلٍ أُلْقِيَ إِلَيْهِم من مُنْقِذٍ لَهُمْ مِنْ غَرَقٍ أَوْ سُقُوطٍ، وَإِضَافَةُ الْحَبْلِ إِلَى اللَّهِ قَرِينَةُ هَذَا التَّمْثِيلِ".[8]

ذكر الطبري: "وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع، فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين، وعلى أموالهم وذراريهم، من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يُثْقفوا في بلاد الإسلام".[9]

---

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، (1/ 282)، (2/ 445).
(2) انظر: النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (1/ 94).
(3) ابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (1/ 125).
(4) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (2/ 137).
(5) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (2/ 104).
(6) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (2/ 104).
(7) أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (3/ 306).
(8) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (4/ 31).
(9) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (7/ 111).

فاليهود على الأغلب، قديما وحديثا، هم قوم مميّزون ومنعزلون، ذي قوالب ذاتية مختلفة عن باقي البشر، ولهم صفات لا تذوب في غيرهم من الأمم، ولا ينخرطون في البلاد التي يعيشون فيها، فهم أذلاء ضعفاء حينما يكونوا قلة في البلاد القوية، يتمسكنون أينما وُجدوا، ليس لهم ذاتية إلا بعهد يعيشون في ظِلِّه، كما كانوا في عهد رسول الله ﷺ في المدينة، أو عهد من الناس الذين يدافعون عنهم.

وهذا يعني، إخبار الله لليهود على اعتبار ما كان وما سيكون، بأن يبدلهم بالعزة ذلة، وبالرضا عنهم غضباً، جزاء من الله لهم على أفعالهم في الماضي من تحريف كلام الله في التوراة، وتأويل أحكامه حسب أهوائهم ونزواتهم، وما تقتضيه المصالح عبر الأزمان، وكفرهم برسالة عيسى ومُحَمَّد ﷺ، وقتلهم الأنبياء والرسل من قبل، وما سيكون لهم من أفعال وسلوك إجرامي في المستقبل القريب والبعيد، وقهر الأمة الإسلامية واحتلال أرضها، وهدم البيوت والمدارس، وتحريق المساجد، وطرد الشعوب من أوطانها، اعتداء وظلما منهم بغير حق.

وهذه بلا خلاف، بعض صفات اليهود القبيحة، تكشف عنها الآيات الكريمة، وهذه بعض أخلاقهم البشعة، وهذا هو واقع اليهود على مرِّ الزمان؛ فهم يزعمون أنهم أولياء الله من دون الناس، وأنهم أعلى شأناً من غيرهم، فيستكبرون على البشر، وهم في الحقيقة؛ أحقر من أن يكون لهم عز ونصر من ذات أنفسهم، فلا يُعرف لهم نصر في معركة دخلوها وحدهم، ولا يزالون في حاجة متواصلة إلى الشرق والغرب، لتثبيت دولتهم المستحدثة على أرض فلسطين.

والحالة المذكورة هي ذاتها في العصر الحديث، فاليهود هم اليهود، لا تجد لهم محبة، ولا قبولاً في الأرض، يشهد على ذلك مذابح الأوربيين لهم، وطردهم من بلادهم إلى بلاد أخرى، ولذلك فهم لا يعيشون إلا منعزلين مع أنفسهم، أو أذلاء متمسكنين، يستجدون الحماية والنصر من دول كثيرة، والمنظمات الدولية، وهذه صفاتهم على مر الزمان؛ وهم اليوم، لا ينعمون بالأمن والأمان حتى في دولتهم الحصينة المحصّنة!.

وذكر المعاصرون: هذه الصحوة التي تبدو على ظاهرهم في هذه الأيام، ليست إلا صحوة الموت، يرتدون بعدها ثوباً جديداً من أثواب الذلة والمسكنة، وذلك بلاء إلى بلاء، وعذاب فوق عذاب.. فإنه ليس أشق على نفس المكروب من أن تهبّ عليه نسمة من نسمات العافية، ثم تعصف به بعدها عاصفة عاتية، وتلقى به بعيداً إلى أسوأ مما كان، ثم يتنفس نفس الحياة.. ثم تضربه موجة عاتية من موجات البلاء.. وهكذا يتردد بين الحياة والموت.. فلا يجد الحياة، ولا يستريح بالموت[1].

فالذلة مضروبة على اليهود، كما تُضرب النقود، وكالحفر والعلامات المضروبة على النقود تلازمها باستمرار، لا تنفك عنها، باختلاف المكان، وفي جميع الأوقات والأزمان، والذي ضرب الذل والمسكنة على اليهود وأوقعها

([1]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 559).

عليهم، هو الله تعالى، لحكمة أرادها فيهم، وهو فعّال لما يريد، فالهوان والجبن وحالة الرعب الدائم، ملازمة لهؤلاء أينما وجدوا، سواء كانوا مستضعفين مطاردين، أو كانوا متمكنين حاكمين.

ثانياً: أقوال المفسرين المعاصرين

أ- يذكر الزحيلي في تفسيره: إن قيام دولة لليهود، لا يتصادم مع هذه الآية التي تقرر إلحاق الذّل والهوان بهم، لأن مقومات الدولة الحقيقية غير متوافرة لهم، وهم في أمسّ الحاجة دائما إلى الشعور بالطمأنينة والاستقرار، مما أحوجهم إلى الدعم المستمر، غير المتناهي اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، من الدول الكبرى، وعلى رأسها أمريكا[1]، وسينالهم أيضاً ذلة وصغار في الحياة الدنيا، بخروجهم من ديارهم وتشردهم، وهوانهم على الناس واحتقارهم لهم، وتهالكهم على حبّ الدنيا، فهم الماديون المنبوذون المكروهون في نظر جميع الأمم، وتلك هي ذلة عظيمة المعنى.

وفي عام 1306م/706هـ، تم طردهم من فرنسا ثم سكسونيا، ثم هنجاريا، ثم بلجيكا وسلوفيكيا، ثم النمسا وهولندا وإسبانيا ثم توالي طردهم من ليتوانيا ثم البرتغال وإيطاليا ثم بافاريا[2]، ثم طردهم إلى فلسطين، أوائل القرن العشرين، إلى يوم الحشر الأخير.

ب- وذكر الخطيب: ضربت عليهم الذلة أبدا، إلّا أن يدخلوا مع المسلمين في عهد الله، وذمة المسلمين، فيكونوا بذلك من أهل الذمّة، وتفرض عليهم الجزية، فيعطونها عن يد وهم صاغرون.. وهنا يرفع عنهم المسلمون الأذى والذلة التي أخذوهم بها. ولكن مع هذا لا يتخلّى عنهم روح الذلة المتسلط عليهم من داخل أنفسهم، لأن ذلك طبيعة فيهم، ولعنة من لعنات الله صبّها عليهم..[3].

وهذا كله، بسبب أن اليهود يستكبرون على خلق الله، لمجرد أماني في نفوسهم، وأكاذيب كذبوها على ألسنة أنبياء الله ورسله، ثم صدقوها ودوّنوها في قراطيسهم وحيا من السماء على أجيالهم، وسّموها التلمود، وقد ضربوا على أنفسهم ذلة ومسكنة، يلجئون إليها استجداء في حماقة وسفاهة، وتلبسهم ظاهراً وباطناً، لفرط جبنهم وضعفهم أمام أعدائهم، إن سلم لهم ظاهرهم في حال، فلن يسلم لهم باطنهم في أي حال، إنها لعنة الله!.

([1]) انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (1/ 174).

([2]) انظر: التل، عبد الله، **خطر اليهودية العالمية** (106-120). طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام**، (2/47-73). انظر: ظاظا، حسن، **الشخصية الإسرائيلية** (84-90). عبد السلام، مُحَمَّد، **بنو إسرائيل في القران الكريم** (113-114).

([3]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 558).

ت- يقول الشيخ الشعراوي في خواطره: "وإلى يومنا هذا، إن نظرت إلى ساحات اليهود في أي بلد من بلاد الدنيا تجد أنهم يقطنون حيّاً واحداً، ويرفضون أن يذوبوا في الأحياء الأخرى، ففي كل بلد لهم حيّ يسكنون فيه، ويسمى باسم "حي اليهود". وكانت لهم في مصر "حارات" كل منها تسمى باسم "حارة اليهود".[1]

ث- وذكر الخطيب: التعبير بضرب الذلة عليهم فيه إحكام لهذا الحكم الواقع بهم، وأن الذلّة التي رماهم الله بها، ذلة متمكنة، مختلطة بوجوههم، كما يختلط لون الجلد بالجلد.. لا يتغير ولا يتبدّل أبداً![2].

وعلى ضوء ذلك، فقد ضرب الله الذّلة والمسكنة، والذّل والفقر والحاجة على اليهود، وإن كانوا أغنياء يملكون المال، إلا أن هذا أمر قائم على أساس ما طبعت عليه النفس، فهم في فقر دائم وذلّ مستمر، وقد ورثوا صفات الذّل وامتهان النفس، وحقارة التصرفات ودناءة الأخلاق؛ فلا يكادون يحسون بغنى النفس وعزتها، ولا تشبع نفوسهم من ذلك، وتظل أطماعهم وأحقادهم مسيطرة عليهم إلى قيام الساعة!

ج- وفي قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ حكم قاطع بمصاحبة الذلة لهم، أينما وجدوا، وأينما كانوا، في كل موطن، وفى كل زمن! هكذا هم في ذلة وهوان، أبد الدّهر.. ذلة في أنفسهم، وذلة بأيدي من يذلّونهم من عباد الله المسلطين عليهم. فإن نجوا من هذه الذلة التي يسوقها الناس إليهم، لم يخرجوا من تلك الذلة المستولية على طبيعتهم![3].

ح- وذكر الخالدي: وتوحي لنا كلمة (ثقفوا) المبنية للمجهول، أن تاريخ اليهود كله يقوم على المطاردة والملاحقة، فهم دائماً مطاردون من قبل الأمم والشعوب التي تحرص على أن تثقفهم وتدركهم وتمسك بهم... وإن كانوا متمكّنين حاكمين على أرض فلسطين، ولكن ذلك؛ بالمقارنة مع عمر الشعوب، فإنه موقوت في زمن محدّد وقصير.[4]

خ- وقيل: "﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ تفيد أنهم أذلاء أينما وُجدوا في أي مكان".[5]

د- وقيل: "أن هؤلاء اليهود أحاطت بهم الذلة في جميع أحوالهم أينما وجدوا وحيثما حلوا، إلا في حال اعتصامهم بعهد من الله أو بعهد من الناس".[6]

ذ- وقيل: "أنهم أُلزموا الذلة، والتصقت بهم في أنفسهم وأهليهم وأموالهم. فلا يظهر لهم أمر، ولا يرتفع لهم شأن، ولا يقوم لهم ملك من ذات أنفسهم" [7].

([1]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي- الخواطر** (10/ 6162).
([2]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 557).
([3]) انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن** (2/ 557).
([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (104).
([5]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي- الخواطر** (3/ 1683).
([6]) طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (2/ 220).
([7]) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (2/ 637).

ر- وقيل: المعنى الإجمالي للآية: أن اليهود قد ضرب الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة في كل زمان ومكان بسبب كفرهم وطغيانهم، وسلب عنهم السلطان والملك، فهم يعيشون في بقاع الأرض في حماية غيرهم من الأمم الأخرى، بمقتضى عهود يعقدونها معهم، وقد تكون هذه العهود موافقة لشرع الله تعالى وقد لا تكون موافقة.[1]

فقد قهرهم نبوخذ نصّر البابلي عام 586 ق.م، وسباهم إلى بابل في العراق، وهم في ذلة ومسكنة، ثم قهرهم وقتلهم (تيتوس- Titus) الروماني عام 70م، وهم في ذلة ومسكنة، ثم قهرهم وقتلهم الرسول مُحَمَّد ﷺ، وسباهم عام 622م، وقد ظل اليهود منذ عهد الرسول مُحَمَّد ﷺ، ينتقلون من ذل إلى مسكنة، إلى القرن الثالث عشر الميلادي داخل الإمبراطورية الروسية، ثم اضطهادهم، وكانت مذبحة اليهود الكبرى في أوكرانيا عام 1648م/1058هـ[2].

ز- أما ما يحدث في هذا الزمان، وما يلاحظ من عزة اليهود وعلوّهم في الأرض، يذكر الزحيلي في تفسيره: وأما عن قيام دولتهم في فلسطين، فهي محنة للمسلمين، فربّما أناس سُلّط عليهم من هو شر لهم، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن بقاء دولة الصهاينة في فلسطين شيء مستحيل، ولا تؤيده الظروف والقرائن المشاهدة، وقد بشرت الأحاديث النبوية بقتلهم وطردهم منها، ولكلّ أجل كتاب.[3]

وقد كانوا أصحاب قرارات في بلاد أوروبا، يعبثون في السياسة والاقتصاد بالخفاء كالرجل المقنّع، ويجبون الضرائب قصراً من (25) شعبا قهروهم على مدار سنوات، وبرعوا في انتقاء المهن والأعمال، فكانت صرافة النقود وتجارة العبيد، وتجارة المخدرات والدعارة، وتهريب المجوهرات والذهب، وهو ما أشاع كراهية شديدة ضد اليهود، فكانت المجازر التي ارتكبت في حقهم انتقاماً من السياسات الإجرامية لزعمائهم، وكانت سيطرتهم على المال هي السبب وراء ملاحقة حكام أوروبا لهم، وطردهم منها فيما بعد، وظلوا يرتحلون من بلد إلى بلد، حتى وصلوا أرض فلسطين، وهي أرض المحشر لهم، حيث كان هو الرحيل الأخير.

س- ولا يمكن أن يعيش اليهود، إلا بحبل من الله وحبل من الناس، كما أضاف الشيخ الشعراوي في تفسيره: أي لا يمكن أن تكون لهم حياة أبداً إلا بحبل من الله أي بأمر منه، والحياة كلها بأمر من أمره، وحبل من الناس أي مذلة تحت الناس، فهم عباد للعباد دائماً، ويُلاحظ اليوم أن دولتهم إنما ترعاها الولايات المتحدة الأمريكية، فهذا حبل من الناس يتمسكون به، فهم دائماً تحت حماية غيرهم من البشر، (وبحبل من الناس) أي في حماية دولة قوية كالولايات المتحدة الأمريكية[4].

---

[1] انظر: طنطاوي، مُحَمَّد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (2/ 221).

[2] انظر: المسلماني، أحمد، **ما بعد إسرائيل** (99 - 102).

[3] انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (9/ 106).

[4] انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي-الخواطر** (1/ 367).

فإن قال قائل: إنهم الآن أصحاب جاه وسلطان، بعد أن أنشأوا دولتهم بفلسطين!!

والجواب: أنهم مع قيام هذه الدولة يعيشون تحت حماية غيرهم من دول الكفر الكبرى، فهي التي تحميهم وتمدّهم بأسباب الحياة والقوة، وهم مأمورون مسخرون أن يعيشوا في تلك البقعة من الأرض لتكون مركزا لتلك الأمم التي تعهدت بحمايتهم ليقفزوا منها إلى محاربة المسلمين، إذا أتيحت لهم فرصة.[1]

ش- وقال حوى في الأساس، تأكيدا لما ذكر: "والمراد بهم اليهود هنا، وأن هذه الذلة لا ترتفع عنهم إلا إذا اجتمعت مشيئتان، مشيئة الله، ومشيئة الناس كما هو واقع الآن، إذ تمالأ العالم كله لصالحهم يمدّهم ويحميهم".[2]

فإن قال قائل: ولكن الذي نراه الآن أن اليهود قد انتصروا على المسلمين وأقاموا لهم دولة في أعز بقاع البلاد الإسلامية، فهل يخلف وعد الله؟.

والجواب على ذلك، أن وعد الله لا يخلف، وقد حققه لأسلافنا الصالحين، ولكن المسلمين في هذا العصر، هم الذين تغيرت أحوالهم، فقد فرطوا في دينهم وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وتفرقوا شيعا وأحزابا، ولم يحسنوا الشعور بالمسئولية، فسلط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم، وإذا ما عاد المسلمون إلى دينهم فطبقوا أوامره ونواهيه على أنفسهم تطبيقاً كاملاً، فإن الله تعالى سيعيد لهم كرامتهم وعزتهم وقوتهم، {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}[3].

ص- وقيل: لقد اعتمد اليهود على حبال الناس في إنشاء دولتهم على أرض فلسطين، لأنهم لا يجدون القدرة الذاتية لإيجاد هذه الدولة، ولذا كانت حبال الآخرين هي السبب في حياة كيانهم واستقراره، وأبرز الحبال البشرية الممتدة لكيان اليهود: الحبل الأوروبي، والحبل الأمريكي، والحبل السوفييتي، والحبل العربي، وستنقطع هذه الحبال كلها، وسينهار كيانهم على أرض فلسطين لأنه مختلق ومصطنع[4].

ض- وذكر الشعراوي: "ونحن نراهم على هذا الحال في حياتنا المعاصرة، لا بدّ لهم من العيش في كنف أحد؛ لذلك فعندما حاربنا "إسرائيل" في حرب أكتوبر، انتصرنا عليهم إلى أن تدخلت أمريكا بثقلها العسكري".[5]

ويُلاحظ أن حبل الناس الممدود لليهود في هذا العصر، فإنه حبل عجيب، تسلق عليه اليهود في إنشاء دولتهم على أرض فلسطين، واعتمدوا عليه في استمرار كيانهم، فالحبل الأوروبي بفرعيه الإنجليزي والفرنسي، كان السبب في تمكين اليهود على أرض فلسطين، منذ أوائل القرن العشرين، حيث تمّ القضاء على الخلافة الإسلامية، ثم

([1]) انظر: طنطاوي، محمّد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (2/ 222).

([2]) حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (2/ 847-851).

([3]) انظر: طنطاوي، محمّد سيد، **التفسير الوسيط** (2/ 219).

([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (106-108).

([5]) الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي-الخواطر** (3/ 1684).

اتفاقيات (سايكس- بيكو) عام 1916م/ 1335هـ، وجعل فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي، ثم إصدار وعد (بلفور) عام 1917م/ 1336هـ، بإقامة وطن يهودي على أرض فلسطين، ثم الحبل الأمريكي، وهو أقوى الحبال الممتدة لليهود اليوم، يقدم لهم المال والسلاح والدعم السياسي.

ولم يتوقف دعم دول أوروبا الشرقية لهذا الكيان، المادي والسياسي، ناهيك عن هجرات اليهود المتواصلة من هذه الدول إلى الكيان المستحدث، وصلت ذروتها في بعض الأوقات إلى مئات الألوف، أما الحبل العربي المعادي لليهود، ولا عجب، يتمثل في بعض الأنظمة العربية، منقادة أو مختارة، فهم يدّعون الحرص على تحرير فلسطين، إعلاميا، وهم في الحقيقة، الدرع الواقي لها، والقبة الفولاذية على أجوائها، والعين الساهرة على حدودها الخارجية!

وإن قطع هذه الحبال كلها، المادية والسياسية والبشرية وغيرها، الممتدة إلى اليهود، يحتاج إلى سعي وعمل، لا بمجرد الأمنيات، فاليهود في أوج قوتهم في العصر الحديث، لا يملكون قوة ذاتية، أو قدرات يملكونها في إنشاء كيانهم السياسي والعسكري، وبالمختصر، فإنهم كيان مستحدث، مصطنع ومختلق، وبقاء وجودهم مرهون؛ باستمرار المساعدات الممتدة من القوى الأخرى في دول العالم، وإذا ما انقطعت هذه الحبال الممتدة، فإن هذا الكيان سيفقد أسباب الحياة، وسينهار.

فوائد ونتائج:

1- إخبار الله تعالى لليهود في هذه الآية، إنما هو على اعتبار ما كان وما سيكون، بأن يبدلهم بالعزة ذلة ومسكنة.

2- أن تاريخ اليهود في أغلب عصوره، قائم على المطاردة والملاحقة، من أغلب شعوب الأرض، فهم ينتقلون من مذلة إلى مذلة.

3- أن فترة انتعاش اليهود في زماننا، إنما هو لحكمة أرادها الله تعالى، فيها عبر ودلالات، بأن يجعل الله لهم كياناً ودولة، وفي لحظة انتعاش وانتفاش، يقطع هذا الحبل بهم، من علوّ شاهق، فيخرون من قمة الهرم، إلى الذلة والمسكنة.

4- أن حكمة الله تعالى من ضرب الذلة عليهم، هي العقاب والانتقام، فهم يقتلون الأنبياء والصالحين، ويقهرون الشعوب، ويرتكبون المعاصي، بزعم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أولياء لله من دون الناس، وأنهم أعلى شأناً من غيرهم، فيستكبرون على البشر، كذباً وبهتاناً على الله تعالى.

5- أن يهود هذا العصر، امتداد ديني وتاريخي ليهود العصور السابقة، لا تجد لهم محبة، ولا قبولاً في الأرض، يشهد على ذلك مذابح الأوربيين لهم، وطردهم من بلاد إلى أخرى.

6- أن اليهود قوم مميزون ومنعزلون، لهم قوالب ذاتية مختلفة عن باقي البشر، ولهم صفات لا تذوب في غيرهم من الأمم، ولا ينخرطون في البلاد التي يعيشون فيها، فهم أذلاء ضعفاء.

7- صدق نبوءة القرآن في وصف اليهود، والضرب عليهم بالذلة والمسكنة، فهم كذلك، كانوا وما زالوا إلى قيام الساعة!.

الفصل الثاني

سورة الحشر ودلالاتها

في الصراع الإسلامي مع اليهود

وفيه مباحث:

المبحث الأول: معجزة خروج يهود المدينة من حصونهم.

المبحث الثاني: تحقيق نبوءة أرض الميعاد للشعب اليهودي!

المبحث الثالث: المستوطنات وبناء الجدار الفاصل.

المبحث الأول

معجزة خروج يهود المدينة من حصونهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]

عاش اليهود في المدينة المنورة (يثرب) في عزلةٍ تامة عن أهلها، بسبب أنهم كانوا أهل كتاب، وقد رفضوا الاندماج مع أمة وثنية، بل يتعالون عليها، ثم رفضوا الاندماج لاحقاً في المجتمع الإسلامي الجديد، كفراً وحسداً وعناداً، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل أطلقوا سيل المؤامرات والدسائس، كمحاولةٍ منهم للقضاء على الدولة المسلمة، وأوّل هذه الجماعات اليهوديّة إعلاناً لهذه العداوة هم بنو قينقاع، الذين كانوا يسكنون أطراف المدينة، ولم يتوقّفوا لحظة عن إحداث الشقاق وإثارة المشكلات بين صفوف المسلمين، حيث كانوا مصدر إيحاء وتوجيه للمنافقين فيها، وتأييداً وتشجيعاً للمشركين من أهل مكة.

وبعد أن أقرّ النبي ﷺ لليهود السكن معه في المدينة أول أمره، في مجتمع واحد متآلف، لم يتركوا طباعهم القديمة من الغدر والخيانة، ما دلّ على مواقف عديدة ظهرت، مؤذية ومزعجة، تجاوزت مواقف الجدل والمناظرة في شؤون الدعوة، بل وتجاوزت مواقف التشكيك، والاستخفاف والطعن، والتشبيب بنساء المسلمين، وأن محاولاتهم لاغتيال النبي ونقض المواثيق والعهود معه، كانت السبب المباشر، لذا فقد نسخ الله تعالى هذا الحكم، وأمره بإخلاء الجزيرة من المشركين؛ نواة بلاد الإسلام وحضن الرسالة السماوية، وأن تكون هذا البقعة من الأرض خالصة لدينه لا يسكنها إلا مسلم، وأمام هذه التجاوزات الخطيرة، لم يكن هناك مفرٌّ من حملة تأديبية، تمنع هؤلاء من مثل هذه الممارسات مستقبلاً، فألغى النبي ﷺ العهد الذي بينه وبين يهود بني قينقاع، ثم أمر المسلمين بالاستعداد لمواجهة اليهود في حرب ميدانية عامة.

وانطلق الجيش في شهر شوال السنة الثانية للهجرة متوجّهاً إلى حصون بني قينقاع، وضرب عليهم النبي ﷺ حصاراً محكماً استمرّ خمسة عشر يوماً، حتى أعلن اليهود استسلامهم، ثم قتال يهود بني النضير شهر ربيع أول سنة 4هـ، ثم قتال يهود بني قريظة سنة 5هـ بسبب أنهم نقضوا العهد معه وخانوه بعد غزوة الأحزاب (الخندق)، ثم قتال يهود خيبر سنة 7هـ.

أما عن يهود بني النضير، "عن عائشة قالت: كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود، على رأس ستة أشهر من وقعة بدر[1]، فحاصرهم رسول الله ﷺ، وكان منزلهم ونخلهم في ناحية المدينة، حتى نزلوا على الجلاء... وأجلاهم إلى الشام".[2]

ثم بلغ عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: في مرضه الذي قُبض فيه: "لاَ يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"[3]؛ فأرسل إلى يهود، فقال: إن الله ﷻ قد أذن في جلائكم، فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به أنفده له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود، فليتجهّز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم.

واختلف العلماء في تحديد جزيرة العرب المقصودة في الحديث، هل هي تشمل كل الأرض من البحر الأحمر غرباً إلى ساحل الخليج العربي شرقاً، وإلى ساحل اليمن جنوباً؟ أم المقصود أرض الحجاز أي مكة والمدينة فقط؟[4] قال مالك: "وهي مكة والمدينة واليمن وأرض العرب، فأجلى عمر أهل نجران وفدك من اليمن إلى العراق، وأعطاهم جمالاً وذهباً؛ وأجلى يهود خيبر إلى الشام؛ ولم يأخذوا شيئاً لأنهم لم يكن لهم شيء".[5]

أولاً: أبرز غزوات الرسول ﷺ مع يهود المدينة[6]

أ- قتال بني قينقاع، سنة 2هـ:

سبب الغزوة: أن نفراً من اليهود، احتالوا على امرأة مسلمة في سوق بني قينقاع للذهب، وكشفوا عورتها، واقتتل الطرفان، ونقضوا العهد مع رسول الله ﷺ "وَتَحَصَّنُوا فِي حُصُونِهِمْ، فَغَزَاهُمُ الرَسُولُ وَحَاصَرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَكُتِّفُوا وَهُوَ يُرِيدُ قَتْلَهُمْ، لكنّ عبد اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنُ سَلُولَ كَلَّمَهُ فِيهِمْ حتى خلّاهم، ثم أمر بإجلائهم، ثُمَّ سَارُوا إِلَى أَذْرِعَاتٍ مِنْ أَرْضِ الِشَّامِ".[7]

([1]) هذا النص من تفسير فتح البيان يحتمل الخطأ، لأن تاريخ هذه الحادثة كان في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة، وقولها: كان منزلهم ناحية المدينة، أي جنوب المدينة.

([2]) القنوجي، أبو الطيب، **فتح البيان في مقاصد القرآن** (14/ 38).

([3]) المدني، مالك بن أنس، **موطأ مالك** (5/ 1314).

([4]) وقد أجاب أهل العلم، أسوة بما حصل من أمراء المسلمين وحكامهم، بعد النبي ﷺ، من إقرار بعض الكفار في بعض بلاد الجزيرة كاليمن ونحوها، بأنه أمر خاضع للمصلحة الشرعية، فربما كان في بقائهم مصلحة للإسلام، أو ربما كان إجلاؤهم يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة التي تحصل بإجلائهم، فكان إبقاؤهم وإقرارهم من الحكام في تلك الأزمان أمر خاضع للمصالح والمفاسد.

([5]) المدني، مالك بن أنس، **موطأ مالك** (1/ 257).

([6]) المسعودي، أبو الحسن، **التنبيه والإشراف**، (1/ 206-207)، أيضاً: الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، (2/ 480)، أيضاً: العصفري، خليفة، **تاريخ خليفة بن خياط** (66).

([7]) الجوزي، أبو الفرج، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك** (3/ 136-137)، أيضاً: البلاذري، أحمد بن يحيى، **فتوح البلدان** (26)، أيضا: الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري** (2/ 481، 586).

ب- حصار بني النضير، سنة 4هـ:

كان سببها أن رسول الله ﷺ أتى بني النضير فكلمهم أن يعينوه في دية رجلين، فقالوا: نفعل، وهمّوا بالغدر بِهِ، فنهض ﷺ سريعاً وتوجّه إلى المدينة، وبعث إليهم أن اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني، فمكثوا أياماً يتجهزون، فأرسل إليهم ابن أبيّ المنافق لا تخرجوا، فطمعوا وأرسلوا إلى النبي إنا لا نخرج، فاصنع ما بدا لك[1]، فسار إليهم النبي وحاصرهم ست ليال وقطع نخلهم، فأجلاهم عن المدينة، وحملوا النساء والصبيان إلا السلاح، وتحمّلوا على ستمائة بعير، ولحقوا بأذرعات من أطراف الشام[2].

ت- قتال بني قريظة، سنة 5هـ:

كان بنو قريظة، قد عاهدوا النبي ﷺ، ثم صاروا مع الأحزاب ضدّ المسلمين في غزوة الخندق ونقضوا العهد، وأعانوا المشركين وعظم الخطب واشتد البلاء، وبعد أن نجّى الله المسلمين أتى جبريل النبي فقال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ بِالْمَسِيرِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ... وَتَلَاحَقَ النَّاسُ، وَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ شَهْرًا وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً... فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحِصَارُ استشاروا أَبَا لُبَابَةَ... ثم نزلوا عند حكم سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ؟ قَالُوا: الذي حُكْمُ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ، وَتُقَسَّمَ الْأَمْوَالُ... فَضَرَبَ الرسول ﷺ أَعْنَاقَهُمْ فِي أسواق المدينة، وَفِيهِمْ ساداتهم، وَكَانُوا مَا بَيْنَ سَبْعِمِائَةٍ وَثَمَانِمِائَةٍ.[3]

ث- إجلاء يهود خيبر سنة 7هـ:

بعد أن نكث يهود خيبر العهود، خرج الرسول ﷺ غازيا إلى خيبر، وأعطى الراية لعليّ بن أبي طالب، وحاصرهم قريبا من شهر، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وجعل رسول الله ﷺ يفتح حصونها[4]، وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ، وَقَسَمَ أَمْوَالَهُمْ بِالنَّكْثِ الَّذِي نَكَثُوا، وَأَرَادَ إِجْلَاءَهُمْ مِنْهَا، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، دَعْنَا نَكُونُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ نُصْلِحُهَا وَنَقُومُ عَلَيْهَا، فَأَعْطَاهُمْ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّ لَهُمُ الشَّطْرَ مِنْ كُلِّ زَرْعٍ وَنَخِيلٍ[5]، فلما كانت خلافة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، فبلغه أنّ النبيّ ﷺ قال: "لا يبقى دينان بأرض العرب"، فأمر بإجلائهم عن خيبر وغيرها من بلاد العرب.[6]

---

[1] انظر: الجوزي، أبو الفرج، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك** (3/ 203).

[2] انظر: الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري** (2/ 551).

[3] انظر: ابن الأثير، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ** (2/ 71). انظر: ابن أيوب، أبو الفداء، **المختصر في أخبار البشر** (1/ 136).

[4] انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **ديوان المبتدأ والخبر** (2/ 453).

[5] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية** (6/ 299-300).

[6] انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، **فتوح البلدان** (32).

وفي غزوة خيبر أهدت امرأة يهودية إلى النبي ﷺ شاة مسمومة، فأخذ منها قطعة ولاكها. ثم لفظها، وقال: " تخبرني هذه الشاة أنها مسمومة"، ثم قال في مرض موته، عن عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: "يَا عَائِشَةُ مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السُّمِّ".[1]

ثانياً: نظرات تفسيرية في معجزة خروج يهود المدينة من حصونهم

أ- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ**﴾ [الحشر: 2] قيل: هُمْ (يهود) بَنِي النَّضِيرِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ، فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ"[2]، فالمراد في قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ هم بنو النضير، وهم رهط من اليهود من ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل، انتظاراً منهم للنبي محمّد ﷺ، فغدروا به بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء، وكان جلاؤهم لأول حشر من المدينة، وآخر حشر هو إجلاء عمر لهم.

قال الإمام البلخي[3]: "هم يهود بني النضير، مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ، بعد قتال أحد أخرجهم مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ، وهو الجلاء من المدينة إلى الشام وأذرعات" (وهي أرض تقع في الشام)[4].

وقد حاول رسول الله ﷺ إرجاعهم إلى جادة الحق، فجمعهم في سوقهم ونصحهم، "وخوّفهم عاقبة كتمان الحق، وذكّرهم بمصير قريش في بدر، فردّوا عليه بكل سفهٍ وحمق: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنْ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا؟"[5] وقيل: "أجلاهم النّبيّ عليه السلام من الحجاز إلى الشام[6]، وأذرعات[7] من الشّام، بعد ما حاصرهم ثلاثاً وعشرين يوماً".

([1]) البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري (6/ 9)، انظر: ابن أيوب، أبو الفداء عماد الدين، **المختصر في أخبار البشر** (1/ 141).

([2]) الصنعاني، عبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق** (3/ 296).

([3]) الإمام البلخي، هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، من أعلام المفسرين صاحب التفسير المسمى تفسير مقاتل، توفي: 150هـ/ 767م، بالبصرة. انظر: الذهبي، شمس الدين، **سير أعلام النبلاء** (201/7).

([4]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (4/ 275).

([5]) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (2/ 17).

([6]) الجوزي، أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير** (4/ 253).

([7]) الحموي، ياقوت، **معجم البلدان** (1/ 130) الحميري، محمّد بن عبد الله، **الروض المعطار في خبر الأقطار** (19/1).

ذكر المعاصرون:

هم بنو النضير، أخرجهم المسلمون من ديارهم؛ حينما نقضوا عهدهم؛ وكان ذلك أول حشرهم إلى الشام، وقيل: إن آخر حشرهم: إجلاء عمر ﷺ لهم، أو هو حشر يوم القيامة، هذا وقد يكون الحشر الثاني: هو خروجهم من فلسطين- بعون الله تعالى وقدرته- بعد أن تملكوها، وشتتوا أهلها في البراري والقفار، وسفكوا دماءهم، وقتلوا أطفالهم، وفضحوا نساءهم.[1]

ب- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ [الحشر: 2]:

لقد تعددت تأويلات المفسرين ورواياتهم في تفسير قوله تعالى: ﴿**لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾، فقيل إن اليهود سألوا النبي إلى أين نخرج؟ فقال لهم إلى أول الحشر في الشام، ويعقبه حشر ثان زمن عمر بن الخطاب... وتقرير ما كان من تيسير الله بخروجهم بسهولة وسرعة لم تكونا متوقعتين لأحد، فقد صالحوا رسول الله ﷺ على أن يؤمنهم على دمائهم ونسائهم وذراريهم، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم، ويُخلو له دورهم وسائر أموالهم، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك، فخرجوا من ديارهم، فمنهم من خرج إلى الشام، ومنهم من خرج إلى خيبر[2].

وقيل: "لِلْحَشْرِ أَوَّلٌ وَوَسَطٌ وَآخِرٌ، فَالْأَوَّلُ إِجْلَاءُ بَنِي النَّضِيرِ، وَالْأَوْسَطُ إِجْلَاءُ خَيْبَرَ، وَالْآخِرُ حَشْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَعَنِ الْحَسَنِ: هُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ. وَخَالَفَهُ بَقِيَّةُ الْمُفَسِّرِينَ وَقَالُوا: بَنُو قُرَيْظَةَ مَا حُشِرُوا وَلَكِنَّهُمْ قُتِلُوا".[3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَنْ شَكَّ فِي أَنَّ أول المحشر هاهنا يَعْنِي الشَّامَ، لِيَتْلُ هَذِهِ الْآيَةَ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اخْرُجُوا قَالُوا: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: "إِلَى أَرْضِ الْمَحْشَرِ".[4]

وعَنِ الْحَسَنِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ قَالَ: "امْضُوا، فَإِنَّ هَذَا أَوَّلَ الْحَشْرِ وَأَنَا عَلَى الْأَثَرِ"[5].

وقيل: إن أول الحشر إخراجهم من حصونهم إلى خيبر، وآخر الحشر إخراجهم من خيبر إلى الشام، وقيل: آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض المحشر وهي الشام.[6]

([1]) ابن الخطيب، محمد عبد اللطيف، **أوضح التفاسير** (1/ 675).
([2]) انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (23/ 259).
([3]) القرطبي، شمس الدين، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي** (18/ 3).
([4]) انظر: ابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (10/ 3345).
([5]) ابن سعد، محمد، **الطبقات الكبرى** (2/ 59).
([6]) انظر: القِنَّوجي: أبو الطيب، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن** (14/ 37).

وقيل: فارقوا رسول الله ﷺ على الجلاء من منازلهم، وأن يحملوا ما استقلت به إبلهمْ ما خلا الفضة والذهب، فجلوا إلى الشام، وطائفة منهم جلت إلى خيبر، وطائفة إلى الحيرة، وهو أول حَشْرٍ حُشِرَ إلى الشامِ، ثم يحشر الخلق يوم القيامةِ إلى الشامِ، ولذلك قيل لأول الحشر.[1]

وقيل في تفسير: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ أي إنه سبحانه هو الذي قضى بإخراج يهود بني النضير من ديارهم في المدينة، في الحشر الأول، أي الجمع والإخراج والجلاء، فكان جلاؤهم أول حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم من خيبر إلى الشام[2].

وقيل: "كَانَ أَوَّلُ الْحَشْرِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَالْحَشْرُ الثَّانِي مِنْ خَيْبَرَ، وَجَمِيعِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، إِلَى أَذْرِعَاتَ وأريحا مِنَ الشَّامِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ".[3]

وقيل: "﴿**لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ"[4].

وقال عكرمة والزهري وغيرهما: المعنى لِأَوَّلِ موضع الْحَشْرِ وهو الشام، وذلك أن أكثر بني النضير جاءت إلى الشام، وقد روي أن حشر القيامة هو إلى بلد الشام، وأن النبي ﷺ قال لبني النضير "اخرجوا"، قالوا: إلى أين؟ قال: "إلى أرض المحشر"[5].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "مَنْ شَكَّ أَنَّ الْمَحْشَرَ بِالشَّامِ فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ، فَكَانَ هَذَا أَوَّلُ حَشْرٍ إِلَى الشام"[6].

وَعَلَيْهِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾، أَنَّ الرَّاجِحَ فِيهِ لِأَوَّلِ الْجَمْعِ، وَتَكُونُ الْأَوَّلِيَّةُ زَمَانِيَّةً، وَفِعْلًا فَقَدْ كَانَ أَوَّلُ جَمْعٍ لِلْيَهُودِ، وَقَدْ أَعْقَبَهُ جَمْعٌ آخَرُ لِإِخْوَانِهِمْ بَنِي قُرَيْظَةَ بَعْدَ عَامٍ وَاحِدٍ، وَأَعْقَبَهُ جَمْعٌ آخَرُ فِي خَيْبَرَ، وَقَدْ قَدَّمْنَا رَبْطَ إِخْرَاجِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ بِإِنْزَالِ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنْ صَيَاصِيهِمْ، وَهَكَذَا رَبَطَ جَمْعَ هَؤُلَاءِ بِأُولَئِكَ، إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ أُجْلُوا وَأُخْرِجُوا، وَأُولَئِكَ قُتِلُوا وَاسْتُرِقُّوا.[7]

وقيل: أول الحشر الجلاء إلى الشام، والحشر الثاني: حشر القيامة، وقيل: أول الحشر حشر أهل الكتاب وجلاؤهم من جزيرة العرب، والحشر الثاني: حين أجلاهم عمر رضي الله عنه إلى الشام[8]، وقيل: ﴿**لِأَوَّلِ الْحَشْرِ**﴾ أي لأوّل الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني

([1]) انظر: الزجاج، أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه** (5/ 144).

([2]) انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (28/ 70).

([3]) ابن عطية، أبو محمد، **المحرر الوجيز**، تفسير ابن عطية (5/ 284).

([4]) الصنعاني، عبد الرزاق، **تفسير عبد الرزاق** (3/ 296).

([5]) انظر: النيسابوري، أبو القاسم، نجم الدين، **إيجاز البيان عن معاني القرآن** (2/ 808).

([6]) البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي** (5/ 53).

([7]) الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (8/ 16).

([8]) انظر: الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي** (9/ 580).

النضير، قال: "امْضوا فهذا أوَّل الْحَشْرِ، وإنَّا على الأثَرِ".[1] وقيل: خرج إليهم النبيّ ﷺ مع الجيش إلى بني النضير، فقال لهم: اخرجوا منها، فإذا جاء وقت الجذاذ، فجذوا ثماركم. فقالوا: لا نفعل، فحاصرهم النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، نحن نعطيك الذي سألتنا، قال: "لاَ ولكن اخْرُجُوا مِنْهَا، وَلَكُمْ مَا حَمَلَتِ الإِبِلُ إلاّ الحَلَقَةُ"، يعني: السلاح، قالوا: لا. فحاصرهم رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، وأمر بقطع نخيلهم[2]. وقيل: هذا هو الفساد الأول الذي حدث من يهود بني النضير، وبني قَيْنقاع، وبني قريظة، الذين خانوا العهد مع رسول الله، بعد أن كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، ونصُّ الآية القادمة يُؤيّد ما نذهب إليه من أن الإفسادتين كانتا بعد الإسلام.[3]

وجاء في تفسير معاصر، قيل: معنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم إلى الشام... أو هذا أول حشرهم، وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام، أقول: هذا كلام من لم يدرك حشرهم الجديد في فلسطين وبلاد الشام، فلعل المراد بقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ الإشارة أن لهم حشراً أي: جمعاً وجمعاً وجمعاً فيما بعد ذلك في بلاد الشام، وأن ما حدث لبني النضير هو أول هذه الظاهرة، وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بأول الحشر أي: أول المكان الذي سيحشر فيه الناس يوم القيامة، أي: أول بلاد الشام.[4]

ت- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: 2]:

هذا خطاب الله تعالى للمسلمين، أي ما حسبتم أيها المسلمون أَنْ يَخْرُجُ اليهود من قلاعهم، وَظَنُّ اليهود وحسبوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ وقلاعهم مِنَ بأس اللَّهِ، فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، يعني من قبل قتل قائدهم كعب بن الأشرف، ثم قال: وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ بقتل كعب بن الأشرف، أرعبهم الله بقتله، لأنه كان رأسهم وسيدهم، قتله مُحَمَّد بن مسلمة الأنصاري، وكان أخاه من الرضاعة[5].

وقيل: كلما نقب المسلمون بيتا فروا إلى بيت آخر ينتظرون المنافقين، وقد قال المنافقون لهم: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، وإن قوتلتم لننصرنكم. فلما رأوا أنه لا يأتيهم أحد من المنافقين ولحقهم من الشر ما لحقهم، قال بعضهم لبعض: ليس لنا مقام بعد النخيل، فنحن نعطيك يا أبا القاسم على أن تعتق رقابنا... ونخرج...[6].

وقيل: "﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم، ووثاقة حصونهم، وكثرة عددهم وعدتهم"[7].

([1]) الطبري، مُحَمَّد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (23/ 263).

([2]) السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد، **تفسير السمرقندي، بحر العلوم** (3/ 425).

([3]) الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي – الخواطر** (13/ 8352).

([4]) انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (10/ 5819).

([5]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (4/ 275).

([6]) انظر: السمرقندي، نصر بن مُحَمَّد، **تفسير السمرقندي، بحر العلوم** (3/ 425).

([7]) النسفي، أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي** (3/ 455).

وقيل: "لِعِظَمِ أَمْرِ الْيَهُودِ وَمَنَعَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ فِي صُدُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَاجْتِمَاعِ كَلِمَتِهِم، وَكَانُوا أَهْلَ حَلْقَةٍ- أَيْ سِلَاحٍ- كَثِيرٍ- وَحُصُونٍ مَنِيعَةٍ".[1]

وبنو إسرائيل في عصرنا، رغم جدار العزل العنصري، ورغم الحواجز الأمنية، ورغم أنهم يمتلكون (جهاز الموساد)، وهو من أقوى وأعتى أجهزة المخابرات على مستوى العالم، ورغم التحصينات الفظيعة، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يوقفوا جنود الله، في حرب الشوارع، ولم يستطيعوا أن يوقفوا من أرادوا الحياة الآخرة، بالسكاكين والأدوات البسيطة، ولا حتى أتباعهم وأعوانهم الموجودين داخل فلسطين، لم يستطيعوا إيقافهم، وهم ما يسمى العملاء.

وهذه دعوة، وحثّ وتحفيز، لكل الراغبين في التغيير في هذا العصر، والتيقن بأن خروج اليهود من أرض فلسطين، ليس مستحيلاً، رغم تمكنهم الشديد فيها، وأن يختاروا مواقعهم في مسارها الصحيح، والانحياز إلى القلة المؤمنة، وترك الأوهام، والوعود الصادرة عن مجلس الأمن وعصبة الأمم، والاستعداد لما هو آت، والاستعلاء عن المعوقات المفتعلة، هذا هو الطريق الوحيد الذي يليق بأصحاب الدعوة السماوية الربانية، فلا يستيقظوا متأخرين، وإلا فإن القافلة تسير بدونهم، فيكونوا متخلفين وقد فات الأوان.

وذكر طنطاوي: ما ظننتم- أيها المؤمنون- أن يهود بني النضير سيخرجون من ديارهم بتلك السهولة، وذلك لتملكهم لألوان من القوة، كقوة السلاح، وكثرة العدد، ووجود من يحميهم ممن يسكنون معكم في المدينة، وهم حلفاؤهم من بني قومهم، كبني قريظة وغيرهم، ومن غير بني قومهم كالمنافقين الذين وعدوهم ومنّوهم.[2]

وذكر دروزة: فالمسلمون الآن يظنون كما كان يظنّ المسلمون الأوّلون، أنهم غير قادرين على استرداد الأرض المغتصبة... بسبب ما لليهود من قوة تمدّهم بها أميركا... ولكن الله أتى الذين كفروا من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، وجعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وأجلاهم عن الأرض المقدسة، وهو قادر على أن يفعل ذلك مع الصهيونية.[3]

ويلاحظ مما سبق، أن خطاب الله ﷻ للمسلمين ﴿**مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا**﴾، يدلّ أشدّ الدلالة، على مدى تمكّن اليهود داخل مدنهم وحصونهم في المدينة زمن الرسول ﷺ، وما كان لهم من المنعة والقوة في بلاد المسلمين، واثقين أشد الثقة، ولم تكن هذه الثقة مجرد غرور في قوة وهمية مصطنعة، بل وصلت هذه الثقة إلى درجة ظن اليهود والمسلمين على حد سواء، بأن اليهود متمكّنين في مواقعهم، ولا يمكن أن يخرجوا بأيّ حال من الأحوال، فكانت معجزة الرعب الذي حلّ محل الثقة في قلوبهم، من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر لهم على بال،

([1]) ابن كثير، أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم** (8/ 56).

([2]) الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (14/ 283).

([3]) انظر: دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث** (7/ 305).

وقريباً ما يعيد التاريخ نفسه على الأرض المباركة في فلسطين، حيث لا ينفع سلاح ذري أو نووي، أو (تكنولوجيا) عسكرية متطورة، أو سلاح بيولوجي أو كيماوي أو فسفوري، أو حرب ألكترونية، وهذا يتطلب جهاداً وجهداً، وتضحيات بالمال والنفس والولد، وقرب إلى الله تعالى.

ث- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ**﴾ [الحشر: 2]: أي: أنتم ظننتم أنهم لن يخرجوا من ديارهم، وهم ظنوا- أيضاً- أن حصونهم ستمنعهم من نصركم عليهم، فكانت النتيجة أن أتاهم بأس الله وعقابه من حيث لم يحتسبوا ومن حيث لم يخطر ببال، بأن قذف في قلوبهم الرعب والفزع فخرجوا من حصونهم التي تمنعوا بها، ومن ديارهم التي سكنوها زمناً طويلاً صاغرين أذلاء.[1]

كذلك الحال في هذا العصر، فمهما بدت المسافة كبيرة جداً بين المسلمين واليهود، في القوة والعتاد، (والتكنولوجيا)، والبرامج المعقدة، والأسلحة الحديثة، والأقمار الصناعية، والطائرات النفاثة، والصواريخ البعيدة المدى، إلا أن التاريخ سيعيد نفسه.

ذكر ابن عاشور: "وَكَانَتْ لِبَنِي النَّضِيرِ سِتَّةُ حُصُونٍ أَسْمَاؤُهَا: الْكُتَيْبَةُ وَالْوَطِيحُ وَالسُّلَالِمُ وَالنَّطَاةُ وَالْوَخْدَةُ وَشَقٌّ، مُشِيرًا إِلَى اغْتِرَارِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ فِي عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ، وَأَنَّ مَنَعَةَ حُصُونِهِمْ هِيَ مِنْ شُؤُونِ عِزَّتِهِمْ".[2]

وروى الطبري: أن عدداً من كبار قبيلة الخزرج، زعيمهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنَّعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله ﷺ حين نزل بهم[3].

وذكر الشيخ الماتريدي في تفسيره، المعنى في ذلك عندنا وجهان:

أحدهما: أنهم ظنوا أن اللَّه تعالى، حيث آتاهم القوة والحصون، لا يبلغ بهم حُكمُهُ المبلّغ الذي يخرجون من ديارهم؛ لأنهم كانوا أهل كتاب، وكانوا يزعمون أنهم أولى بالله من غيرهم كقوله: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ [المائدة: 18]، ويكون قوله: (مِنَ اللَّهِ)، أي: باللَّه وبأمره، أي: بأمر اللَّه.

والثاني: أي: ظنوا أن حصونهم وقوتهم تمنعهم من أولياء اللَّه أن يظهروا عليهم، أو من دين اللَّه أن يظهر فيهم، واللَّه أعلم.[4]

ج- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا**﴾ [الحشر: 2]:

([1]) انظر: الطنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (14/ 284).

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (28/ 69).

([3]) انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (264/23).

([4]) انظر: الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي** (9/ 580).

"أي أمْرُ الله وعقابُه، وقيل: آتاهم الهلاك"[1]، كان بنو النضير، لما دخل النبي عليه السلام المدينة، ذا عزة ومنعة، فظنَّ الناس أنهم لعزهم وَمَنْعَتِهِمْ لا يخرجون من ديارِهِمْ، وظنَّ بنو النضير من وهمهم، أَنَّ حُصُونَهُمْ تمنعهم، فعاقدوه ﷺ ألَّا يكونوا عليه ولا معه، فلما كان يوم أحد، وظهر المشركون على المسلمين نكثوا عهدهم مع الرسول ﷺ، وكان كعب بن الأشرف رئيساً لهم، فخرج في ستين رَجُلًا إلى مكة وعاقد أهلها ضد الرسول ﷺ، فأطلع اللَّه نبيه على ذلك، فوَجَّهَ رسولُ الله ﷺ مُحَمَّد بن مسلمة ليَقْتُلَه... فقتله، وغَدَا رسول الله ﷺ غازياً بني النَضِير.[2]

وقيل: "إشارة إلى أن ما نزل بهم من هزيمة لم يكونوا يتوقعونها أصلاً، إذ الاحتساب مبالغة في الحسبان، أي: أتاهم عقاب الله- تعالى- من المكان الذي كانوا يعتقدون أمانهم فيه، وفي زمان لم يكونوا أصلاً يتوقعون حلول هزيمتهم عنده"[3]

وذكر النسفي: "أي من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف غرة على يد أخيه رضاعاً".[4]

فأما السيد قطب فقال: أتاهم من داخل أنفسهم! لا من داخل حصونهم! أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب، ففتحوا حصونهم بأيديهم! وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم، ولا يحكمون قلوبهم، ولا يمتنعون على الله بإرادتهم وتصميمهم! فضلاً على أن يمتنعوا عليه ببنيانهم وحصونهم، وقد كانوا يحسبون حساب كل شيء، إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم.[5]

وهؤلاء، كانوا يحسبون حساب كل شيء، إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم، فإن حالهم في هذا العصر، كحال من كان يظن بأن عمالقة العالم الكبار سينهارون في سنوات التسعينات في القرن الماضي، كالعملاق الشرقي مثلاً، الذي تمزق كيانه الواحد المتماسك إلى دويلات وأقاليم متنازعة متناحرة فيما بينها، وفيما بينها وبين الدولة الأم (التي كانت تسمى الاتحاد السوفييتي)، الذي كان يمثل المعسكر الشرقي عقوداً، ويمتلك قنابل ذرية تكفي لتدمير العالم خمس مرات، وقد تهاوى من الداخل كبيت العنكبوت؛ من حيث لا يحتسب؛ ولا يحتسب أحد.

([1]) النسفي، أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي** (3/ 455).

([2]) انظر: الزجاج، أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه** (5/ 143).

([3]) الطنطاوي، مُحَمَّد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** (14/ 284).

([4]) النسفي، أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي** (3/ 455).

([5]) انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (6/ 3521).

ح- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾ [الحشر: 2]:

إن فضيلة نصر المسلمين بالرعب، بدأت خاصة في النبي ﷺ، ثم في سائر أمته ممن اتبع سيرته ومنهجه، إذ كان النبي ﷺ كلما توجّه إلى عدو ملأ الله قلوبهم رعباً شديداً، وخوفاً وهلعاً، فإن الرعب باق في نفوس أعداء الإسلام، والملاحظ أنه بالرغم من ضعف المسلمين في هذا الزمان، إلا أن الكفار في جملتهم مرعوبون منهم ومن عودة الإسلام، لذلك نجد منهم الهجوم الشرس على المسلمين بشتى الوسائل بقصد إقصاء الإسلام عن حياتهم، كل ذلك خوفاً ورعباً من تمكّن الإسلام في بقاع الأرض.

وقيل: "قذف في قلوب اليهود الرعب، من حيث لم يحتسب المؤمنون ولا الكافرون؛ فالمسلمون لم يظنوا أن يقهروهم ويغلبوهم؛ مع قلة عددهم وكثرة عدد أُولَئِكَ، وكذا لم يحتسب اليهود أنهم مع قوتهم وقوة حصونهم يُقهرون ويُغلبون، حتى منَّ اللَّه تعالى على المؤمنين بأن قذف الرعب في قلوب الكفرة، وذلك لطف عظيم من اللَّه"[(1)].

فقد يكون طاغية من الطغاة، وقد يكون أقوى إنسان في الكون، ولكن في ذات الوقت، يكون قلبه بيد الله، فيلقي الله في قلبه الرعب، وينتهي الأمر في لحظة! روى جَابِرُ بْنُ عبد اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ..."[(2)]، لكن المفارقة العجيبة! حين تجد أمة الإسلام حينما ابتعدت عن ربها، وتعاليم دينها، وأركنت إلى الشرق والغرب، واعتمدت على هؤلاء أو هؤلاء، ولم تعتمد على الله، هزمت بالرعب مسيرة سنة أو سنوات!

وجاء في الظلال: أتاهم من داخل أنفسهم! لا من داخل حصونهم! أتاهم من قلوبهم فقذف فيها الرعب، ففتحوا حصونهم بأيديهم! وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم... وقد كانوا يحسبون حساب كل شيء إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم. فهم لم يحتسبوا هذه الجهة التي أتاهم الله منها.[(3)]

ومع كثرة الكتابة عن انتشار ظاهرة خوف الكفار من الإسلام، وخوف الاتجاهات العلمانية من الحكم الإسلامي، قام بعض الكتاب المسلمين بنشر خطاب دعوي، ينتقي من تعاليم الإسلام ونصوصه ما يحاول به طمأنتهم، وإزالة شعور الخوف والقلق من نفوسهم، حيث استخدم هؤلاء الدعاة أسلوب المجاملة بانتقاء النصوص، والاكتفاء بالنظر إلى زاوية واحدة من زوايا نظرة الإسلام إلى أعدائه، ثم قاموا بتعميم هذه الزاوية؛ لتصبح كأنها رؤية شمولية للإسلام، مع أن هذا العقاب الرباني لهم، الخوف والرعب، كان معلوماً لديهم منذ قرون سابقة، بإعلام الله لهم في كتبهم، بأن يسلط الله عليهم الرعب والهزيمة، من صوت ورقة تطير في الهواء،

([1]) السمرقندي، أبو الليث، **تفسير السمرقندي، بحر العلوم** (3/ 424).

([2]) البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر** (1/ 74).

([3]) انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (6/ 3521).

ويسلط عليهم الأعداء فيهربون دون مطارد، فينكسر ويتحطم ذلّ عزهم وفخارهم، وأيّ عذاب أشدّ من هذا العذاب؟

ومن ذلك ما ورد في سفر اللاويين: "وَالْبَاقُونَ مِنْكُمْ أُلْقِي الْجَبَانَةَ فِي قُلُوبِهِمْ فِي أَرَاضِي أَعْدَائِهِمْ، فَيَهْزِمُهُمْ صَوْتُ وَرَقَةٍ مُنْدَفِعَةٍ، فَيَهْرُبُونَ كَالْهَرَبِ مِنَ السَّيْفِ، وَيَسْقُطُونَ وَلَيْسَ طَارِدٌ. وَيَعْثُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ كَمَا مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ وَلَيْسَ طَارِدٌ، وَلاَ يَكُونُ لَكُمْ قِيَامٌ أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ، تَهْلِكُونَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَتَأْكُلُكُمْ أَرْضُ أَعْدَائِكُمْ... هذِهِ هِيَ الْفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ وَالشَّرَائِعُ الَّتِي وَضَعَهَا الرَّبُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي جَبَلِ سِينَاءَ بِيَدِ مُوسَى".[1]

خ- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الحشر: 2]:

قيل: معنى التخريب والإخراب للبيوت، هو الإفساد بالنقض والهدم[2]، لما تحصّن اليهود في الحصون، وبلغ الحصار ستاً وعشرين ليلة، يئس اليهود من صدق وعد المنافقين لهم، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، كما سبق جلاء بني قينقاع على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فأجابهم رسول الله ﷺ فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته لأجل خشبة[3] يحملها على ظهر بعيره، أو يخربه حتى لا يقع في أيدي المسلمين كيلا يسكنوها من بعدهم، وكان اليهود قد أنفقوا في بيوتهم أموالاً كثيرة، أو ليرموا بالحجارة منها على المسلمين، وكان المسلمون من دورهم، يخرّبون ما بقي من نواحيها ليتمكنوا من نشر الرعب بينهم، وبسط النفوذ والسيطرة على أرض المعركة.

ذكر الإمام الشافعي: عن أصحاب رسول الله ﷺ، أنهم كانوا يحاصرون قلاع بني قريظة، حتى إذا غلبوا على دارٍ من دورهم أحرقوها، فكان بنو قريظة يخرجون منها فينقضونها، ويأخذون حجارتها ليرموا بها المسلمين[4]، وقيل: وذلك أنهم حصنوا أزقتهم بالدروب، وكان المسلمون ينقبون بيوتهم، ويدخلونها، وكان اليهود ينقبون بيوتهم من الجانب الآخر ويخرجون منها.[5]

([1]) سفر لاويين، إصحاح (26) فقرات (36-46).

([2]) انظر: النسفي، أبو البركات، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تفسير النسفي (3/ 455).

([3]) يذكر ولفنستون: " إن هدم نجاف البيوت يتعلق بعقيدة تلمودية معروفة، وهي أن كل يهودي كان يعلق على نجاف داره صحيفة، تشمل على وصية موسى لبني إسرائيل، فيها تمجيد الرب، كما ورد في سفر التثنية (*)، فاليهود حين ينزحون من منازلهم يأخذونها معهم، وهي عادة متبعة عند اليهود إلى يومنا هذا، ويظهر أن يهود بلاد العرب، كانوا يصنعون تلك الصحيفة في داخل النجاف خوفا من إتلاف الهواء أو مس الأيدي، فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت وأخذوها. أنظر: د. إسرائيل ولفنستون، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، 138. (*) ونصّ الوصية كما وردت في التوراة: "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ". سفر التثنية، إصحاح (6) فقرات (4-9).

([4]) انظر: الشافعي، مُحَمَّد بن إدريس، **تفسير الإمام الشافعي**، (3/ 1319).

([5]) انظر: ابن أبي زمنين، مُحَمَّد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، (4/ 365).

وقيل: خرّبوا الْأَزِقَّة، وحصّنوا الدّور، فَأَتَاهُم رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقَاتلهُمْ إِحْدَى وَعشْرين لَيْلَة... وَجعلُوا ينقبون دُورهمْ من أَدْبَارها إِلَى الدَّار الَّتِي تَلِيهَا، ويرمون أَصْحَاب رَسُول الله بنقضها، فَلَمَّا يَئسوا من نَصْرِ الْمُنَافِقين... سَأَلُوا نَبِي الله الصُّلْح، فَأبى عَلَيْهِم إِلَّا أَن يخرجُوا من الْمَدِينَة، فَصَالحهُمْ على أَن يجليهم إِلَى الشَّام.[1]

وقيل: كَانُوا يَقْلَعُونَ الْعُمُدَ وَيَنْقُضُونَ السُّقُوفَ وَيَنْقُبُونَ الْجُدْرَانَ وَيَقْلَعُونَ الْخَشَبَ حَتَّى الْأَوْتَادَ يُخَرِّبُونَهَا لِئَلَّا يَسْكُنَهَا الْمُؤْمِنُونَ حَسَدًا مِنْهُمْ وَبُغْضًا، وقال: كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْخَشَبِ فِي مَنَازِلِهِمْ فَيَهْدِمُونَهَا وَيَنْزِعُونَ مِنْهَا مَا يَسْتَحْسِنُونَهُ فَيَحْمِلُونَهُ عَلَى إِبِلِهِمْ، وَيُخَرِّبُ الْمُؤْمِنُونَ بَاقِيَهَا.[2]

والتاريخ المعاصر، يشهد بالأحداث نفسها، في حروب اليهود مع الشعوب الإسلامية وبلدانها، ففي ربيع عام 1982م، حين تم إخلاء شبه جزيرة سيناء، وأعيدت الأراضي إلى مصر وفقا لاتفاقية (كامب ديفيد- Camp David)[3]، عاث اليهود تخريباً وفساداً في المنشآت السكنية والصناعية والزراعية، وتركوها مباني خالية، لا يشغلها سوى القمامة ومولدات كهربائية معطلة، بل إن الجنود الإسرائيليين، كانوا يسعون إلى تخريب كل شيء قاموا ببنائه داخل شرم الشيخ، قبل تسليمه للقيادة المصرية، الأمر الذي طال خزانات المياه وأجهزة التكييف في مباني المستعمرة، وهي ما زالت حتى اليوم، تحمل اسم شركاتها باللغة العبرية! وما منعهم من هدم المباني إلا تكوينها الخرساني! وكذا الحال في غزة، عام 2005م، فقد قام الجنود الإسرائيليون الذي تبقوا في القطاع بعد إجلاء المستوطنين، في عشرة أيام متتابعة، بتخريب المستوطنات وزرع الدمار فيها، في سبيل منع الفلسطينيين من استخدامها، أو الاستفادة منها قبل تسليمها، فما أشبه اليوم بالبارحة!

د- أقوال المفسرين في قوله تعالى: ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [الحشر: 2]:

يعني: من له البصارة في أمر الله[4]، هذا النص هو المقطع الأخير من الآية الكريمة، وهو خطاب قرآني للأمة الإسلامية في هذا العصر وفي كل عصر، حيث طغى اليهود وتجبّروا، وحاسوا وجاسوا في أنحاء الأرض، واحتلوا البلاد العربية والإسلامية وقهروا العباد فيها، وكأن الله تبارك وتعالى يخاطب المسلمين اليوم فيقول: لا تيأسوا، ولا يغرنكم أيها المسلمون تقلب اليهود في هذه القوة العسكرية العظيمة، وتمكنهم في الأرض، واستقطاب شعوبها، واستعلائهم الصناعي والتكنولوجي، وامتلاكهم شتى أنواع السلاح الذري والنووي، والتحكم في الاقتصاد والأموال، فقد كانوا كذلك في زمن سابق، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وشتتهم في بقاع الأرض.

([1]) انظر: القيرواني، مكي بن أبي طالب، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، (11/ 7377).

([2]) ابن عطية، عبد الحق، **المحرر الوجيز، تفسير ابن عطية**، (5/ 284).

([3]) معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، وُقّعت عام 1979م، وتعتبر أول خرق للموقف العربي الرافض للتعامل مع الكيان الإسرائيلي.

([4]) ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز** (4/ 365).

وفيه خطاب للأمة: أي اتعظوا يا أصحاب العقول وتفكروا بحال هؤلاء اليهود، كيف كانوا يحتمون في حصونهم وقلاعهم، فخرجوا منها، وغادروها طوع أنفسهم مطرودين، خائفين مذعورين أذلاء، لم ينفعهم الاعتماد على حلفائهم وكثرة أنصارهم، ولا عظمة سلاحهم وأرصدة أموالهم، ولا تغتروا أيها المسلمون ولا تعتمدوا إلا على الله سبحانه وتعالى.

وذكر دروزة في تفسيره: ويتضمن هتاف الآيات بشرى ربانية، تمدّ المسلمين بالروح والقوة والأمل في ظرفهم الحاضر، المشابه للظروف الذي كان فيه المسلمون تحت راية الرسول ﷺ حيث يحتلّ الذين كفروا من بني إسرائيل (الصهيونيون اليهود) في عصرنا هذا جميع فلسطين، عدواناً واغتصاباً، بعد أن شرّدوا معظم أهلها عنها بدعم وتأييد طواغيت الاستعمار الطامعين بالسيطرة على بلاد العرب وثرواتها.[1]

والمسلمون في عصرنا، ظنوا كما ظن أسلافهم، بأنهم ضعفاء غير قادرين على استرداد الأرض المغتصبة، والمغتصبون كذلك، ظنوا بأنهم أقوياء لن يُغلبوا، ولن يقدر المسلمون على استرداد أرضهم، بسبب ما هم عليه هؤلاء من قوة، تمدّهم بها أميركا ودول أوروبا، وباقي دول العالم شرقاً وغرباً، وهم يشكلون في عصرنا الحاضر قادة الاستعمار بردائيه الأسود والأبيض، وبسبب تأييد هذه القوى لهم، استمروا في فجورهم، دون أن يحسبوا حسابا للخالق ولا المخلوق، ولكن النتيجة الحتمية، هي وعد الله المؤكد لهؤلاء بالفشل والجلاء، عاجلا أم آجلا، تاركين وراءهم حصونهم الحصينة، وقلاعهم الممتدة، دون أن تنفعهم وعود حلفائهم وعهودهم، ثم يأتي الله الذين كفروا من أهل الكتاب من حيث لم يحتسبوا، ويقذف الرعب في قلوبهم، ويجعلهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، وأجلاهم عن الأرض المقدسة، والله تعالى قادر على أن يفعل ذلك قريباً مع اليهود الصهاينة، وأنصارهم وحلفائهم مهما بلغ نفوذهم وجبروتهم العسكري.

ومن تحصيل حاصل مما سبق، أن يجتمع المسلمون ويتضامنوا، وينسلخوا من التمزّق بينهم والتخاذل والتهاون، الذي مكّن عدوهم وحلفاءه من احتلال بلادهم، وأن لا يحزنوا أو يهنوا في قتاله، وأن يعدّوا له كل ما يستطيعون من قوة، وقد منحهم الله نعمه العظيمة التي فيها قوى عظيمة لا يمكن إغفالها، كالعامل البشري، والأرض الواسعة وتنوعها، وتنوع مناخها وخيراتها، والموقع الجغرافي المميز الذي يتوسط قارات العالم، والمنافذ المائية الإستراتيجية، لو عرفوا قدرها حق المعرفة واستعملوها، كانوا أقوى الأمم بلا منازع.

الدروس والعبر من سورة الحشر:

من أبرز العبر المستفادة من الآية الثانية من سورة الحشر، هي:

([1]) انظر: دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث** (7/ 304).

1- تحتمل هذه الآية من السورة، على الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم، يظهر في قوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: 2]، فقد اتفق المفسّرون القدامى كلهم دون استثناء، بأن أكثر اليهود توجّهوا بعد جلائهم من المدينة إلى أرض الشام، ومركزها فلسطين وبيت المقدس، وهذا الجلاء الأول، وكان ذلك بداية إجلاءات كثيرة ومتتابعة، خلال مئات السنين من كل أقطار العالم، تصديقا للنص القرآني، وهو ما يعرف في عصرنا اليوم بالهجرات اليهودية إلى أرض فلسطين.

2- تحتمل هذه الآية من السورة أيضاً، على الإعجاز الغيبي للحديث الشريف، فيما روي عنه ﷺ عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما أجلى بني النضير، قال: "امْضوا فهذا أَوَّل الْحَشْرِ، وإنَّا على الأَثَرِ"، وقد لحق جيش المسلمين بجحافل اليهود في أرض الشام سريعا، حينما سيّر الخليفة أبو بكر جيش أسامة لأرض الشام، ثم دخل الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه بيت المقدس وتسلّم مفاتيحها عام 16هـ.

3- إثبات قدرة الله سبحانه وتعالى على تغيير الأحوال وتبديلها، وتصريف الأمور كيف يشاء، دون اعتبار قوى مادية أو شكلية لفريق دون آخر، إلا بالتقوى.

4- أن هؤلاء اليهود، كان الناس في زمانهم، يظنون أن قوتهم وحصونهم التي يتحصّنون بداخلها، لن يستطيع أحد أن يخترقها أو يخرجهم منها، وأنها مانعتهم من الله، ولكن الله أتاهم من حيث لم يحتسبوا، فسلَّط عليهم جنديًّا من جنوده وهو الرعب، فانهارت معنوياتهم وضعفت نفسياتهم، فاستسلموا وخربوا بيوتهم بأيديهم.

5- على الناس أن يعلموا، أن الله الذي أجلى هؤلاء وهم في أوج قوتهم، وأزالهم عن مدنهم وقراهم، بعد أن كانت حصونا وقلاعا، فإنه قادرٌ على أن يزيلهم مرة ثانية وثالثة، إذا هم استمروا في عدوانهم على الشعوب، واستغلال القوة العسكرية والأرصدة المالية للغصب والسيطرة والنفوذ، بالخداع والتآمر، وإثارة الفتن، وإشعال شرارة الحرب على الأمم.

6- أن الله تعالى يمكّن النصر للمسلمين على هؤلاء، بشرط أن يصلحوا أحوالهم، ويُقبلوا على منهج ربهم، وينصروا دينه كما نصره أسلافهم من قبل، فإذا حققوا ذلك، فإنَّ الله سينصرهم وسيهلك عدوهم.

7- وفي السورة أيضاً، بشارة لأهل الإسلام، بأن خذلان اليهود في أرض فلسطين بات قريباً، فلا يهمّهم قوة ذرية أو نووية تمتلكها حكومة يهود، ولا سطوة عسكرية تكنولوجية متطورة، أو قوة صناعية متميزة، أو حليفاً أرعن يأتمر العالم بأمره، فإن الله إذا دبّ الرعب في قلوب هؤلاء القوم جميعاً، فإن كل ما يملكونه سيكون هباء منثوراً، إذا اعتصم المسلمون بالله ولم يتفرقوا، أما إذا انحرفوا يبحثون عن النصر في المناهج الأرضية، فإن النصر سيكون بعيداً أو محالاً.

المبحث الثاني

تحقيق نبوءة أرض الميعاد للشعب اليهودي!

استغلت الصهيونية العالمية مصطلح أسطورة (أرض الميعاد)، لتأجيج الحماس الديني لدى اليهود للهجرة إلى فلسطين؛ انطلاقاً من الادعاءات التوراتية التي ترى أن أرض فلسطين ملك لليهود وحدهم، وعطاء إلهيا لهم يُعتبر فوق القانون الدولي، وأن وجود هذه الأرض ينحصر في التاريخ اليهودي فقط، ولعل هذا هو الأساس الذي ظهرت منه مقولة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

فالأرض الموعودة، أو أرض الميعاد، أو أرض إسرائيل، أو أرض الرب، هي أسماء مختلفة لمعنى واحد هو أرض فلسطين، وهي الأرض التي وعد الله إبراهيم وإسحق ويعقوب بها لهم ولنسلهم من بعدهم، والأرض الموعودة، هي إحدى السبل التي استخدمتها الصهيونية لدفع يهود العالم للهجرة إلى فلسطين واستعمارها، وتستغل هذه الحجة الحوافز الدينية المستوحاة من التوراة لتحقيق الأهداف السياسية للصهيونية العالمية.

ومع أن نصوص التوراة لم ترسم حدوداً جزئية محددة لهذه الأرض، إلا أنها توسّعت وترددت كثيراً في جغرافية هذه الحدود، وأنها تمتد من نهر النيل الذي يتوسط الأراضي المصرية طولاً، إلى نهر الفرات الذي يشق أرض العراق، كما ورد في سفر التكوين: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"...[1].

وفي العصر الحديث، لم تقدم الحركة الصهيونية هي الأخرى حدوداً ثابتة، فقد اكتفى إعلان قيام (دولة) إسرائيل في 1948/5/14 بالإشارة إلى أرض إسرائيل، مهد الشعب اليهودي، أو أرض الميعاد، دون أن يرسم لهذه الأرض حدوداً، مع تحاشي استخدام مصطلح أرض فلسطين، أو الفلسطينيين، أو أرض كنعان والكنعانيين، الذي ينسف ادعاءات الحركة الصهيونية من أساسها؛ بما يحمله من دلالات على الوجود التاريخي غير اليهودي في فلسطين، مع أن هذه المفردات ذُكرت وتكررت مرات عديدة في النصّ التوراتي.

([1]) سفر التكوين، إصحاح (15) فقرات (18-19).

كتب (إسرائيل شاحاك- Israel shahak)[1]: وقيد التداول الآن، نسخ عديدة متناقضة للحدود التوراتية لأرض إسرائيل، التي تعتبرها المراجع الدينية أرض الدولة اليهودية، وأبعد هذه النسخ مدى تشمل المناطق الآتية[2]:

أ- جنوباً: كل سيناء وشمال مصر حتى ضواحي القاهرة.

ب- وشرقاً: كل الأرض، والعربية السعودية وكل الكويت، وجنوب نهر الفرات من العراق.

ت- وشمالاً: لبنان وسوريا وجزءاً كبيراً من تركيا.

ث- وغرباً: قبرص.

والباحث في التوراة، يجد عهوداً لخمسة عشر نبياً من بني إسرائيل بامتلاك فلسطين، في نحو أكثر من (1500) سنة، وتوسعت إلى ما يسمونه بأرض الميعاد، ابتدأت هذه العهود بإبراهيم عليه السلام، قبل نحو (4000) سنة، وانتهاء بملاخي قبل نحو (2400) سنة.

فقد كان تأكيد وعْدُ الربّ، بأن يكون تجديد ملكية أرض الميعاد على حقب زمنية متسلسلة، بحسب النصوص التوراتية، أبرزها:

المرحلة الأولى: أن الرب أعطى هذه الأرض ابتداء إلى إبراهيم ولنسله عموما، يقول النصّ: "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: "ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأبد".[3]

المرحلة الثانية: ثم بعد موت إبراهيم، يتم تأكيد وتجديد العهد والوعد من الرب، بأرض الميعاد، مرة ثانية إلى ابنه إسحق، يقول النص التوراتي: "فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ... وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: "لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ... لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ... وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ...".[4]

([1]) إسرائيلي بولندي، 1933-2001م، ولد في وارسو، وهو من الناجين من الهولوكوست، عمل محاضراً في الجامعة العبرية في القدس، باحث في التاريخ والديانة اليهودية، مؤيد للقضية الفلسطينية. موقع المعرفة، موضوع بعنوان: **إسرائيل شاحاك** /www.marefa.org/

([2]) إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي** (20).

([3]) سفر التكوين، إصحاح (13) فقرات (14-15).

([4]) سفر التكوين، إصحاح (26) فقرات (1-6).

المرحلة الثالثة: ثم بعد موت إسحق، يتم تأكيد وتجديد العهد والوعد من الرب، بأرض الميعاد، مرة ثالثة إلى ابن إسحق وهو يعقوب (إسرائيل) حفيد إبراهيم، ثم أسند العهد بأرض الميعاد لأولاده الأسباط، وهم أبناء يعقوب (إسرائيل) الإثني عشر، الذين تناسل منهم بنو إسرائيل عبر القرون، يقول النص في الكتاب المقدس:

"فَخَرَجَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ.... وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. وَيَكُونُ نَسْلُكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا وَشَمَالاً وَجَنُوبًا...".[1]

ويرد في نص آخر مؤكدا للنص السابق: "وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ... وَقَالَ لَهُ اللهُ: "اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ". فَدَعَا اسْمَهُ "إِسْرَائِيلَ". وَقَالَ لَهُ اللهُ: "أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ... وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ". ثُمَّ صَعِدَ اللهُ عَنْهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ تَكَلَّمَ مَعَهُ".[2]

المرحلة الرابعة: تأكيد العهد لموسى، حيث ورد: "وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللهِ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: "هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ".[3]

المرحلة الخامسة: تأكيد العهد لداود وسليمان: قال الرب لسليمان: "وَأَنْتَ إِنْ سَلَكْتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبٍ وَاسْتِقَامَةٍ، وَعَمِلْتَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَيْتُكَ وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأبد..".[4]

ويقول (غور فيدال- Gore Vidal)[5]، مقدم كتاب (التاريخ اليهودي) للمؤلف (إسرائيل شاحاك- Israel Shahak)، وهو يتّهم مروّجي النصوص التوراتية وقوانينها العقارية، واصفاً الله ساخراً ومستهزئاً (وحاشا لله)

([1]) سفر التكوين، إصحاح (28) فقرات (10-14).

([2]) سفر التكوين، إصحاح (35) فقرات (9-13).

([3]) سفر الخروج، إصحاح (19) فقرات (3-6).

([4]) سفر الملوك الأول، إصحاح (9) فقرات (4-5).

([5]) أديب وكاتب أميركي ناقد، وروائي مسرحي ساخر، 1925- 2012م. انظر صحيفة الحياة، موضوع بعنوان (**غور فيدال**) القاهرة - 18 نوفمبر 2014م. http://www.alhayat.com.

بأنه سمسار عقاري، لأجيال بني إسرائيل المتعاقبة! وذلك بقوله: "وحتى أولئك الذين يميلون إلى الاعتقاد بأن السمسار العقاري العظيم، المقيم في السماء، قد أعطاهم وإلى الأبد، أرض يهودا والسامرة".[1]

ويظهر من تسلسل الوعود الربانية، واختلافها في تمليك الأراضي والعقارات! من نبي إلى آخر، ومن عصر إلى عصر، بأن هذا لا يليق أن يكون من صفات الإله الحق، وهو القائل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾ [آل عمران: 9] وقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ**﴾ [إبراهيم: 47] وقوله تعالى: ﴿**وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ**﴾ [الزمر: 20].

ويجدر الانتباه هنا إلى أمور:

الأول: أن وعد الربّ- حسب نصّ التوراة- كان لإبراهيم ولأبنائه وأحفاده من بعده، وبالتالي فإن أحفاد إبراهيم من ابنه البكر إسماعيل، لهم الحق بهذا الإرث تماماً، مثل حق أحفاده من إسحاق، وهذا- فيما يبدو- من تحريفات اليهود التي أضافوها إلى التوراة بعد ظهور الإسلام، لتوافق هوى في نفوسهم وسياستهم، كما هو معلوم عن أخلاقهم وسلوكهم، في تحريف كتاب الله التوراة، ما دعا إلى تحريف النص، بإضافة تجديد الربّ للعهد، إلى إسحق ثم ابنه يعقوب (إسرائيل)، من دون ذكر ابنه إسماعيل!

الثاني: أن الأصل في عهد إبراهيم عليه السلام، أن يكون العهد لإسماعيل من بعده، باعتباره الابن الأكبر لإبراهيم، بل كان وحيده وقت هذا العهد، وكان عمرة (13) سنة، ولم يكن إسحاق قد ولد بعد، ولا يرى الباحث أي مبرر لإقصاء إسماعيل، إلا أن تكون عنصريه واضحة من أجيال اليهود من بعده، فهو جدّ العرب، وجدّ رسولهم محمّد ﷺ وليس من ذرية بني إسرائيل (يعقوب).

الثالث: أن النصوص الواردة في التوراة- إن كانت صحيحة- لا تُصدّق على يهود هذا العصر، لأنهم ليسوا من مؤمني بني إسرائيل، بل من كفار الأمم المختلفة، والواقع يشهد على هذا.

الرابع: إذا كان النصّ التوراتي، شهد بأن الربّ وعَدَ إبراهيم بهذا العهد، فقد شهد النصّ التوراتي أيضاً، بأن إبراهيم لم يمتلك شيئاً من أرض كنعان، (وهي فلسطين) وكان فيها غريباً، بدليل النصّ: "وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرْبَعَ، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَى إِبْرَاهِيمُ لِيَنْدُبَ سَارَةَ وَيَبْكِيَ عَلَيْهَا. وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَمَامِ مَيِّتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حِثَّ قَائِلاً: "أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي".[2]

([1]) انظر: إسرائيل شاحاك، ترجمة: صالح علي سوداح، **التاريخ اليهودي** (5).

([2]) سفر التكوين، إصحاح (23) فقرات (2-4). جاء في تفسير هذا النص: عاش إبراهيم سنوات طويلة بين قبيلة بني حث، وهي من نسل حث بن كنعان (وهم من العرب)، تفسير الكتاب المقدس - العهد القديم - القمص تادرس يعقوب.

الخامس: تذكر التوراة، أن إبراهيم عندما ماتت زوجته سارة في فلسطين، لم يكن يملك مكاناً ليدفنها فيه، حتى استعطف بني حثّ (وهم العرب) هناك فباعوه قبراً له، كما جاء في النص: "وَكَلَّمَهُمْ (أي إبراهيم) قَائِلاً: "إِنْ كَانَ فِي نُفُوسِكُمْ أَنْ أَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي، فَاسْمَعُونِي وَالْتَمِسُوا لِي مِنْ عِفْرُونَ بْنِ صُوحَرَ أَنْ يُعْطِيَنِي مَغَارَةَ الْمَكْفِيلَةِ الَّتِي لَهُ، الَّتِي فِي طَرَفِ حَقْلِهِ. بِثَمَنٍ كَامِلٍ يُعْطِينِي إِيَّاهَا فِي وَسَطِكُمْ مُلْكَ قَبْرٍ».... فَأَجَابَ عِفْرُونُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلاً لَهُ: "يَا سَيِّدِي، اسْمَعْنِي. أَرْضٌ بِأَرْبَعِ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ، مَا هِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَادْفِنْ مَيْتَكَ".[1]

السادس: أما نصوص الإنجيل، فهي تردّ على اليهود ادعاءهم القرب من إبراهيم عليه السلام، بأنهم أبناء إبليس ويأتمرون بأمره، فنجد عيسى عليه السلام، عندما قال له اليهود: "أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ". قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ". فَقَالُوا لَهُ: "إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا".[2]

في حين يجد الباحث في نصوص القرآن، نهياً لليهود والنصارى عن إقحام إبراهيم فيما يخصّهم، بغير دليل واضح، وهذا هو الصحيح، لأن زمن إبراهيم كما هو معلوم، سابق للتوراة بنحو أربعة قرون وزيادة، والإنجيل نزل بعد التوراة بنحو عشرة قرون تقريباً، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (67) [آل عمران: 66-67].

السابع: بيان القرآن، بأن المؤهل الحقيقي لوراثة العهد بامتلاك الأرض بعد وراثة الدين، هم العباد الصالحون دون سواهم من البشر، وهذا ما حصل في الواقع، إذ سيطر المسلمون على بلاد الشام وغيرها عشرات القرون المتواصلة، من دون انقطاع، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105].

الثامن: أن عهود الرب في النص التوراتي بأرض الميعاد، تتعلق كلها ببني إسرائيل كجنس بشري من دون ذكر اليهود كديانة، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام، ووفق القانون الإسرائيلي، يعتبر الشخص يهودياً إذا كانت أمه يهودية أو جدته لأمه، أو جدة أمه يهودية الديانة، أو إذا تحول الشخص إلى اليهودية، بأسلوب ترضى عنه

---

[1] سفر التكوين (23) فقرات (2-16) ويسود الاعتقاد في أيامنا أن قيمة الشيكل التوراتي تساوي (11.5) غرام فضة، فيكون قيمة شراء مغارة المكفيلاه (4.6) كيلوغرام فضة. راجع موقع: مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، موسوعة المصطلحات، http://www.madarcenter.org

[2] يوحنا، إصحاح (8) فقرات (38-44).

السلطات الإسرائيلية، بشرط أن لا يتحول إلى ديانة أخرى... ويمثل الشرط الأول من الثلاثة، التعريف التلمودي لمن هو اليهودي.[1]

واليهود في أيامنا، احتلوا أرض فلسطين، باعتبارهم بنو (يعقوب) إسرائيل، ولذلك يسمون (دولتهم) إسرائيل، ثم يسعون بأن تكون (دولة) يهودية، وهذا خلط بين الدين والجنس البشري، والواضح من كلام (إسرائيل شاحاك-shahak)، في كتابه الديانة اليهودية، عدم اشتراط القانون الإسرائيلي للاعتراف بشخصية يهودية أن تكون من بني إسرائيل، على اعتبار الجنس البشري، وبالتالي ليس كل يهودي يكون إسرائيلياً بالضرورة، وإن الناظر في اليهود اليوم لا يرى لهم طابعاً شكلياً متقارباً، مما يُعرف في علم الأنساب، إذا التوراة لا تقبل بغير النقاء من بني إسرائيل، فأين يهود اليوم من هذا النقاء![2].

والتاريخ يذكر أن أمماً كثيرة اعتنقت اليهودية من غير بني إسرائيل، مثل سكان اليمن، وبلاد الحبشة، والقوقاز وأواسط أوروبا، وبلاد المغرب، وأكثرهم من الاشكنازيم، وهم يهود الخزر ويمثلون (92٪) من يهود العالم، والسفارديم، وهم يهود البلاد الإسلامية قديماً، ونسبة بني إسرائيل فيهم ضئيلة جداً، بسبب إبادة الملوك لهم عبر الأزمان، لسوء معاملتهم واحتكارهم ثروات البلاد.

التاسع: كما أن التوراة لا تقوم بها حجة على عهد ولا وعد، لأنها محرّفة، وأن أسفار العهد القديم ادّعت مراراً، بأن أنبياء بني إسرائيل وأتباع الأنبياء، كذبوا على الله، وحرّفوا كلامه، واختلقوا أحلاماً كاذبة، ما يدلّ قطعاً بأن هذه النصوص محرّفة أيضاً، فهي تشهد على نفسها بنفسها شهادة حق بأنها محرّفة، وفيها من الدلالة على حجم التحريف والتدليس الذي دخل على هذه النصوص، وهذه مجموعة من الشواهد:

1- ما قاله داود على لسان الربّ، بأن الأحبار يكذبون ويحرفون نصوص التوراة، بدليل النصّ في سفر المزمور على لسان الرب: "مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ؟ الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ".[3]

2- وما قاله أرميا: "فَقَالَ الرَّبُّ لِي: "بِالْكَذِبِ يَتَنَبَّأُ الأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي. لَمْ أُرْسِلْهُمْ، وَلاَ أَمَرْتُهُمْ، وَلاَ كَلَّمْتُهُمْ. بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِل وَمَكْرِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ".[4]

3- وأن الأنبياء، حتى الأنبياء، يكذبون على الشعب ويضلونهم، فضلاً عن الكهنة والأحبار، وذلك بدليل النص: "لِذلِكَ هأَنَذَا عَلَى الأَنْبِيَاءِ، يَقُولُ الرَّبُّ، الَّذِينَ يَسْرِقُونَ كَلِمَتِي بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. هأَنَذَا عَلَى الأَنْبِيَاءِ، يَقُولُ

([1]) انظر: إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي** (14).
([2]) إسرائيل شاحاك، **التاريخ اليهودي** (22)
([3]) سفر المزامير، إصحاح (56) فقرة (5).
([4]) سفر ارميا، إصحاح (14) فقرة (13).

الرَّبُّ، الَّذِينَ يَأْخُذُونَ لِسَانَهُمْ وَيَقُولُونَ: قَالَ. هأَنَذَا عَلَى الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ بِأَحْلاَمٍ كَاذِبَةٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، الَّذِينَ يَقُصُّونَهَا وَيُضِلُّونَ شَعْبِي بِأَكَاذِيبِهِمْ وَمُفَاخَرَاتِهِمْ وَأَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ وَلاَ أَمَرْتُهُمْ. فَلَمْ يُفِيدُوا هذَا الشَّعْبَ فَائِدَةً، يَقُولُ الرَّبُّ"[1].

وعلى هذا الحال، نصدق من ونكذب من؟ في عهود الرب بأرض الميعاد، هل نصدق الرب أو نصدق الأنبياء أو القدّيسين؟ وكلٌ من هؤلاء يكذّب بعضهم بعضا! وحاشا لله من هذه النصوص ومن واضعيها.

العاشر: إن كان اليهود والحركة الصهيونية، يدّعون أرض فلسطين وطناً قومياً لهم، معتمدين في ذلك على عهودهم التوراتية، باعتبارها مقدسة قولاً وعملاً، فلا بدّ من تقديس النصوص كلها من دون استثناء، ومن دون انتقاء أجزاء من دون أخرى، فهذه شواهد توراتية، تشترط على بني إسرائيل العمل بها والتزامها، من أجل امتلاك أرض الميعاد التي يدّعونها، بأن يعبدوا الله ويتقوه، وأن يعملوا الأعمال الصالحة والحسنة، ومن هذه النصوص:

1- يشترط الرب على بني إسرائيل، من أجل امتلاك الأرض الموعودة- كما ورد في نص التوراة- أن يتقوا الله ويعبدوه، وأن يحفظوا وصاياه، وأن يؤدّوا فرائضه، ويعملوا الأعمال الصالحة والحسنة، يقول النص: "فَاحْتَرِزْ لِئَلاَّ تَنْسَى الرَّبَّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ... احْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا. وَاعْمَلِ الصَّالِحَ وَالْحَسَنَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ، وَتَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ".[2]

فهل عبد بنو إسرائيل الربّ حقا كما أمرهم؟ لامتلاك الأرض الجيّدة كما وعدهم، أم أنهم عبدوا العجل زمن موسى وهارون؟ بعد أن نجّاهم الرب من بطش وموت، وسينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، أم أنهم عبدالطاغوت؟ وهم أشد عداوة للذين آمنوا، فباؤوا بغضب على غضب، وباؤوا بسخط من الله، وجعل منهم القردة والخنازير، وهم من أحدثوا كبرى المؤسسات النقدية والاقتصادية في عواصم العالم، وهم من أنشأوا المصارف ويملكون أصولها، ليعمّ الفقر باقي بقاع الأرض، وهل عملوا الصالح الحسن في عيني الربّ، أم أنهم سفكوا دماء البشر في بلاد العرب والإسلام، واستخدموا فيها الأسلحة الفسفورية المحرّمة دولياً، وحطّموا الكهرباء والمستشفيات وباقي الممتلكات؟

2- ومنها تعهّد بسماع التعاليم وحفظ العهود: "وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللهِ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: "هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ

(1) سفر أرميا، إصحاح (23) فقرات (30-32).
(2) سفر التثنية، إصحاح (6) فقرات (10-18).

وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً...."[1].

فهل حفظوا عهد الرب كما أمرهم، وهل سمعوا كلامه؟ أم أنهم قالوا سمعنا وعصينا! فباؤوا بغضب على غضب، وضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما وجدوا؟ أم كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون؟ أم أنهم سمّاعون للكذب أكّالون للسحت والله أعلم بما يصنعون؟

وهذه أوامر ونواهي الله، لموسى عليه السلام لبني إسرائيل، منها عبادات ومعاملات: "لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً... أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ".[2]

فهل نطق اليهود باسم الرب عدلاً وحقاً كما أمرهم؟ أم أنهم قالوا يد الله مغلولة، وقالوا إن الله فقير ونحن أغنياء؟ وقالوا نحن أبناء الله وأحبّاؤه، وقالوا عزير ابن الله! وهل أستجابوا لقول الرب فأكرموا الأرحام وذوي القربى؟ أم أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان؟

3- ومنها وصايا الرب، آداب وأخلاق: "لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ".[3]

هذه وصايا الربّ العشرة المعروفة عند بني إسرائيل، وقد عاشوا عصورا كثيرة يتفاخرون بها أمام شعوب العالم، وما زالوا يتغنّون بها عبر المنتديات والأبواق الإعلامية، ويتلونها كل يوم بكل لغات الأرض، ويتباكون بها على حائط البراق الذي يسمّونه حائط المبكى في أرض الميعاد، وهو الحائط الغربي للمسجد الأقصى، وواقع الحال يشهد بأن مثل هؤلاء كمثل الحمار يحمل أسفارا! فإن كانت أولى وصايا الرب (لا تقتل) البشر، فهم قتلة خير البشر! قتلوا كثيرا من أنبياء الله؛ قتلوا زكريا ويحيى، وقولهم إنا قتلنا عيسى بن مريم، وحاولوا قتل مُحَمَّد ﷺ وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون! وإن كانت الثانية "لا تزن" من وصايا الرب، فقد كانوا وما زالوا أهل الدعارة ودعاتها، وإن كانت الثالثة "لا تسرق" من وصايا الرب، فهم الذين سرقوا كل ذهب وحليّ المصريين قبل خروجهم[4]، وهم من سرقوا الأرض العربية من أهلها، وهم من سرقوا التاريخ الفلسطيني بالسطوة الإعلامية، وهم من سرقوا ثروات الشعوب المغلوبة والأمم المقهورة، وممتلكات الأغيار،

([1]) سفرالخروج، إصحاح (19) فقرات (3-6).

([2]) سفر الخروج، إصحاح (20) فقرات (7-12).

([3]) سفر الخروج، إصحاح (20) فقرات (13-17).

([4]) جاء في النصّ: "طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. 36 وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ". سفر الخروج من الإصحاح (12) فقرات (35-36).

وتلمودهم من يجيز ذلك كله، لأن اليهود عبر التاريخ، وفي كل عصوره، هم أباطرة المال، وعمالقة النهب والسلب القانوني في وضح النهار!

4- ومنها، يهدّد الرب، بني إسرائيل بالهلاك لا محالة، والإبادة إذا هم نكثوا عن عبادته وزاغوا عن تعاليمه، كما ورد: "بَلِ اذْكُرِ الرَّبَّ إِلهَكَ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لاصْطِنَاعِ الثَّرْوَةِ، لِكَيْ يَفِيَ بِعَهْدِهِ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكَ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ. وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلهَكَ، وَذَهَبْتَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا وَسَجَدْتَ لَهَا، أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ لاَ مَحَالَةَ. كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذلِكَ تَبِيدُونَ، لأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ".[1]

يا حسرتا على بني إسرائيل، وقد نسوا الرب إلههم منذ قرون طويلة، وذهبوا وراء آلهة أخرى، وعبدوها وسجدوا لها أيام موسى وهارون، وقد شقّ الرب لهم البحر، ونجّاهم من بطش فرعون وموت محتم، فما أن وصلوا برّ الأمان، نسوا إلههم الحق، وطلبوا من موسى إلها آخر، وما توانوا حتى صنعوا عجلا صنما يعبدونه ويسجدون له! ومع تقدّم العصور والأزمنة، فإن لليهود في كل زمن جديد عجلا صنما يعبدونه، فهل آن أوان الهلاك، وهل حقّت عليهم إبادة الربّ لا محالة؟

5- وفي نص آخر يهدّد الربّ بني إسرائيل، بأن يقْطَعَهم عن وجه الأرض إذا نكثوا، بل ويكونوا محل استهزاء للشعوب كلها، كما ورد في النصّ: «كَمَا كَلَّمْتُ دَاوُدَ أَبَاكَ قَائِلاً: "... إِنْ كُنْتُمْ تَنْقَلِبُونَ أَنْتُمْ أَوْ أَبْنَاؤُكُمْ مِنْ وَرَائِي، وَلاَ تَحْفَظُونَ وَصَايَايَ، فَرَائِضِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا أَمَامَكُمْ، بَلْ تَذْهَبُونَ وَتَعْبُدُونَ آلِهَةً أُخْرَى وَتَسْجُدُونَ لَهَا، فَإِنِّي أَقْطَعُ إِسْرَائِيلَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، وَالْبَيْتُ الَّذِي قَدَّسْتُهُ لاسْمِي أَنْفِيهِ مِنْ أَمَامِي، وَيَكُونُ إِسْرَائِيلُ مَثَلاً وَهُزْأَةً فِي جَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَهذَا الْبَيْتُ يَكُونُ عِبْرَةً.... لِذلِكَ جَلَبَ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ كُلَّ هذَا الشَّرِّ".[2]

فهل حفظ بنو إسرائيل وصايا الرب وفرائضه كما أمرهم؟ وهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت، لبئس ما كانوا يعملون، يأكلون أموال الناس بالباطل والله أعلم بما يكتمون، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فساداً، وقد لعنوا على لسان داود وعيسى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، وهم الذين ظلموا وفسقوا، فلما عتوا عمّا نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين، وهم الذين تأذّن ربك ليبعثنّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، وأنهم أحرص الناس على حياة بما قدّمت أيديهم، يحرّفون التوراة والكلم عن مواضعه، وأنهم كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم، وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه، وهم من احتكر تجارات العالم وصناعاته، وهم عبدالطاغوت، وعبّاد الذهب والأموال، ويعبدون أنفسهم ويعبدون أهواءهم! فهلّا ينفذ وعد

([1]) سفر التثنية، إصحاح (8) فقرات (18-20).
([2]) سفر الملوك الأول، إصحاح (9) فقرات (5-8).

الرب، بأن يقطع إسرائيل عن وجه الأرض؟ ويجلب عليهم كل شر، ويكون اسمهم مثلاً وهزأة بين جميع الشعوب!؟

سؤال: هل حقق بنو إسرائيل شروط الرب لامتلاك أرض الميعاد؟

اليهود عبر قرون سابقة وحاضرة، هم شرّ خلق الله، وأشد الناس عداوة للذين آمنوا، يشهد على ذلك الكتب السماوية، لأنهم قتلة الأنبياء، كفروا برسالة موسى ، وعبدوا صنماً عجلاً بعد أن نجّاهم الله تعالى من الهلاك، وخذلوه وقالوا له: إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، كفروا برسالة عيسى ، وحاولوا قتله وصلبه، وتأليب الملك عليه، قذفوا مريم العذراء واتهموها بالزنا، كفروا برسالة مُحَمَّد ﷺ وحاربوه وحاولوا قتله مرات عدة، قتلوا أشعياء، وزكريا، ويحيى وغيرهم، واحتالوا على الله في حرمة يوم السبت.

وواقع الحال في عصرنا، يشهد بأن اليهود مفترو الكذب على الله وعلى الناس، وهم الخونة ينقضون المواثيق، لقد فاوض بعض الفلسطينيين اليهود سِرًا وجهرًا عقودًا من السنين، فماذا جَنَوْا إلا الجناية على حقوق الأمة الإسلامية بعامة، والشعب الفلسطيني بخاصة، وهم المغضوب عليهم في القرآن والإنجيل والتوراة، يعرفون الحق ولا يتبعونه، ارتكبوا المعاصي، واعتدوا على حدود الله، يحرفون كلام الله في التوراة والإنجيل، ويقولون هو من عند الله، يجتمعون في عداوة أهل الحق، لأن كفر اليهود عناد وجحود، وهم أحرص الناس على حياة، قوم بهتٌ، سماعون للكذب، أكالون للسحت، يأكلون أموال الناس بالباطل، قلوبهم قاسية فهي كالحجارة أو أشدّ، مغرورون ومتكبرون، قالوا: إنهم أبناء الله وأحباؤه، وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم، وقالوا أن الله فقير ونحن أغنياء، وقالوا يد الله مغلولة، وقالوا عزير ابن الله، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، لا يتناهون عن منكر فعلوه، يحسدون المؤمنين، واستحقوا غضب الله، ولعنهم ومسخهم إلى قردة وخنازير.

ومن نظر في عصرنا الحاضر، على ما يصنع اليهود من الإجرام! يجد ما أشبه اليوم بالبارحة، فقد أثاروا الفتن والحروب، واغتصبوا أرض العرب، وألّبوا شعوب العالم ضد أولياء الله فيها، ودنّسوا مساجد الصلاة في فلسطين ومنعوا فيها العبادة، وحرقوا المسجد الأقصى في القدس، وقتلوا النساء والأطفال في باحاته مرات كثيرة، ودنّسوا المسجد الإبراهيمي في الخليل، وذبحوا المسلمين في سجودهم وقت صلاة الفجر، ثم اغتصبوه، وحوّلوه إلى كنيس يهودي لهم، وسفكوا الدماء في عواصم بلاد المسلمين، واستخدموا الأسلحة المحرمة دولياً في ديارهم، وحطموا شبكات الكهرباء، ودمّروا الشوارع، والمدارس، والمستشفيات، والمطارات، وباقي الممتلكات، وأبادوا مئات القرى في فلسطين عام 1948م، وشرّدوا أهلها في جهات العالم الأربع!.

ثم إنهم، كيف يرثون الأرض المباركة، أو المقدسة؟ يوم أمرهم أنبياؤهم بالجهاد، ليمتلكوا أرض الميعاد، والله ﷻ يكشف أمرهم، ويفضح سرّهم التاريخي، إذ: ﴿**قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: 24]، أما في زماننا، فقد استباحوا مساجد وحرمات كثيرة في هذه الأرض، وفي غيرها، كان يرفع فيها اسم الله، ويُقام فيها صلوات، وركوع وسجود، خمس مرات في اليوم، أحالوها في

السنوات الأخيرة، إلى مراقص ومطاعم تشرب فيها الخمور! وصدقت نبوءة يسوع المسيح فيهم، بأنهم شياطين وأبناء إبليس، يتبعونه قولا وعملا، كما جاء في نص الكتاب المقدس، حينما قالوا ليسوع: "... أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ". فَقَالُوا لَهُ: "إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا". [1]

([1]) سفر يوحنا، إصحاح (8) فقرات (38-44).

المبحث الثالث

المستوطنات وبناء الجدار الفاصل

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14]

الجدران العالية والعازلة بين اليهود وغيرهم من البشر، فكرة تراثية توراتية، فالتوراة مليئة بالحديث عن أسوار أورشليم وأريحا، كما أن الانغلاق اليهودي وعدم الاندماج مع الأغيار، أمر معروف على امتداد التاريخ، ومن تلك الجدران ظهرت فكرة (الجيتوهات- ghetto)[1] في العصر الحديث، وكلاهما ليست جديدة على اليهود وطبائعهم، منذ بداية الفكرة الصهيونية منذ بداية القرن الماضي، على يد المفكر العنصري ثيودور هرتسل (Theodor- Herzl) وتأثير ذلك على نفسية اليهودي المعتاد على إنشاء الأجدرة الحسيّة والنفسية على مرّ التاريخ.

قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، هذا خطاب قرآني إلى رسول الله ﷺ وكافة المسلمين، والضمير في (يقاتلونكم) يعود إلى اليهود، لأن اليهود هم اليهود، في كل مكان وزمان، وهم أجبن من المواجهة المباشرة مع المسلمين.

وقد نزلت هذه الآية في بيان الطبيعة النفسية لليهود أثناء قتالهم، فهي طبيعة واهية في المجمل، تخاف الموت وتحرص على الحياة، فلا ينبغي للمسلم أن يهابها في أثناء القتال، حتى لو كانت القوة المادية في العدة والعتاد لصالحهم، وبرعوا في التعصب ضد كل من سواهم من البشر عامة، ولذلك كان الشعور المسيطر هو خوفهم من الأمم المحيطة بهم، فعاشوا عبر التاريخ وراء القُرى المحصنة، والجُدران المرتفعة، والموانع والعوائق المتعددة، أو في أحياء مغلقة.

كذلك، فإن هذه الآية تقرر حقيقة بني إسرائيل الباطنة، وعدم قدرتهم على المواجهة المباشرة مع المسلمين، وأن أصدق الكلام هو كلام الله تعالى، وهو الحق الذي لا بدّ أن يكون.

([1])كلمة معربة مفردها (جيتو) وهي تشير إلى منطقة يعيش فيها مجموعة من السكان، طوعاً أو كرهاً، على خلفية عرقية أو دينية أو ثقافية معينة. انظر: قاموس المعاني الألكتروني، **جيتو**، /www.almaany.com/ar/dict/ar-en/ghetto

ويُلاحظ في الآية، فصل بين القرى المحصنة والجُدُر بحرف العطف (أو)، والمعهودُ منْ عطفِ الخاصِّ على العامِّ، أنْ يكونَ بالواوِ دونَ سائرِ حروفِ العطفِ، ولذا فلا بدّ أن للعطف بـ (أو) فائدة أخرى، وهي أن اليهود يقاتلونكم في حالتين:

الأولى: أن يتحصّنوا منكم أيها المسلمون، بداخل قُراهم التي بالغوا في تحصينها.

الثانية: الخروج للقائكم، وذلك يستلزم ترك القرى المحصنة، ولما كانوا أجبن من ذلك، فقد كانت فكرة الجدار هي الأنسب لهم، لكي يتمكنوا من التحرك خارج حصونهم.

وقيل في تفسير: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ ،"يَعْنِي: أَنَّهُمْ مِنْ جُبنهم وهَلَعهم، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مُوَاجَهَةِ جَيْشِ الْإِسْلَامِ بِالْمُبَارَزَةِ وَالْمُقَابَلَةِ، بَلْ إِمَّا فِي حُصُونٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ مُحَاصَرِينَ، فَيُقَاتِلُونَ للدفع عنهم ضرورة".[1]

وقيل: "﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ يَعْنِي الْيَهُودَ ﴿إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ أَيْ بِالْحِيطَانِ وَالدُّورِ، يَظُنُّونَ أَنَّهَا تَمْنَعُهُمْ مِنْكُمْ، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أَيْ مِنْ خَلْفِ حِيطَانٍ يَسْتَتِرُونَ بِهَا لِجُبْنِهِمْ وَرَهْبَتِهِمْ".[2]

وقيل: إن اليهود والمنافقين من جبنهم وهلعهم لا يواجهون جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة، ولا يقاتلونهم مجتمعين، بل يقاتلونهم إما وراء الحصون والدروب والخنادق، أو من خلف الأسوار والحيطان التي يستترون بها، لجبنهم ورهبتهم، فيقاتلون للدفاع عنهم ضرورة، وقد لمس العرب هذا الأسلوب في حروب اليهود في فلسطين في عصرنا.[3]

وليس عجيباً، أن تطلب عدوك الضعيف للقتال، فيتحصّن منك، لكن العجيب أن يطلبك العدو القوي ليقتلك، وأنت الضعيف الأعزل من السلاح، فيتحصّن هو منك!.

وذكر المعاصرون: لا يقاتلونكم- أي: اليهود والمنافقون- جميعاً إلا في قرى محصنة بالتحصينات التي عرفوها والتي ستُعرف في المستقبل، أو من وراء جدار، نعم رأيناهم في حروب فلسطين لا يقاتلون الناس إلا كذلك، فإن أفئدتهم هواء، وقلوبهم مليئة بالجبن والخور والضعف، وحب الدنيا وكراهية الموت، والخوف الموروث من المسلمين، وهم إن أبدوا شجاعة ظاهرية لا تلبث أن تذهب.[4]

ويقول في الظلال: وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة المنافقين وأهل الكتاب، حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان، بشكل واضح للعيان، ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في الأرض

([1]) ابن كثير، أبو الفداء، **تفسير القرآن العظيم** (8/ 74).

([2]) القرطبي، محمد، **الجامع لأحكام القرآن** (18/ 35).

([3]) انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (28/ 98).

([4]) انظر: الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح** (3/ 650).

المقدسة، بين المؤمنين الفدائيين وبين اليهود، مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولوا الأدبار كالجرذان، حتى لكأنّ هذه الآية نزلت فيهم ابتداء.[1]

أمّا ما يشاهد اليوم من هزائم العرب مع اليهود، فإنما ذلك لسببين[2]:

الأول: قلة الإخلاص لله تعالى؛ فإن كثيراً من الذين يقاتلون اليهود، أو أكثرهم، لا يقاتلونهم باسم الإسلام، وأن تكون كلمة الله هي العليا؛ وإنما يقاتلونهم باسم العروبة؛ فهو قتال عصبي قَبَليّ؛ ولذلك لم يفلح العرب في مواجهة اليهود.

والسبب الثاني: كثرة المعاصي من كبيرة وصغيرة؛ حتى إن بعضها ليؤدي إلى الكفر.

والسبب الثالث: تخلي القيادة العربية الإسلامية عن الخطاب القرآني والتوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: 103].

إذن، يُستنتج مما سبق، بأن العرب والمسلمين في حربهم مع اليهود، كانوا يقاتلون بدعوى القومية لا بدعوى الفكر الديني، وأن تأثير الإسلام ودوره في تلك الحروب لا ينطبق تماما ما وصف به القرآن أخلاق المسلمين وسلوكهم، وأهمها الاعتزاز بالله وقوته العظيمة، لا الاغترار (بالتكنولوجيا) العسكرية للعدو، فقد سُئل القائد عمر المختار، كيف يمكن قتال إيطاليا وطائراتها وهو يملك الحمير والدواب؟ فأجاب: مهما اعتلت طائراتهم فوقنا، فإن عرش الله أعلى!

أولاً: تفسير معاصر لقوله تعالى ﴿قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ [الحشر: 14]

ويُقصد بها في أغلب التفاسير المعاصرة اجتهاداً: أنها المستوطنات اليهودية المستحدثة، التي أقيمت على أراضي الفلسطينيين المغتصبة بالقوة، فقد ظهر أول نشاط استيطاني يهودي على أرض فلسطين عام 1840م، ومع بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1920م، بدأت المؤتمرات الصهيونية العالمية بالانعقاد، من أجل تكثيف عمليات استملاك الأراضي الفلسطينية، ثم تدفقت الهجرة اليهودية بأعداد كبيرة حتى إعلان قيام (دولة) إسرائيل عام 1948م، على (77%) من مساحة فلسطين التاريخية، وفي عام 1967م، تمكنت إسرائيل من احتلال كافة الأراضي الفلسطينية، وقد بلغ مجموع عدد المستوطنات في الضفة الغربية (474) مستوطنة حتى العام 2012م[3].

---

(1) انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (6/ 3529).

(2) انظر: العثيمين، محمد بن صالح، **تفسير الفاتحة والبقرة** (1/ 219).

(3) انظر: عيسى، حنا، استاذ القانون الدولي، **المستوطنات في الضفة**، موقع قدس نت، /http://qudsnet.com

ويعتبر (مارتن لوثر- Martin Luther)، رائد حركة الإصلاح الديني في أوروبا، أول مفكر أوروبي أطلق فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين، بمباركة المذهب البروتستانتي، كما ويعتبر الإمبراطور الفرنسي (نابليون بونابرت-Napoléon Bonaparte) ، أول زعيم سياسي وقائد عسكري، يقترح إنشاء (دولة) يهودية في فلسطين، أثناء حملته الشهيرة على مصر وسوريا عام 1799م، ثم بدأت طلبات السفير البريطاني لدى السلطان العثماني للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وقد تزامنت مع ضعف الدولة العثمانية، وزيادة الأطماع الأوروبية في ممتلكاتها.

وإحصائيات اليهود تذكر، أنه كان لهم عام 1882م خمس مستعمرات تضم (500) يهودي، وفي عام 1900م بلغ عددها (22) تضم (5210) يهودي، وفي عام 1914م، كان عدد هذه المستعمرات (47) تضم (85) ألف يهودي، وفي عام 1948م، بلغ عدد المستوطنات التي أنشئت في فلسطين المحتلة (317)، وفي نهاية عام 1963م، كان عددها (486) مستعمرة في مختلف أنحاء البلاد.[1]

والاستيطان السياسي، هو الاستيلاء والسيطرة الإسرائيلية العملية على الأرض الفلسطينية أولا، يتبعه تجمع بنائي- قد يضم عشرات الآلاف- يُقام على الأراضي المسلوبة من أصحابها بالقوة، لتحقيق إستراتيجية أساسها الاستيطان الاستعماري الاحتلالي التوسعي، بعد طرد سكانها لأسباب احتلالية وخرافات دينية توراتية، وحجج تاريخية زائفة، وترويج مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، من خلال عدوان عالمي متواصل، أداته إرهاب الدولة الرسمي، وغايته تهويد الأرض المسلوبة، وتغيير صفاتها الجغرافية والتراثية الموروثة عن الآباء والأجداد، وخلق حالة من سياسة الأمر الواقع، والتبعية للكيان المحتل، لمنع التوصل إلى أية تسوية بإقامة وحدة جغرافية سياسية أو اجتماعية للسكان الفلسطينيين، فقد لا تخلو أية منطقة فلسطينية من تواجد هذا الوباء السرطاني، بهدف السيطرة على كامل الأرض الفلسطينية.

أ- المستوطنات الإسرائيلية والقانون الدولي:

تعريفها المستوطنات اليهودية في فلسطين: هي التجمعات السكانية الاستعمارية اليهودية، صغيرة أو كبيرة، على شكل قرى أو مدن، بُنيت على الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل، في فلسطين وسوريا ومصر، ويسميها الفلسطينيون مغتصبات، بسبب أن الكيان الصهيوني العسكري اغتصب أراضي الفلسطينيين بالقوة، وأقام عليها هذه المستوطنات، ويسمي سكان هذه التجمعات مستوطنون، وقد بلغ مجموع سكان هذه المستوطنات في أراضي الضفة الغربية وحدها، في أوائل عام 2016م حوالي (407) آلاف مستوطن يهودي، بالإضافة إلى (20) ألف مستوطن في الجولان السوري المحتل، وقُدّر عدد المستعمرات التي أقيمت في الضفة الغربية منذ الاحتلال في عام 1967م، وحتى عام 1990م بحوالي (212) مستعمرة، تضم حوالي (90) ألف مستوطن

([1]) انظر: دباغ، مصطفى مراد، **بلادنا فلسطين** (153- 319).

يهودي، إضافة إلى (120) ألف مستوطن يهودي في القدس، وقد بلغ عدد المستوطنين اليهود في الضفة والقطاع حتى نهاية عام 1992م حوالي (135) ألف مستوطن.[1]

وقد ورد في معاهدة جنيف الرابعة[2]، خصوصاً في:

1- (المادة 49، الفقرة 6) التي تحظر على القوة المحتلة نقل مجموعات من سكّانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها.

2- والمادة (46) من أنظمة لاهاي التي تحظر مصادرة الممتلكات الخاصّة.

ويمثل النشاط الاستيطاني الإسرائيلي في فلسطين، أحد أخطر الممارسات التي تهدف إلى منع قيام تواصل سكاني مجتمعي، على الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام 1911م، فهو يمثل الوجه الآخر المكمّل لعملية الاحتلال، وتفريغ الأرض من سكانها العرب، والسيطرة عليها، ناهيك عن كونها الحزام الأمني والاقتصادي للداخل الصهيوني، وتوطين أكبر عدد من المهاجرين اليهود في الأراضي الفلسطينية، لإخلال الميزان (الديمغرافي- Demography)[3] لصالح اليهود في نهاية المطاف، في منهاج تدريجي ومبرمج في عملية التوسع، غير محدد بموقع أو زمن.

ب- أبرز مراحل بناء، وطرق تحصين هذه التجمعات:

1- محصّنة، باختيار المناطق المرتفعة من الأرض، على الأغلب، منها قمم الجبال المرتفعة، والهضاب، على عكس الرغبات عند الشعوب في شتى أنحاء العالم، باختيار المناطق السهلية دون الوعرة.

2- محصّنة، في بناء جدار إسمنتي مرتفع حول هذه التجمعات.

3- محصّنة، بإنشاء شبكة من الأسلاك الأمنية الكهربائية، فوق هذه الجدر المرتفعة، لاستحالة المرور عنها أو تجاوزها.

4- محصّنة، بإنشاء نظام أجهزة المراقبة الألكترونية، ونشر كاميرات وفق مسافات مبرمجة ومنتظمة، على طول الحدود الفاصلة مع الفلسطينيين.

([1]) عودة، يونس، موضوع بعنوان: **الضفة الغربية أرض المستوطنات**، العدد (245)، تشرين ثاني 2005م، موقع مجلة (الجيش) www.lebarmy.gov.lb/ar/content/الضفة-الغربيةأرض-المستوطنات. انظر: موقع جريدة الرأي، يوم 1992/11/22م. انظر: موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، موضوع بعنوان **الهجرة اليهودية**، http://info.wafa.ps

([2]) د حنا عيسى – استاذ القانون الدولي، **المستوطنات في الضفة**، موقع قدس نت، http://qudsnet.com/

([3]) مصطلح يختص بعلم السكّان؛ وهو عبارة عن دراسة لمجموعة من خصائص السكّان، منها الكثافة السكانيّة، والتّوزيع، والنموّ، انظر **قاموس المعاني الالكتروني** www.almaany.com/ar/dict/ar-en/demographic

5- محصّنة، بإقامة عوائق طبيعية مصطنعة، كالحواجز المائية والكتل الإسمنتية والجدر الترابية، لإحباط وتصعيب عمليات التسلل داخل هذه التجمعات.

6- محصّنة، بإنشاء طرق أمنية محاذية على طول الجدر والحدود الفاصلة، لتسيير دوريات عسكرية مزدوجة، لما يسمى بحرس الحدود التابع لجيش الاحتلال الإسرائيلي.

7- محصّنة، بإقامة طرق ترابية محاذية لحدود المستوطنات، ومغطاة بالرمال الناعمة لكشف الأثر.

8- محصّنة، بإنشاء أبراج مراقبة عالية، مزودة بكاميرات التصوير المتطورة، ذات الحساسية لأية حركة عن بعد، وبنادق رشاشة تطلق الرصاص تلقائياً على أي جسم يتحرك.

9- محصّنة، بإنشاء شبكة من الأسلاك الأرضية الشائكة حول المستوطنات، وأجهزة الاستشعار المرتبطة بالمراكز الأمنية العسكرية.

10- محصّنة، بوضع مكعبات إسمنتية، وحراسة شرطية، حول بوابات هذه المستوطنات، ومواقف انتظار الحافلات فيها، تجنبا لأعمال اقتحام عربات الفلسطينيين، وحوادث الدعس المتكررة فيها.

ويرى أحد علماء التفسير المعاصرين في قوله تعالى: ﴿**قُرًى مُحَصَّنَةٍ**﴾

قال: لقد شهدتْ الاشتباكات الأخيرة، أو بعدها في الأراضي الفلسطينية، بين الفدائيين وبين اليهود، مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصّنة في أرض فلسطين، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولّوا الأدبار كالجرذان، حتى لكأنّ هذه الآية نزلت فيهم ابتداء، وسبحان العليم الخبير.[1]

ثانياً: تفسيرات معاصر لقوله تعالى ﴿وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: 14]

قيل في تفسير قوله تعالى:" ﴿**أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ**﴾ أي من خلف حيطان".[2]

وقرئ: جدر، بالتخفيف، وجدار وجدر، وهما: الجدار[3].

وفي رواية: أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبان: "من وراء جدار" بألف.[4]

وقيل: جمع جدار وهو كالحائط، إلا أن الحائط يقال اعتباراً بالإحاطة بالمكان، والجدار يقال اعتباراً بالنتو والارتفاع[1].

([1]) المقدم، محمد أحمد إسماعيل، **تفسير القرآن الكريم**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 204 درسا] (166/ 6)، بترقيم الشاملة آلياhttp://www.islamweb.net

([2]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (23/ 291).

([3]) انظر: الزمخشري، أبو القاسم، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** (4/ 507).

([4]) انظر: الجوزي، أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير** (4/ 261).

وقيل الْمَعْنَى: "﴿مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾، أَيْ فِي الْحُصُونِ وَالْمَعَاقِلِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَسْوَارِ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ مَصِيرِهِمْ إِلَى الْهَزِيمَةِ"[2].

وقيل: معنى جدر، جمع جدار، والراجح أن الكلمة هنا بمعنى السور أو الحواجز الحجرية التي تكون حول الدور.[3]

بدأت القوات الإسرائيلية بقيادة (أرئيل شارون- Ariel-Sharon) عام 2002م، عملية عسكرية واسعة في الأراضي الفلسطينية، أطلقت عليها اسم السور الواقي، قامت فيها باجتياح كامل المدن والقرى الفلسطينية، ثم أصدر (شارون) أوامره لتنفيذ خطط الفصل، وخصصت لها الميزانيات الكبيرة، تقضي بإقامة جدار الفصل العنصري، الممتد على طول الخط الفاصل بين التجمعات السكانية الفلسطينية واليهودية، بدعوى منع تسلل منفذي العمليات الفدائية إلى المناطق ذات الزخم السكاني الإسرائيلي، بعد أن سيطرت إسرائيل على أغلب الأراضي الفلسطينية، وامتلكت من السلاح والعتاد نصيبا عظيما، كان ذلك أكبر دليل على الخوف المسيطر على نفوس اليهود، لا ينفك عنهم، حتى ولو انتصروا على عدوهم ميدانياً.

أ- مواصفات الجدار:

يبلغ طول جدار الفصل العنصري الذي أقامته حكومة الاحتلال على الأراضي الفلسطينية نحو (770) كم، ويتراوح عرضه من (60- 150) مترا، ويتوسطه جدار إسمنتي يصل ارتفاعه (8) أمتار، وأسلاك شائكة، وخندق يصل عمقه أربعة أمتار، وعرضه كذلك، وطريق للدوريات، وطريق ترابية مغطى بالرمال لكشف الأثر، وسياج كهربائي، ثم طريق ترابية ثانية مغطى بالرمال لكشف الأثر، ثم طريق معبد مزدوج لتسيير دوريات المراقبة، وأبراج مراقبة مزودة بكاميرات وأجهزة استشعار.[4]

ويمتد الجدار الشرقي من الشمال نحو الجنوب بحوالي (200 كم)، حيث تعزل وتستولي السلطات الإسرائيلية من خلاله على منطقة الأغوار، التي تعتبر سلة فلسطين الغذائية، والمصدر الرئيسي للغذاء للشعب الفلسطيني، وقد تضرر نتيجة بناء هذا المقطع من الجدار، ثماني محافظات فلسطينية تشمل حوالي (180) تجمعاً، والغالبية العظمى منها في شمال الضفة الغربية، ومحافظة القدس، ومحافظتي رام الله والبيرة ومحافظة الخليل.[5]

([1]) انظر: حقي، إسماعيل، **روح البيان** (9/ 441).

([2]) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (28/ 105).

([3]) انظر: دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث** (7/ 321).

([4]) انظر: جبالي، صقر، مقال بعنوان: الدار العازل، وحدة البحوث البرلمانية، **وفا- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية.**http://www.wafainfo.ps /

([5]) انظر: جبالي، صقر، وحدة البحوث البرلمانية، وفا- **وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية.**
/http://www.wafainfo.ps

سؤال: هل حقق هذا الجدار، الأمن الإسرائيلي المزعوم؟

حين يُنظر في الواقع المعاصر، لم يعد ينفع الجدار أو الجُدُر، أو القرى المحصنة في الحروب الحديثة، فالطائرات والصواريخ لا يمنعها جدار ولو كانوا في قرى محصنه.

كما أن الفدائيين الفلسطينيين، وإن تعذر عليهم تنفيذ هجماتهم في المدن الإسرائيلية الكبرى المحصنة، التي تقع داخل الجدار، فإن بإمكانهم تنفيذها ضد السكان اليهود الذين يتنقلون في الطرقات العامة المشتركة مع الفلسطينيين، بعد خروجهم من تحصناتهم، وهو ما عبر عنه عضو الكنيست (إيلي كوهين- Eyli Koheen)، ممثل مجلس المستوطنات في حزب الليكود.[1]

ب- وهناك تفسيرات أخرى معاصرة لبيان طبيعة الجدار، كان أبرزها:

1- السواتر الترابية العملاقة، كخط بارليف (Parlif) في العصر الحديث، الذي أقامته إسرائيل بعد انتصارها التاريخي في حرب 1967م.

كان خط بارليف (Parlif)، أقوى خط دفاعي في التاريخ الحديث، وهو بمثابة جدار من حاجز ترابي ضخم، تم تحصينه بالاسمنت المسلح والكتل الخرسانية، للوقاية ضد احتمالات القصف الجوي والمدفعي، يفصل بين الحدود المصرية وحدود الكيان الإسرائيلي، قامت قيادة الكيان الإسرائيلي بإنشائه عام 1967م، بعد أن اقترحه (حاييم بارليف-Haim Parlif) رئيس الأركان حينئذ، على طول قناة السويس، يتكون من تجهيزات هندسية، ومرابض للدبابات والمدفعية، والمدرعات، ووحدات مدفعية ميكانيكية، بساتر ترابي ذي ارتفاع يتراوح ما بين (20 إلى 22) متراً، وانحدار بزاوية (45) درجة على الجانبين، ويتصل كل موقع بالمواقع الأخرى، سلكياً ولاسلكياً، بالإضافة إلى اتصاله بالقيادات الأمنية المحلية والدولية، وبلغت تكلفة بنائه حوالي (500) مليون دولار وقتئذ، وذلك من أجل تأمين سلامة بقاء الكيان المذعور، وتحصين مواقع الجيش الإسرائيلي بعد احتلال الأراضي العربية، وقد روّجت إسرائيل طويلاً لهذا الخط، على أنه مستحيل الاختراق، وأنه يمكّن جيشه من إبادة الجيش المصري، إذا ما حاول عبور هذا الحاجر.

ولكن، سرعان ما تمكن الجيش المصري في يوم السادس من أكتوبر عام 1973م، من التغلب على هذا الخط العملاق، وأفقد العدو توازنه في أقل من ست ساعات، حيث بدأ الهجوم بالضربة الجوية، مستغلا عنصري المفاجأة والتموية، كما تم استغلال عناصر أخرى مثل المد والجزر، واتجاه أشعة الشمس، لاختراق الساتر الترابي، وإزالة (3) ملايين متر مكعب من التراب، عن طريق استخدام مضخات مياه ذات ضغط عال.

([1]) انظر: جبالي، صقر، **وحدة البحوث البرلمانية**، وفا- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية. /http://www.wafainfo.ps

2- شجر الغرقد:

إعجاز غيبي جاء به الرسول ﷺ يصف مقاتلي اليهود بالجبن، وحبّ التخفي وراء الجدران، فصدقه واقع اليهود قديماً وحديثاً، بل إلى قيام الساعة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عبداللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"[1].

قال الإمام النووي: وَالْغَرْقَدُ نَوْعٌ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ مَعْرُوفٌ بِبِلَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُنَاكَ يَكُونُ قَتْلُ الدَّجَّالِ وَالْيَهُودِ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيُّ: إِذَا عَظُمَتِ الْعَوْسَجَةُ صَارَتْ غَرْقَدَةً[2].

ويعكف اليهود في أنحاء أرض فلسطين على زراعة شجرة الغرقد، ربما بسبب توجيه الحاخامات لهم، وما ذلك إلا لعلمهم اليقين بما جاء في الحديث الذي ورد في صحيح مسلم، ولعلم اليهود بأنهم سيختبئون ذات يوم، خلف الحجر والشجر، وسيكون المسلمون شرقي نهر الأردن واليهود غربية، كما ذكر في أحاديث أخرى، ولن يجدوا ملاذاً من الفرار سوى ذلك.

وتأكيد لما سبق، فقد ذكرت صحيفة (يديعوت أحرونيوت) الإسرائيلية، أن السلطات هناك، تعتزم زراعة آلاف الأشجار في مناطق الحرب القريبة من غزة، والمناطق المحاذية للحدود الشمالية القريبة من لبنان، وأضافت بأن زراعة هذه الأشجار في وقت سابق، تمكنت من صد هجمات صواريخ المقاومة، دون أن تذكر اسم شجرة بعينها، علما بأن هذه الصحيفة نشرت إلى جانب الخبر، صورة توضيحية يظهر فيها شجر الغرقد على طول الشارع الذي يتوسط مدينة (أشكلون) الإسرائيلية.[3]

فها هي العقيدة الجدارية لليهود، التي تخشي من قتال المسلم في المستقبل، فتوسعت في زراعة شجر الغرقد على أرض فلسطين، ليكون لهم بمثابة الجدار الواقي، حين تخذلهم كل الجدران التي يختبئون خلفها.[4]

الحماية الدولية: فاليهود حين أتوا إلى فلسطين، أتوا بحماية من إنجلترا ووعد (بلفور- Arthur Balfour)، ودعم دول أوروبا وأمريكا[5]، فأمدتهم بوسائل (التكنولوجيا- Technology) الحديثة والسلاح، وأصبحوا كالجدار الذي يمنع الكيان اليهودي من أعدائهم، فاليهود لكي يقاتلوا المسلمين، لا بدّ لهم من الاعتماد على مساندة قوية من دول قوية، وهى تمثل الجدار أو الجدر التي أشارت إليها الآية.

([1]) نيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، (4/ 2239).

([2]) النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (18/ 45).

([3]) موقع صحيفة يديعوت أحرونيوت، صورة ضوئية، يوم 2014/9/4م، الساعة 12:31

([4]) نجا، د. محمود عبدالله، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، الإعجاز الغيبي في وصف قتال اليهود من وراء الجُدُرhttp://m.quran-m.com /

([5]) قطب، مُحَمَّد إبراهيم عبدالغنى، مقال بعنوان: **سلسلة التحدي بالقرآن**– مصر، يوم الاثنين 12/8/ 2008 www.alsrdaab.com

جاء في التفاسير المعاصرة: إنهم دائمًا في ذلة، إلا أن يبتغوا العزة من جانب عهد وحبل من الله، أو من جانب حماية من الناس، ونحن نراهم على هذا الحال في حياتنا المعاصرة، لا بدّ لهم من العيش في كنف أحد؛ لذلك فعندما حاربنا "إسرائيل" في حرب أكتوبر، انتصرنا عليهم، إلى أن تدخلت أمريكا بثقلها العسكري، فقال رئيس الدولة المصري (السادات) حينذاك: "لا جَلْدَ لي أن أحارب أمريكا".[1]

3- حماية الصناعات الثقيلة: فلو ترك اليهودي قريته المحصنة، فإن حرصه على الجدار كأشد ما يكون، وهو في كل أحواله مع المسلمين، مابين قرية محصنة أو جدار يختبئ خلفه، وإن كان اليهودي مدججاً بالسلاح ويلبس شتى أنواع السترات الواقية، وقد ظهرت صور جنودهم المدججين بالسلاح، يختبئون خلف جدران دباباتهم ومدراعاتهم، خوفاً من أطفال وشباب فلسطين العزل.

قال المعاصرون: لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً أي: مجتمعين يعني: اليهود والمنافقين، إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ، أي: في القلاع والحصون، أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ، كالدبابات والمدرعات والمصفحات، ومن عرف أن الاحتماء وراء الصناعات الثقيلة، وهذه نظرية جلية، يعتمده اليهود أثناء القتال في عصرنا تقوم على التحصينات المكثفة، والجيوش المحمولة على الدبابات والطائرات والمصفحات، أدرك أن هذا القرآن من عند الله الذي وسع علمه كل شئ.[2]

وهذا ما ظهر جلياً في حربهم ضد حزب الله في لبنان، وفي حرب غزة، فطالما أنهم وراء دباباتهم وغواصاتهم، وسفنهم وطائرتهم، فهم يهاجمون بضراوة، أما أن ينزلوا من خلف الجُدُر ليقاتلوا وجها لوجه، وليستولوا على الأرض، فهذا هو ما لم يستطيعوا فعله لفرط جبنهم، ولفرط حرصهم على الحياة.[3]

4- بندقية طلقة الزاوية (CORNER SHOT)، حيث نشرت وسائل إعلام إسرائيلية وعالمية مختلفة، في السنوات الأخيرة، شريط فيديو يكشف عن صناعة بندقية حديثة ومتطورة، أساسها مفصل متحرك في القسم الأمامي للسلاح، بزاوية (90) درجة، وهي من إنتاج الصناعات العسكرية الإسرائيلية، يعتمد استخدامها على تمركز المقاتل الإسرائيلي وراء حائط، بحيث لا ينكشف للعدو، ويظهر من خلال الصور والتسجيلات، وجود كاميرا فيديو ملونة قابلة للفصل في مقدمة البندقية، بالإضافة إلى شاشة عرض، يمكنه بها مشاهدة ما خلف الحائط، بدرجة عالية من الدقة، دون تعريض حياة الجندي للخطر، مع استخدام كاتم للصوت، وبطارية قابلة للشحن والتبديل، قام بإختراع هذه البندقية الكولونيل الإسرائيلي (عاموس جولان- Amos Golan)، وقد حصلت على إعجاب قوات الوحدات الخاصة في كثير من الدول.

([1]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (3/ 1684).

([2]) انظر: حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير** (10/ 5825).

([3]) انظر: الغيبي نجا، د. محمود عبدالله، **الإعجاز في وصف قتال اليهود من وراء الجُدُر**، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، http://m.quran-m.com/

كما ويظهر في تسجيلات كثيرة ومختلفة، عدد من جنود الاحتلال، يمارسون استخدام هذا النوع من السلاح الجديد، في مدن وقرى عربية فلسطينية، ويتمكنون وراء جدران الأبنية القديمة التي يتميّز بها السكان الأصليون، في الشوارع والأزقة والمخيمات، بحيث يختبئ الجندي خلف جدار أحد المنازل الفلسطينية، ويطلق النار على الهدف.[1]

5- التكتل في مجموعات يهودية مستقلة، من دون غيرهم، يحتمون فيها كما يحتمون داخل جدار، ويجدون في ذلك سبباً للأمن والأمان فيما بينهم، داخل إطار العقلية الجدارية، ما يدل على الخوف والرعب في نفوسهم، هذا يظهر بوضوح في فلسطين ودول العالم الأخرى، فهم يتجمعون على شكل جاليات مميزة، يقول الشيخ الشعراوي: "وإلى يومنا هذا، إن نظرت إلى ساحات اليهود في أي بلد من بلاد الدنيا، تجد أنهم يقطنون حيّاً واحداً، ويرفضون أن يذوبوا في الأحياء الأخرى، ففي كل بلد لهم حي يسكنون فيه، ويسمى باسم "حي اليهود"، وكانت لهم في مصر "حارات" كل منها تسمى باسم "حارة اليهود"، وهم يحتمون بتواجدهم معاً، فإن حدث أمر من الأمور يفزعهم؛ يصبح من السهل عليهم أن يلتقوا".[2]

وها هي الآية تتحقق بصورة كاملة، فهم لا يعيشون إلا في قرى محصنة، وهي كالمستوطنات، وهي النموذج الذي استقر عليه بناء (الدولة) اليهودية، ويأتي أخيرا الجدار أو الجدر، ولكن هذه التحصينات لن تدفع عن المتحصنين وراءها شبح الهلاك المحتوم...[3].

ومما لا شك فيه أن الجدار يشكل أكبر نصر للفلسطينيين والعرب، فلا خطر إطلاقاً من (دولة) أعلنت نفسها حارة أو غيتو، وقد أصبحت محاطة بالجدران والخنادق وحقول الألغام ووسائل الإنذار الالكتروني، وستظل خائفة ومترقبة حتى من الهواء الطلق، وذلك هرباً ممن يلاحقهم جراء ما اقترفت أيديهم، ودخول زنزانة الغيتو برضاه، وعلى نفقته!.

([1]) http://www.israeli-weapons.com/Corner_Shot.htm
Future Weapons - Corner shotwww.youtube.com

([2]) الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي** (10/ 6162).

([3]) انظر: أبو الهيجا، إبراهيم، **سجلات جدار الفصل العنصري** (488).

الفصل الثالث

سورة الإسراء وتباشير نهاية إسرائيل

وفيه مباحث:

المبحث الأول: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:4]

المبحث الثاني: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء:5]

المبحث الثالث: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:6]

المبحث الرابع: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:7]

المبحث الخامس: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء:8]

المبحث السادس: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104]

المبحث الأول

دلالات تفسيرية معاصرة

في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:4]

تمهيد:

بعد أن ظهرت في عصرنا، منذ أوائل القرن العشرين، أحداث جديدة وخطيرة على خريطة الجغرافيا الإسلامية، أهمها استحداث الكيان الجديد لبني إسرائيل على أرض فلسطين، وبعض أرض الشام ومصر، على شكل (دولة) قوية، كان لا بدّ بعدها، من فهم معاصر في تأويل الآيات في أول سورة الإسراء، والاختلاف مع جمهور المفسرين السابقين، حيث كانت لهم اجتهادات وتأويلات في فهم تلك الآيات، وهي غير ملزمة تاريخاً وشرعاً للأجيال اللاحقة، فالسابقون إن اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، وإن اجتهدوا وأخطأوا، فلهم أجر واحد، كما أنهم- أي السابقون- اعتمدوا في تأويلاتهم، على واقع تاريخي وروايات إسرائيلية تحتمل الصدق أو الكذب، وليست حجة، وبالمقابل فإنهم لم يعتمدوا حديثاً صحيحاً واحداً ملزماً، أو رواية تاريخية صحيحة، بل إنهم اعتمدوا على روايات تاريخية لم تثبت صحتها تاريخياً ولا علمياً، ناهيك أنهم- المفسرون السابقون- عاصروا حكماً إسلامياً قوياً عزيزاً، ساد الأرض ومن عليها، في حين كان اليهود أذلاء مستضعفين مشردين، أفراداً قلائل ضائعين خاضعين، وسط الوجود الإسلامي العملاق.

المعنى العام للآية، أن الله أخبر بني إسرائيل في التوراة، على لسان نبيهم موسى عليه السلام، أنهم سيفسدون، وسيعلون في المستقبل من تاريخهم، إفسادات وعلوات كثيرة، وأشهرها اثنتان، تتجلى في أظهر صورهما، اثنتان، وأن كل فساد وعلو منهما يتناسب مع مستوى العصر والزمان الذي يقع فيه، وقد أخبر الله تعالى في نصوص التوراة تفصيلات لكل منهما، تم تحريفها وملاءمتها من علمائهم وحاخاماتهم حسب أهوائهم، ويخبر الله المسلمين في القرآن، حقائق في سورة الإسراء، عن بني إسرائيل، بما أخبر به اليهود قبل مئات السنين في التوراة، والعجيب أن قارئ التاريخ المعاصر لبني إسرائيل، يجد اليهود يسيرون متسارعين في همّة ونشاط، نحو تحقيق ما أخبرهم به الله، في كلا الكتابين، ويعلمون ما يلحق ذلك من المصير المحتوم، ومع ذلك فهم مستمرون، يسارعون الخطا نحو هذه النهاية المحتومة!

فقد أخبرت الآية الرابعة من سورة الإسراء، عن إفسادين في الأرض كبيرين لبني إسرائيل، مقترنين بعلو كبير، وعن صفات العباد الذين يزيلون هذين الإفسادين، واختلف علماء التفسير السابقون والمعاصرون كثيراً، في تأويلها.

فهذه الآيات مما كثر فيه الخلاف بين المفسرين، ولا يكثر الخلاف إلا إذا كان لذلك مبرراته، فما هما هاتان الإفسادتان ومتى كانتا؟ ومن هم الأقوام الذين يسلّطون على بني إسرائيل مرة بعد مرة؟ وهل المراد بالكتاب التوراة أو القرآن أو اللوح المحفوظ؟

فالمفسرون السابقون- قبل قيام كيان بني إسرائيل على أرض فلسطين في القرن العشرين- اتفقوا على أن الإفسادين وقعا وتحققا ومضيا، على أرض فلسطين، ومرّا وانتهيا، قبل ظهور الإسلام، أي في التاريخ الماضي لبني إسرائيل، لكن اختلفوا في تحديد زمان كل منهما، والأقوام الذين حاربوا بني إسرائيل في فلسطين، وهزموهم وأزالوا وجودهم، وخلاصة ما قالوا، روايات مرجعها الإسرائيليات، مما لا يُعتمد.

وفي عصرنا الحاضر، وظهور أحداث خطيرة وجديدة، كظهور الكيان الجديد لبني إسرائيل على أرض فلسطين، كان لا بدّ من فهم معاصر في تأويل الآيات، والاختلاف مع جمهور المفسرين السابقين، فأقوالهم هي اجتهادات في فهم الآيات، وهي غير ملزمة للأجيال اللاحقة، والسابقون إن اجتهدوا وأصابوا فلهم أجران، وإن اجتهدوا وأخطئوا، فلهم أجر واحد، كما أنهم اعتمدوا في تأويلاتهم، على روايات إسرائيلية تحتمل الصدق أو الكذب، وليست حجة، وبالمقابل فإنهم لم يعتمدوا حديثاً صحيحاً واحداً ملزماً، أو رواية تاريخية صحيحة، بل إنهم اعتمدوا على روايات تاريخية لم تثبت صحتها تاريخياً ولا علمياً، ناهيك أنهم- المفسرون السابقون- عاصروا حكماً إسلامياً قوياً عزيزاً، ساد الأرض ومن عليها، في حين كان اليهود أذلاء مستضعفين مشردين، أفراداً وجماعات قلائل ضائعين خاضعين، وسط الوجود الإسلامي العملاق.

هل بختنصر ملك بابل، المتهم بإزالة إفسادهم الأول، من عباد الله الصالحين؟

وأي ملك من ملوكهم قضى عليه؟

هل هو سليمان؟

وهل كان حكم سليمان عليه السلام علواً وفساداً؟

وهل عاد البابليون إلى فلسطين للقضاء على فساد بني إسرائيل المرة الثانية؟

أم أنه (تيتوس) قائد الرومان؟

وأي مسجد دخلوه في فلسطين؟

وهل جمع الله اليهود في فلسطين (لفيفا) زمن الروم للقضاء عليهم؟

وما كان أحد من هؤلاء العلماء المفسرين السابقين، يتوقع أو يتخيل، في يوم من الأيام، أو عصر من العصور، بعد مئات السنين، أن يكون لهؤلاء اليهود المشردين في بقاع الأرض، (دولة) عسكرية قوية متطورة، وكيان

سياسي دولي مؤثر، وسلطان عالمي يصول ويجول، وأن يهزموا المسلمين في عقر دارهم، ويجتزئوا أرض فلسطين منهم بالقوة والقهر!

وكان اعتماد أغلب علماء المسلمين والمؤرخين في تفسير حادثتي الإفسادتين، في الآية الرابعة في سورة الإسراء، على كتب بني إسرائيل، أو على أحاديث موضوعة، وعلى الأغلب، على استقراءات تاريخية منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى عصرنا، حيث ظهرت محاولات كثيرة ووردت تفسيرات وتأويلات، قديمة ومعاصرة مختلفة، وسيورد الباحث آراءاً وتفصيلاتٍ لكل من هذه الآراء، بناء على أدلة أصحابها واختلاف بعضها، والرد على بعضها الآخر، ثم استنتاج أصح الأقوال منها.

ومن ثم، كان لا بدّ من تقديم فهم وتفسير جديد للآيات، يتلاءم مع الواقع المعاصر، والحالة الحاضرة لليهود والمسلمين، ودول العالم مجتمعة، وأحداث العالم الحديث، علما بأن هذا التأويل الجديد في فهم آيات سورة الإسراء، ارتآه مفسرون معاصرون، منذ قيام الكيان الإسرائيلي منتصف القرن العشرين، وتحدّث فيه مفكرون وكاتبون معاصرون بعدهم، وطالت في حيثياته استنتاجات الكتّاب، وتحليلات المجتهدين، من العرب المسلمين وغيرهم، واختلفت فيها الآراء، لكنها بقيت كلها في حدود ما بعد ظهور الإسلام.

أولاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا﴾

ذكر القدماء: "وَمَعْنَى" قَضَيْنا" أَعْلَمْنَا وَأَخْبَرْنَا"[1]. وقيل: "أَيْ: تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ سَيُفْسِدُونَ فِي الأرض مَرَّتَيْنِ"[2]. وقيل: معنى القضاء: الفراغ من الشيء، فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل بإعلامه إياهم، وإخباره لهم، أي أخبرنا بني إسرائيل، وأعلمناهم[3]. وقيل: "﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: 4] أي: أعلمناهم وأوحينا إليهم وحياً جزماً، وبينا فِي الْكِتابِ في التوراة، فإن الإنزال والوحي إلى موسى إنزال ووحي إليهم[4]. وقيل: (إلى) هو بمعنى: على، كأنه يقول: "على بني إسرائيل". وهو حسن جداً[5].

أما العلماء المعاصرون:

قيل: "هناك معنى تلتقي فيه كل المعاني وهو "قضى" أي حكم وهذا هو المعنى الأم"[6]، وقيل: "الحق يبلغنا: نحن أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم ما سيحدث لهم مع الإسلام"[1]. وقيل: "لقد قضى الله لبني إسرائيل في

([1]) القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (10/ 214).

([2]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (5/ 47).

([3]) انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 355).

([4]) انظر: حقي، اسماعيل، **روح البيان** (5/ 131).

([5]) انظر: القصاب، أحمد، **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام** (2/ 107).

([6]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 553).

الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون"[2]. وقيل: "القضاء في الآية، هو بمعنى الوحي بما يكون في علم الله تعالى من إفسادهم، فالإفساد من بني إسرائيل المُخبَر عنه سيقع بعد زمان موسى عليه السلام، يعني بعد الزمان الذي ورد فيه هذا الإخبار أول مرة في التوراة، وليس يعني بالضرورة وقوعه بعد عهد النبي ﷺ"[3].

وهذا القضاء، إخبار من الله تعالى لهم في القرآن بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الإلهي، نشأ عن نتائج أفعالهم وأقوالهم، وسلوكهم المنحرف، لا أنه قضاء قهري عليهم، فالله سبحانه لا يقضي بالإفساد على أحد، بل هو جزاء وفاقاً لما عملته أيديهم، إذ أنهم لطخوا الأرض المباركة نجاسة وملأوها رجساً، يؤكد هذا المعنى ما ورد في نصوص الكتاب المقدس: "اِسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا بَيْتَ يَعْقُوبَ، وَكُلَّ عَشَائِرِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ. هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: "مَاذَا وَجَدَ فِيَّ آبَاؤُكُمْ مِنْ جَوْرٍ حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ وَصَارُوا بَاطِلاً؟ وَلَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، الَّذِي سَارَ بِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ قَفْرٍ وَحُفَرٍ، فِي أَرْضِ يُبُوسَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ، فِي أَرْضٍ لَمْ يَعْبُرْهَا رَجُلٌ وَلَمْ يَسْكُنْهَا إِنْسَانٌ؟ وَأَتَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ بَسَاتِينَ لِتَأْكُلُوا ثَمَرَهَا وَخَيْرَهَا. فَأَتَيْتُمْ وَنَجَّسْتُمْ أَرْضِي وَجَعَلْتُمْ مِيرَاثِي رِجْسًا. اَلْكَهَنَةُ لَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ؟ وَأَهْلُ الشَّرِيعَةِ لَمْ يَعْرِفُونِي"[4].

ثانياً: دلالات تفسيرية في قوله تعالى: ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: 4]

ذكر القدماء: "فيما أنزل من كتابه على موسى"[5]، وقيل: "عن ابن عباس، وعن مرّة، عن عبدالله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة"[6]. وقيل: "وَالْمَعْنِيُّ بِالْكِتَابِ: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ"[7]. وقيل: "فِي الْكِتَابِ في التوراة"[8].

وذكر المعاصرون: "في الكتاب: أي التوراة، فهي كتاب الله لبني إسرائيل"[9]. وقيل: "وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْكِتَابِ التَّوْرَاةُ[10]".

([1]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3052).

([2]) قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (4/ 2213).

([3]) الإسلام سؤال وجواب، إشراف الشيخ محمد صالح المنجد islamqa.info فتوى رقم: (151281)، الأربعاء 27 ربيع الآخر 1438 - 25 يناير 2017.

([4]) سفر أرميا، الإصحاح (2) فقرات (4-8).

([5]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 355).

([6]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 357).

([7]) القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (10/ 214).

([8]) البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 248).

([9]) خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (154).

([10]) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (15/ 29).

وقيل: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء: 2] يعني: التوراة[1]. وقيل: أكثر المفسرين يفسرون الكتاب بالتوراة المنزلة على موسى، أي أن الله أخبرهم فيها بما يكون من أمرهم [2].

ثالثاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ [الإسراء: 4]

ذكر القدماء: "أَيْ: يَتَجَبَّرُونَ وَيَطْغَوْنَ وَيَفْجُرُونَ عَلَى النَّاسِ[3]". وقيل: "لتعصنّ الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفنّ أمره في بلاده[4]". وقيل: "الفاسد الذي فعلوه قتلهم للناس ظلماً وتغلبهم على أموالهم قهراً، وإخراب ديارهم بغياً[5]".

وذكر المعاصرون: جاءتْ هذه العبارة هكذا مُؤكّدة باللام ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾، وهذا يعني أن في الآية قَسَماً دَلَّ عليه جوابه، فكأن الحق سبحانه يقول: ونفسي لتفسدن في الأرض، لأن القسَم لا يكون إلا بالله، [6]. وقيل: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 4] جواب قسم محذوف، والتقدير: وقضينا إلى بني إسرائيل بفسادهم وعلوهم والله لتفسدن... نحو قضاء الله تعالى لأفعلن كذا[7].

وقيل: "وَإِسْنَادُ الْإِفْسَادِ إِلَى ضَمِيرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُفِيدٌ أَنَّهُ إِفْسَادٌ مِنْ جُمْهُورِهِمْ بِحَيْثُ تُعَدُّ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مُفْسِدَةً وَإِنْ كَانَتْ لَا تَخْلُو مِنْ صَالِحِينَ[8]".

وذكر الشعراوي في معناها الاجمالي: "يا أيها اليهود: أنتم ستعيشون في مكان بعهد من رسولي، ولكنكم ستفسدون في المكان الذي تعيشون فيه، وسيتحملكم القوم مرة أو اثنيتن، وبعد ذلك يسلط الله عباداً له يجوسون خلال دياركم، ويشردونكم من هذه البلاد"[9].

واتفق المفسرون القدامى والمعاصرون بلا خلاف، في معنى قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 4] أي بالمعاصي[10].

فما الإفساد؟ من الفساد، "والفساد هو نَقِيضُ الصَّلَاحِ"، و"وهُوَ الفاسدُ فِي دِينهِ وَعَمَلِهِ وسُوءِ أَفعالِهِ"[11].

([1]) الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي (7/ 4).**
([2]) دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث** (3/ 358).
([3]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (5/ 47).
([4]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 356).
([5]) ماوردي، أبو الحسن، **النكت والعيون** (3/ 228).
([6]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (13/ 8346).
([7]) انظر: الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني** (8/ 17).
([8]) ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (15/ 30).
([9]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3052).
([10]) ابن الخطيب، محمد، **أوضح التفاسير** (1/ 337).
([11]) ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب (1/ 232)**، (3/ 335).

والإفساد: أن تعمد إلى الصالح في ذاته فتُخرجه عن صلاحه، فكُلُّ شيء في الكون خلقه الله تعالى لغاية، فإذا تركته ليؤديَ غايته فقد أبقيته على صلاحه، وإذا أخللْتَ به يفقد صلاحه ومهمته، والغاية التي خلقه الله من أجلها[1]، وقد يكون فساداً فردياً أو مجتمعياً، والمقصود هنا هو الفساد المجتمعي.

ذكر التميمي: فما بال الفساد؟ وحتى يتحقق الفساد فنرى اليهود في دولتهم يرتكبون أفظع الجرائم... فقتلوا النفس الإنسانية، وعذبوها، ويتموا الأطفال، وسجنوا النساء، وهدموا البيوت، واغتصبوا الأرض، وأقاموا المستعمرات، وحرقوا المسجد الأقصى وهو عند الله عظيم، ودنسوا مسجد الخليل عليه السلام، وارتكبوا جريمة الجرائم فيه يوم عمدوا إلى كتاب الله فمزقوه وداسوه بالأقدام، وهم اليوم قد أخذوا لبنان وارتكبوا فيه ما لم يرتكبه أحد من البشر قبلهم هم والموارنة[2].

ومع أن الفساد والإفساد ملازمان لليهود في تاريخهم كله، شاملاً لكل الجوانب، إفساد العقائد والأديان، والخلق والمال، والفكر والسياسة والاجتماع، والفن والتعليم، والعلو هو التكبر، والاستكبار، والانتفاش والتيه، والجبروت، والعلو اليهودي، يعني استعباد الآخرين الأغيار وإخضاعهم لليهود، والقضاء على وجودهم إن أمكن، ونهب أموالهم، وتخريب أخلاقهم وهتك أعراضهم، وسحقهم، إلى حيوانات بصورة بشرية لخدمة اليهود، فاليهود يتعالون على الشعوب الأخرى، بسبب أنهم ناقصون مطعونون في نفسياتهم وشخصياتهم، عدا فترات إيمانية قصيرة، حكم فيها أنبياء اليهود، مثل موسى وهارون وداود وسليمان.

هل كان إفسادهم الأول في الأرض المقدسة فلسطين؟

وعلى يد من؟

وما مظاهر هذا الإفساد؟

هل كان لليهود سلطان بعد حكم سليمان؟

هل اقترن وجودهم بالعلو الكبير؟

أم هُزموا وسيقوا أسرى وسبايا إلى بابل؟

الحقيقة أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير، لم يكن أثناء وجودهم في الأرض المقدسة فلسطين! في زمن ما قبل البعثة، إنما كان إفسادهم الأول في بلاد الحجاز، قبل بعثة الرسول محمد ﷺ، حيث أتت قبائل اليهود طريدة من فلسطين والشام وبقاع الأرض إلى المدينة وما حولها، هاربين من الاضطهاد اليوناني والروماني من بلاد

([1]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (13/ 8346).

([2]) انظر: تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (20).

كثيرة أهمها بلاد الشام، قبل مئات السنين من بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ، فوجدوا أمامهم في يثرب قبائل عربية من الأوس والخزرج وغيرها، بينما كان اليهود أصحاب علم وفهم، فهم أهل كتاب، أبناء الله وأحباؤه! وقبائل العرب تعيش حياة وثنية بدائية، ساذجة ومتخلفة.

ومعلوم أن اليهود قدموا المدينة بعد بعثة عيسى عليه السلام، واستوطنوها، واكتسبوا ودّ قادتها وكبارها، وحكموها بالتسلط والفساد، وكانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وتملأ صدورهم دواعي الغرور والكبرياء والتعالي على الأغيار، وأن الجنة خاصة لهم، وعملوا على إثارة الفتن بين قبائل العرب، حين ربطوا هذه القبائل بهم في صورة أحلاف، فكانت كل قبيلة من اليهود حليفة قبيلة عربية، لأجل نشر الخلاف والنزاع والفرقة، وروّجوا لإسرائيلياتهم، ونشروها بين العرب، وهي في الأصل أكاذيب، واستعلوا فيها بالجاه والمال والعلم، وتحكموا في الاقتصاد عند العرب، فسوق الذهب في أيديهم، والسوق الكبير للتجارة في أيديهم، ناهيك أنهم أرهقوا العرب بالقروض الربوية الباهظة، حتى أن رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهون عند يهودي، ولم يكن هذا زمن حكمهم في عهد داود وسليمان.

أما إفساد اليهود بعد البعثة، فقد كانوا في المدينة، يستبشرون بقرب ظهور نبي جديد من بني إسرائيل في يثرب، ويهدّدون العرب فيها، بأنهم سيتبعون هذا النبي ويقتلونهم معه، ولما ظهر الإسلام، وتحقق من أن هذا النبي عربي، كفروا به، بل كانوا أشد الناس عداوة له، ليس لشئ، سوى أنه عربي من غير بني إسرائيل، بالرغم من الدلائل الكثيرة التي يعلم عنها بنو إسرائيل، عن صفات هذا النبي المنتظر، وقد تحققوا منها كلها، لكنهم كفروا به عناداً وحسداً من عند أنفسهم، وظلما لأنفسهم.[1]

رابعاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 4]

ذكر القدامى: "﴿فِي الْأَرْضِ﴾يُرِيدُ أَرْضَ الشَّامِ وبيت المقدس وما والاها"[2]. وقيل: "وَالْمُرَادُ بِالْأَرْضِ أَرْضُ الشَّامِ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ"[3]. وقيل: "لَتَعْصُنَّ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ"[4].

وذكر المعاصرون: "والله لتفسدن في أرض الشام وبيت المقدس مَرَّتَيْنِ[5]". وقيل: المراد بالأرض الجنس أو أرض الشام وبيت المقدس[6]". وتساءل الشعراوي: "وهل تكون الأرض كلها وطنا لليهود؟ طبعاً لا، ولكن

([1]) انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (1/ 325-327).

([2]) القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (10/ 214).

([3]) البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي**، (3/ 122).

([4]) أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (7/ 13).

([5]) حقي، اسماعيل، **روح البيان** (5/ 131).

([6]) الألوسي، شهاب الدين، **روح المعاني** (8/ 17).

الحق سبحانه كتب عليهم أن يتفرقوا في الأرض، فلا تكون لهم (دولة) إلا عندما يشاء الله أن يجمعهم في مكان واحد، ثم يسلط عليهم عباده المؤمنين[1]".

وكذا، اتفق المفسرون القدامى والمعاصرون بلا خلاف، قبل منتصف القرن العشرين وبعده، بأن الأرض المذكورة هي أرض بيت المقدس في الشام.

ما سبب هجرة اليهود قديماً من أرض الشام إلى يثرب؟

أما عن سبب ترك اليهود لبلاد الشام وهجرتهم أفراداً وجماعات إلى يثرب وما حولها، وذلك بعد قتلهم وتشريدهم زمن (تيتوس- Titus) الروماني عام 70م، و(هادريان- HADRIAN) عام 135م، فقد ذكروا روايات منها:

الأولى: بسبب علمهم عن اقتراب ظهور نبي يهاجر إلى يثرب مذكور في توراتهم، وانتظار هذا النبي المنتظر في يثرب.

الثانية: هو بسبب ما حصل من القتل والسبي، والتشريد والإيذاء من النصارى في الشام؟

وقد تكون الأولى أصح، وقد تكون الثانية، وقد تكون الاثنتان معاً، وقد تكون الثانية سبباً للأولى؟

ذكر المقريزي: "وقد مات موسى عليه السلام فقالت بنو إسرائيل لهم: قد عصيتم وخالفتم الآباء فقالوا نرجع إلي البلاد التي غلبنا عليها فنكون بها، فرجعوا إلي يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها"[2].

وذكر في البداية والنهاية: كَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ رَاهِبٌ مِنَ الرُّهْبَانِ يُدْعَى عِيصًا مِنْ أَهْلِ الشَّام... وَكَانَ اللَّهُ قَدْ آتَاهُ عِلْمًا كَثِيرًا... وَكَانَ يَلْزَمُ صَوْمَعَةً لَهُ وَيَدْخُلُ مَكَّةَ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيَلْقَى النَّاسَ وَيَقُولُ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ مَوْلُودٌ يَا أَهْلَ مَكَّةَ يَدِينُ لَهُ الْعَرَبُ وَيَمْلِكُ الْعَجَمَ هَذَا زَمَانُهُ وَمَنْ أَدْرَكَهُ وَاتَّبَعَهُ أَصابَ حَاجَتَهُ وَمَنْ أَدْرَكَهُ فَخَالَفَهُ أَخْطَأَ حَاجَتَه، وبالله مَا تَرَكْتُ أَرْضَ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ وَالْأَمْنِ وَلَا حَلَلْتُ بِأَرْضِ الْجُوعِ وَالْبُؤْسِ وَالْخَوْفِ إِلَّا فِي طَلَبِهِ.[3]

فتبين بما تقدم، أن هجرة كثير من أهل الكتاب، ممن ارتحل من أرض الشام وغيرها إلى المدينة، قبل مبعث النبي ﷺ بمئات السنين؛ إنما كانت ترقبا لخروج هذا النبي، ومنهم من كان يطمع أن يكون من معشر اليهود، وستكون هجرته إلى المدينة، فلما كان هذا النبي من العرب، أنكروه، وحسدوا وطغوا!.

([1]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 314).

([2]) المقريزي، أحمد بن علي، **إمتاع الأسماع** (14/ 366).

([3]) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **البداية والنهاية** (3/ 404).

خامساً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4]

اختلف المفسرون القدامى والمعاصرون اختلافاً كثيراً في تحديد مرّتي الإفساد الذي قام به بنو إسرائيل في الأرض، إما قبل منتصف القرن العشرين أو بعده، ولكن الراجح أن هاتين المرتين هما من أبشع ما قاموا به من إفساد، لأن الإفساد في الأرض أصبح جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم النفسي والعقدي.

نماذج من أقوال المفسرين القدامى:

اتفق المفسرون والمؤرخون القدامى، بعد ظهور الإسلام، على قول واحد، أن إفسادتي بني إسرائيل قد حدثتا ومضتا وانتهتا في عصور ما قبل الإسلام، دون الاتفاق بينهما على زمن واحد، وإن تقاربوا جميعاً في أحداثهما خلال الصراع، وأسماء القادة البابليين والرومان واليونان الذين أبادوهم أو قتلوهم، أو أسروهم أو شردوهم، أو جاسوا خلال ديارهم.

فقيل: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلَّط عليهم بختنصر من قتل يحيى[1]. وقيل: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ إفسادتين أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل أشعياء وقيل (أرمياء- Jeremiah)[2]، وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقَصْدُ قتل عيسى عليه السلام[3]. وقيل: "أَمَّا الْمَرَّةُ الْأُولَى فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ حَتَّى بَعَثَ طَالُوتَ، وَمَعَهُ دَاوُدُ فَقَتَلَهُ دَاوُدُ، ثُمَّ رُدَّتِ الْكَرَّةُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ مِنَ الْمَرَّتَيْنِ ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7]، قَالَ: "هُوَ بُخْتَنَصَّرُ بُعِثَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ" ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8]، "فَعَادُوا فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ"[4].

وجاء في سفر إرميا عن وقوع شرَّين عظيمين من بني إسرائيل، تقشعر لهما السماوات:

"اِبْهَتِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ مِنْ هذَا، وَاقْشَعِرِّي وَتَحَيَّرِي جِدًّا، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرَّيْنِ..."[5].

وما ذكره الطبري في تاريخه، عن حديث رواه حذيفة عن رسول الله، يذكر فيه إفسادين لبني إسرائيل، وذكر فيه بختنصر، وكورش، وابْطيانْخُوسَ[1]، وقاقِسُ بْنُ إِسْبايُوس[2]، فَغَزَاهُم فِي البَرّ والبَحْرِ، فَسَباهُمْ وَسَبى حُلِيّ بَيْتِ المَقْدِسِ، وأَحْرَقَ بَيْتَ المَقْدِسِ بالنِّيرَانِ،"[3]، فإنه حديث قال عنه الشيخ الألباني بأنه حديث موضوع.

([1]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 357).

([2]) أرمياء أو أرميا، أحد أنبياء بني إسرائيل، من سبط بني يعقوب، عاش نحو 650 إلى 585 ق.م.

([3]) البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 248).

([4]) انظر: عبدالرازق، أبو بكر، **تفسير عبدالرزاق** (2/ 290).

([5]) سفر إرميا، إصحاح (2) فقرات (12-13).

نماذج من أقوال المفسرين المعاصرين:

كما اختلف المفكرون المعاصرون أيضا، في مرتي الإفساد التي ارتكبها بنو إسرائيل، فمنهم من وافق المفسرين القدامى في قولهم بأنهما مضتا وانتهتا في عصور ما قبل الإسلام، وأن ما يحدث الآن هو في إطار ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ [الإسراء: 8]، ومنهم من رأى بأن الأولى قضت وانتهت قبل الإسلام والثانية تحصل الآن، ومنهم من قال بأن الأولى نعاصرها اليوم بينما الثانية لم تأتِ بعد، ومنهم قال بأن الأولى حدثت وانتهت زمن الرسول ﷺ، بينما تمر وقائع الثانية في عصرنا اليوم، وما حدث، فإن ذلك لم يكن مقترنا بعلو كبير، وإذا كانتا قد حدثتا فعلا، فما تفسير ما يحدث الآن؟.

وثمة رأي: أن لا سبيل إلى الجزم بما أراده الله تعالى من تعيين الإفسادين إلا بوحي جديد! ولا يوجد نص يعيّن هذين الإفسادين، سوى نظريات وتخمينات تحتمل الخطأ قبل الصواب، فصار الاشتغال بتحديدهما وتعيينهما من تضييع الوقت، بما لا طائل من ورائه!

وهذا تفصيل أقوالهم مع ذكر النصوص والدلائل:

الأول: رأي من وافق المفسرين القدامى

ذكر ابن عاشور: فَالْمَرَّةُ الْأُولَى هِيَ مَجْمُوعُ حَوَادِثَ مُتَسَلْسِلَةٍ تُسَمَّى فِي التَّارِيخِ بِالْأَسْرِ الْبَابِلِيِّ وَهِيَ غَزَوَاتُ (بُخْتُنَصَّرَ) مَلِكِ بَابِلَ وَآشُورَ بِلَادَ أُورْشَلِيمَ. وَالْغَزْوُ الْأَوَّلُ كَانَ سَنَةَ 606 قَبْلَ الْمَسِيحِ، أَسَرَ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً مِنَ الْيَهُودِ وَيُسَمَّى الْأَسْرَ الْأَوَّلَ. ثُمَّ غَزَاهُمْ أيضا غَزْوًا يُسَمَّى الْأَسْرَ الثَّانِيَ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأَوَّلِ، كَانَ سَنَةَ 598 قَبْلَ الْمَسِيحِ، وَأَسَرَ مَلِكَ يَهُوذَا وَجَمْعًا غَفِيرًا مِنَ الْإسرائيليِّينَ وَأَخَذَ الذَّهَبَ الَّذِي فِي هَيْكَلِ سُلَيْمَانَ وَمَا فِيهِ مِنَ الْآنِيَةِ[4].

وذكر أبو زهرة: هذا النص الكريم يفيد أولاً- أنهم دأبوا على الفساد من بعد موسى ومن جاء من النبين كداود وسليمان، وأن نتيجة هذا الفساد كانت وبالاً عليهم، فجاء بختنصر، وأزال سلطانهم ثم جاء من بعده الرومان فأزالوا سلطانهم، وجعلوهم أذلاء في الأرض، وتدل ثانياً- على أن الرسول ﷺ اجتثهم من بلاد العرب.[5]

---

(1) ابْطِيانْخُوسَ (Apteanhos): قائد بابلي، جاء بعد بختنصر، غزى بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس. كلمة محرفة وردت في تفسير الكتاب المقدس (انطاخيوس) انظر: **تفسير الكتاب المقدس**- العهد القديم- القمص تادرس يعقوب.-https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Tafseer-Al-Keta-Al-Mokadas-index-1-Father-Tadros-Yaacoub-Malaty.html

(2) قاقِسُ بْنُ إسْبايُوس (Kakish Bin Ispayus): أحد ملوك روما، قاد السباء الثالث على بني إسرائيل، فغزاهم في البر والبحر، وأحرق بيت المقدس بالنيران. مختصر مجمل أقوال المفسرين

(3) الطبري، مُحَمَّد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 358).

(4) ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، **التحرير والتنوير** (15/ 29).

(5) أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد، **زهرة التفاسير** (5/ 2282).

وذكر ابن الخطيب: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ أولاهما: قتل زكريا وحبس أرمياء عليه السلام، والأخرى: قتل يحيى، وقصد قتل عيسى عليه السلام.[1]

وذكر دروزة: وقد سجل التاريخ أن بني إسرائيل نالهم النكال مرارا، وسجل حادثين شديدين غزاهم في أحدهما ملوك الأشوريين سنحاريب و(سرجون- Sargon) و(أسرحدون- Esarhaddon) في القرن الثامن قبل الميلاد... وغزاهم في ثانيهما نبوخذ نصر ملك بابل في الثلث الأول من القرن السادس قبل الميلاد، ونسف دولتهم الثانية (يَهُوذَا- Yahotha) التي عاصمتها أورشليم (بيت المقدس)، وهاتان الضربتان ذكرتا في سفري الملوك الأول والثاني، ثم في سفري أخبار الأيام الأول والثاني، وهذه الأسفار متداولة اليوم.[2]

وذكر بعضهم: قيل: هو بختنصر، وقيل: هو جالوت، وقيل: جند من بابل أو فارس، والله أعلم بذلك، وليس القرآن كتاب تاريخ حتى تلزمه ببيان الشخص أو الجماعة بالضبط مع تحديد المكان والزمان، ولكن القرآن جاء للعبرة والعظة، والنظرة العليا التي هي أسمى من هذا وذاك، لعل الناس يعتبرون بالحوادث[3].

الثاني: رأى بأن الأولى قضت وانتهت قبل الإسلام والثانية تحصل الآن

وذكر المغامسي في تأملات قرآنية: نحن نقول- والله تعالى أعلم-: إن الهلاك الأول كان على يد بختنصر، والهلاك الثاني هو الذي سيحصل في هذا العصر، وهذا أقرب القولين والله أعلم، وإن كنت لا أجزم به لعدم الأدلة التي تؤيد ذلك، لكن هذا مختصر حالة اليهود في أرض فلسطين، وهم لم يكونوا محتلين لبيت المقدس (للمسجد الأقصى) وإنما احتلوه في حرب 1967م، ولم تكن مدينة القدس داخلة ضمن حدود تلك (الدولة).[4]

وذكر حوى: إننا نرجح أن التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الإسراء: 104] أي: من بعد موسى ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: 104] كل الأرض متفرقين ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104] أي: جميعاً إلى فلسطين، وأن هذا النص يحدد أن الإفسادة الآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً}، وأما الإفسادة الأولى فتكون قبل ذلك، ومن المعلوم أن التشتيت الشامل على وجه الأرض لبني إسرائيل إنما كان بعد عودتهم من سبي بابل، فيكون التسليط الأول هو تسليط بختنصر، والتسليط الثاني هو الذي يتوقع الآن"[5].

([1]) ابن الخطيب، محمد، **أوضح التفاسير** (1/ 337).

([2]) دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث** (3/ 360)

([3]) انظر: الحجازي، محمد محمود، **التفسير الواضح** (2/ 355).

([4]) انظر: مغامسي، أبو هاشم، **تأملات قرآنية** (19/ 5) بترقيم الشاملة آليا.

([5]) انظر: حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3044).

وذكر عبدالكافي: أن دخول المسلمين الأول هو زمن الخليفة عمر بن الخطاب، لأن كلمة {جاسوا} تحمل معنى السلم دون الحرب، والخليفة عمر دخل القدس سلما، وذكر أن البند السابع في الوثيقة التي كتبها المسلمون مع النصارى وقتئذ، والمسماة بـ(العهدة العمرية)، اشترطوا فيه عدم بقاء اليهود في المدينة، وأن الإفساد الثاني هو ما يقع اليوم[(1)].

وذكر النجار: كان الإفساد الكبير الثاني لليهود في الأرض، قد بدأ بالتآمر على أرض فلسطين... ومن أجل ذلك خططوا لإسقاط دولة الخلافة الإسلامية بعد إنهاكها في سلسلة من المعارك التي لم تتوقف، وقسموا تركتها إلى أكثر من (57) دولة ودويلة.[(2)]

وتحت مظلة الانتداب البريطاني على أرض فلسطين، تم التخطيط لتمكين يهود العالم من هذه الأرض المباركة، التي ملئوها فسادا ومؤامرات خفية ومعلنة، حتى تم إسقاط دولة الخلافة الإسلامية في سنة 1924م، وتم إعلان (دولة) للصهاينة في سنة 1948م، وقامت أربع حروب طاحنة في المنطقة، راح ضحيتها عشرات الآلاف من المدنيين الأبرياء، في عدد من المذابح البشعة، ونتج عنها من الدمار ما دفع بالمنطقة إلي الوراء لعشرات السنين.

الثالث: رأي من قال بأن التي نعاصرها اليوم هي الأولى، بينما الثانية لم تأت بعد

ذكر طارق سويدان: لكنني أرى أن المرة الأولى هي التي نعيشها اليوم، وهي العلو الأول، وسيأتي على (دولة اليهود) هذه عباد الله يخرجونهم من فلسطين، غير أن اليهود سيتجمعون وينصرهم العالم، ويمدّهم بالأموال، وينصرهم اليهود المنتشرون في باقي العالم، فيكونون أكثر نفيرا بالنصرة العالمية لهم فينتصرون علينا... وبعدها يأتي وعد الآخرة، أي المرة الثانية، والتي ستنغلب فيها نهائياً على اليهود ونخرجهم إلى غير رجعة من أرض المقدس، يقول الله ﷻ: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، أي ما بناه اليهود سيدمر تدميراً.[(3)]

وذكر المغامسي: إن كلا الإفسادين والظهور لبني إسرائيل لم يقعا بعد، وإن هذا الذي نحنُ فيه من احتلال اليهود اليوم لأرض المقدس هو الإفساد الأول، ثم يقدر الله للمؤمنين إخراجهم منها، ولكنهم لا يخرجون إلا من الضفة الغربية فقط، ويعودون إلى تل أبيب، ثم يعودون مرة أخرى بنصرة الغرب لهم، فيفسدون في الأرض ويخرجون المسلمين، ثم يقع مرة أخرى علو المسلمين عليهم فيكون إخراجهم من المسجد الأقصى.[(4)]

([1]) انظر: عبدالكافي، عمر، عالم وداعية مصري، يوتيوب، **مقابلة شخصية بعنوان: نهاية إسرائيل كما تحدث عنها عمر عبدالكافي.**

([2]) انظر: النجار، زغلول، مقال بعنوان: **الإشارات الكونية في القرآن الكريم** ومغزي دلالتها العلمية، جريدة الأهرام، مصر، يوم الإثنين، (6) رجب، 1427هـ، (31) يوليو، 2006م، السنة (130) العدد (43701) http://www.ahram.org.eg/

([3]) انظر: سويدان، طارق، **فلسطين... التاريخ المصور** (421).

([4]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **دروس للشيخ صالح المغامسي** (14/ 6، بترقيم الشاملة آليا).

الرابع: قال بأن الأولى حدثت زمن الرسول ﷺ بينما تمر وقائع الثانية اليوم

ذكر الشعراوي: ومن العلماء مَنْ يرى أن الفساد الأول، ما حدث في قصة طالوت وجالوت، حين طلبوا القتال بأنفسهم ثم تنصَّلوا منه ولم يقاتلوا، ويرون أن الفساد الثاني قد حدث بعد أن قويَتْ دولتهم، فأغار عليهم بختنصَّر وهزمهم، وهذه التفسيرات على أن الفساديْن سابقان للإسلام، والأَوْلى أن نقول: إنهما بعد الإسلام، والمتأمل لسورة الإسراء يجدها قد ربطتهم بالإسلام، فيبدو أن المراد بالمرتين أحداثٌ حدثتْ منهم في حضْن الإسلام، فالحق سبحانه وتعالى بعد أن ذكر الإسراء، ذكر قصة بني إسرائيل، فدلّ ذلك على أن الإسلام تعدّى إلى مناطق مُقدّساتهم، فأصبح بيت المقدس قِبْلة للمسلمين، ثم أُسْرِي برسول الله ﷺ إليه، وبذلك دخل في حَوْزة الإسلام؛ لأنه جاء مهيمناً على الأديان السابقة، وجاء للناس كافة، إذن: كان من الأَوْلى أن يُفسِّروا هاتين المرتين على أنهما في حضن الإسلام؛ لأنهم أفسدوا كثيراً قبل الإسلام، ولا دَخْلَ للإسلام في إفسادهم السابق.[1]

ثم ذكر في سلسلة محاسن التأويل، للرد على من قال: إن كلا الأمرين وقعا قبل الإسلام، قال: هذا الجواب يرد عليه بالقرآن: فقد ذكر الله المسجد، ولا يعلم حسب تاريخ اليهود أن فريقاً واحداً حاربهم حول المسجد؛ لأن الله يقول: ﴿**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الإسراء: 7]، فالله تكلم عن طائفة واحدة.[2]

وذكر الشهيد سيد قطب: ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم "هتلر".. ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة "إسرائيل" التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب... وإن غداً لناظره قريب![3].

وذكر الشعراوي: بعض الناس يقولون، إن هذا كان أيام بختنصر؛ ونقول لهم: افهموا قول الحق: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا**﴾ [الإسراء: 5] وكلمة "وعد" لا تأتي لشيء يسبق الكلام بل الشيء يأتي من بعد ذلك، إذن فلم يكن ذلك في زمان بختنصر، فـ"إذا" الموجودة أولاً هي ظرف لما يُستقبل من الزمان، أي بعد أن جاء هذا الكلام، ثم هل كان بختنصر يدخل ضمن عباد الله؟ إن قوله الحق: ﴿**عِبَادًا لَنَا**﴾ [الإسراء: 5] مقصود به الجنود الإيمانيون، وبختنصر هذا كان فارسياً مجوسياً.[4]... والأَوْلى أن نقول: إنهما بعد الإسلام، وسوف نجد في هذا

([1]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (13/ 8348).

([2]) المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 2) بترقيم الشاملة آليا.

([3]) انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (4/ 2214).

([4]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3052).

رَبْطاً لقصة بني إسرائيل بسورة الإسراء... ونصُّ الآية القادمة يُؤيِّد ما نذهب إليه من أن الإفسادتين كانتا بعد الإسلام.[1]

ذكر التميمي: قال قوم هم أهل بابل، وكان عليهم بختنصر، وقيل جالوت، وقيل جند من فارس، وقيل سنحاريب، وقيل العمالقة، إلى غير ذلك من الأقوال المتضاربة، ومما لا شك فيه أن اليهود دُمّروا أكثر من مرة قبل الإسلام، فقد سباهم البابليون ودمرهم اليونان، والواقع أن المتعمق في الآيات يجد أن المرتين اللتين أشارت إليهما آيات الإسراء في علو اليهود وإفسادهم ثم تدميرهم هما بعد نزول آيات الإسراء.[2]

وذكر ماضي: الإفساد الأول لبني إسرائيل، كان زمن الرسول مُحَمَّد وأصحابه، وهم القوم الذين بعثهم الله تعالى لتأديبهم والقضاء على فسادهم، توسطوها وترددوا بينها ذاهبين وجائين لقتل اليهود، فهم عباده الصالحين وهم أولو بأس شديد... وتمضي السنوات والتي يعبر عنها بحرف {ثم} الذي يفيد الترتيب مع التراخي، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6] أي بعد أن زالت خلافة المسلمين المتمثلة في الدولة العثمانية عام 1924م، وتفتتت الأمة الإسلامية بالحدود التي رسمها الكفار إلى دويلات، عند ذلك رد الله بقدره الحكيم الدولة والغلبة لليهود الذين تجمعوا في فلسطين.[3]

ذكر حوى: ويمكن أن نفهم المسألة فهماً آخر، بأن نعتبر الإفسادة الأولى هي محاولاتهم الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية، وتسليط الله المسلمين عليهم وعلى ديارهم حول المدينة المنورة، والإفسادة الثانية هي الإفسادة الحالية، ويكون المسلمون الذين غلبوهم أول مرة هم الذين سيغلبونهم المرة الثانية.[4]

وتساءل الشعراوي: فلماذا قال تعالى: مرتين؟ تحدّث العلماء كثيراً عن هاتين المرتين، وفي أيّ فترات التاريخ حدثتا، وذهبوا إلى أنهما قبل الإسلام، والمتأمل لسورة الإسراء يجدها قد ربطتهم بالإسلام، فيبدو أن المراد بالمرتين أحداثٌ حدثتْ منهم في حضْن الإسلام، وكان من الأَوْلى أن يُفسِّروا هاتين المرتين على أنهما في حضن الإسلام.[5]

فالمعركة بين اليهود الذين أفسدوا في المرة الأولى والثانية، وبين القوم الذين أزالوا إفسادهم الأول وينتظرون إزالة الثاني، هم القوم أنفسهم، وواقع الحال يشهد بأنهم العرب المسلمون، وهي معركة طويلة استمرت قرونا، وقد تستمر سنوات أخرى، ولا تنتهي إلا بزوال إحدى القوتين، وسوف تنتهي بزوال حكم بني إسرائيل عن الأرض، طال الزمن أو قصر، لأن أمة الإسلام باقية، وهي الأقوى والأبقى.

([1]) انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (13/ 8350-8352).

([2]) انظر: تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (16، 17).

([3]) انظر: ماضي، مُحَمَّد ابراهيم، **صراعنا مع اليهود** (91).

([4]) انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/3037 - 3040).

([5]) انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (13/ 8348).

ويرى الباحث، أن قطاعات كبيرة، تضم ملايين عديدة من الأمة لا تعي هذه الأمور، ولا تعيش حقيقة المعركة مع اليهود، ولا تقف على الخطر اليهودي، وهم يتعاملون مع المسألة بسذاجة وبلاهة، ويستسلمون للمكائد اليهودية، وهم منشغلون بشهواتهم أو مصالحهم، ويقبلون أن يتحولوا إلى حقل تجارب لما ينتجه اليهود من الأسلحة الدموية والحارقة، هذا الطابور الكبير الذي ينخر في جسد الأمة، هو ذاته الأداة اليهودية في التمكن منها، من السياسيين والإعلاميين والدبلوماسيين، والمخططين والمحللين، هؤلاء هم مروّجوا البضاعة اليهودية، هؤلاء يمتلكون أدوات القيادة والإدارة والسيطرة في الأمة، لتكون المعركة أعنف، والمصيبة أكبر.

كما أنه لا يخفى على قارئ التاريخ، من صفحات بني إسرائيل، أن لهؤلاء القوم إفسادات كثيرة وكثيرة قبل ظهور الإسلام، ولا دَخْلَ للإسلام فيها؛ فهل هناك فساد أكبر من قولهم: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138]، أو أنْهم قتلوا الأنبياء في زمانهم الأول، وحاولوا قتل النبي محمد ﷺ بإلقاء حجر أو دسّ السمّ، وحرّفوا كتاب الله من وجوه كثيرة، فمن التوراة ما نسوه، والذي لم ينسَوْهُ كتموه، والذي لم يكتموه حرَّفوه، بل تعدَّى إلى أن أَتَوا بكلام من عند أنفسهم، وقالوا هو من عند الله، فهل هناك إفساد في منهج الله ودينه أعظم من هذا الإفساد؟.

وما يقوي هذا الاتجاه في الفهم، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8] لأن الآية تشير إلى أنهم كافرون، ولا نحكم بكفرهم إلا بعد رفضهم رسالة المسيح ثم محمد ﷺ، فالإفسادتان متأخرتان على بعثة المسيح، وهذا الاتجاه يقويه أن كلمة ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء: 5] تشعر بأنهم المسلمون، فهم العباد الحقيقيون لله، وقوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: 7] تشعر بأنهم المسلمون، فهم أصحاب المسجد، وهم وإن لم يأخذوه من اليهود مباشرة، فقد أخذوه ودخلوه المرة الأولى فاتحين.

وقد تكون هذه الآيات، تشير إلى ما ينبغي فعله لتحرير القدس وفلسطين؟ على أن يخوض المعركة مسلمون اجتمعت لهم العبودية لله والبأس الشديد، على أمل أن يوجد جيل متصف بهذه الصفات، ما يدعو إلى أن تُحمل هذه الآيات على أحد الاحتمالين السابقين، بحيث لم يُعرف قوم بأعيانهم قد سُلطوا على اليهود مرتين في حال اجتماع العلو والإفساد، لقد سلط عليهم بختنصر والرومان وغيرهم، وهم أقوام مختلفون، ولكن قوما بعينهم لم يسلطوا عليهم مرتين داخلين المسجد الأقصى هذا الدخول الموصوف فيما نعلم، وعلى كل حال، ففي الآيات بشارة للمسلمين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8] فهذا وعيد من الله لهم أنه سيسلط عليهم في كل مرة يفسدون في الأرض وتكون لهم غلبة على المسجد الأقصى.

وورد في سفر التثنية: فَاشْتَعَلَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى تِلْكَ الأرض حَتَّى جَلَبَ عَلَيْهَا كُلَّ اللَّعَنَاتِ الْمَكْتُوبَةِ فِي هذَا السِّفْرِ. وَاسْتَأْصَلَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَرْضِهِمْ بِغَضَبٍ وَسَخَطٍ وَغَيْظٍ عَظِيمٍ، وَأَلْقَاهُمْ إِلَى أَرْضٍ أُخْرَى كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ.[1] وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 168]، ولولا أن التحريف قد حدث في التوراة لكان ما في التوراة تفسيراً صالحاً للقرآن.

هل أفسد بنو إسرائيل في الأرض مرتين فقط؟ إنْ كانوا كذلك فقد خلاهم ذم، والأمر إذن هَيِّن، لكنهم أفسدوا في الأرض إفساداً كثيراً متعدداً، واضطرب العلماء فيها؛ فالمفسرون الأقدمون من السلف لم يروا الواقع المعاصر، واعتبروا المرَّتين مضى زمانُها، الأولى في عهد نبوخذ نصر والأخير في عهد تيطس الروماني، حيث زال الهيكل وزال حكمهم، بينما عاصر المفسرون الجدد واقعاً وحدثاً عظيماً، متمثلاً بقيام (دولة) إسرائيل في النصف الثاني من القرن العشرين.

والراجح من البحث الاستقرائي للنصوص المختلفة، والبحث التاريخي عند أبرز المفسرين المعاصرين، أن المرة الأولى من الإفساد الكبير لبني إسرائيل في الأرض، كانت في المدينة المنورة، حين عادى اليهودُ رسولَ الله ﷺ ورفضوا دعوته، وتآمروا عليه، ونقضوا كل عهودهم معه، وتعاونوا عليه مع الوثنيين، وألّبوا عليه القبائل، وحاولوا سمّه وقتله، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهم وإجلائهم عن جزيرة العرب، وكان الإفساد الكبير الثاني لليهود هو ما يحدث الآن في هذا العصر، باحتلال اليهود أرض فلسطين وأجزاء من أرض الشام ومصر، وأن الذي سيزيله هم المسلمون أيضاً، إذن فالمعركة في إفساد اليهود في المرتين، هي مع المسلمين.

سادساً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]

يرى أغلب علماء التفسير المتأخرين، بأن جميع تفاسير القدماء في الآيات الأولى من سورة الإسراء، المتعلقة ببني إسرائيل، لا تنطبق عليها الأحداث المعاصرة، ولا بدّ من إعادة النظر في فهم النصوص وتأويلها بما يتلاءم مع الواقع، ونظراً لربط الآيات في سورة الإسراء بين المسجد الأقصى والتاريخ اليهودي، فإن الباحث فيها يستنتج بأن الإفسادين متعلقان بالمسلمين بعد بعثة النبي مُحَمَّد ﷺ، وأنهما لا يمكن أن يحدثان قبل الإسلام، بسبب أن إفسادات بني إسرائيل الكثيرة زمن الأنبياء في العصور السابقة، كانت بلا علو، لا صغير ولا كبير، بل كانت دولتهم ذليلة منحصرة في جزء محدود من أرض فلسطين، في حين أن علوهم في هذا الزمان، تجاوز أرض الشام بل شمل العالم كله.

([1]) سفر التثنية (إصحاح 29 فقرة 27-28).

نماذج من أقوال المفسرين القدامى والمعاصرين:

ذكر القدامى: "﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ اللام في ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ لَامُ قَسَمٍ مُضْمَرٍ... ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ أَرَادَ التَّكَبُّرَ وَالْبَغْيَ وَالطُّغْيَانَ وَالِاسْتِطَالَةَ وَالْغَلَبَةَ والعدوان[1]. وقيل: وَلَتَعْلُنَّ، وَلَتَسْتَكْبِرُنَّ وَلَتَظْلِمُنَّ النَّاسَ، عُلُوًّا كَبِيراً، أي استكباراً وظلماً كبيراً"[2].

وذكر المعاصرون: العلو هو التكبر والانتفاش، والتبختر والجبروت، واستعباد الآخرين وإخضاعهم لهم، وإذلالهم وسحقهم، والقضاء على وجودهم وأموالهم، وتحويلهم من بشر إلى حيوانات كما يقول تلمود يهودا... وأشهر إفساداتهم وعلواتهم اثنان، يتجلى فيه الإفساد اليهودي على أظهر صوره ومعانيه وحالاته، وكل إفساد وعلو منهما يتناسب مع مستوى العصر والزمان الذي يقع فيه[3]. وقيل: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4]: أنت ترى الآن أن أكثر قرارات رؤساء العالم في الغرب في أمريكا يتحكم فيها اليهود... وهذا متحقق في هذا الزمان، فاليهود سادة في عالم الغرب، ولهم نفوذ خفيّ في عالم الشرق، بسبب تحكمهم برأس المال العالمي، والتجارة، ومراكز صنع القرار[4]. وقيل: وهذه الصفة لحكم اليهود: الإفساد والعلو، تدلنا على أنه حكم وتحكم قصير، لزمن محدود قصير، لأنه لن يطول حكم يقوم على ذلك[5]. وتساءل حوى: "هل الإفسادة الثانية هي ما نراه الآن؟ إذ لهم (دولة) وسلطان، وإفساد وطغيان"[6]. ويدلل القطان على هذا العلو الكبير فيقول: وهذا ما نراه اليوم من طغيانهم وبغيهم وتسلطهم في فلسطين، وهم في بقية أنحاء العالم أيضاً مفسِدون مسيطرون، يسيّرون الحكام والزعماء على أهوائهم، وينشرون الفساد في كل أرجاء العالم[7].

هذا العلو المذكور في الآيات، لعله العلو الذي نشهده اليوم، المتمثل في إنشاء الكيان الصهيوني (دولة) إسرائيل في قلب أرض الشام، ومن سلطة هذا الكيان، تمتد سيطرة اليهود على مراكز صنع القرار في العالم، عن طريق (اللوبيات-lobby)[8] اليهودية، وعلى اقتصاد العالم، ووسائل الإعلام العالمية، ولا بدّ لهذا العلو أن ينتهي بهزيمة، على أيدي العباد ذوي البأس الشديد من المؤمنين المسلمين، ليتم الوعد المذكور في الآيات، وينتهي وجود هذا الكيان من الدنيا.

([1]) القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (10/ 214).

([2]) انظر: البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي** (3/ 122).

([3]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (131-133).

([4]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 3) بترقيم الشاملة آليا، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

([5]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (133).

([6]) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3039).

([7]) انظر: القطان، ابراهيم، **تيسير التفسير** (-ت 1404هـ)، (2/ 341)، بترقيم الشاملة آليا.

([8]) هو لفظ يعبر عن جماعة تحاول التأثيرَ على أعضاء هيئة تشريعيّة، ويستخدم اصطلاحا لوصف النفوذ اليهودي المنظم، على عدد من الدول في مختلف أنحاء العالم، لصالح سياسات الكيان الإسرائيلي. انظر **قاموس المعاني**، /www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/لوبي.

ذكر التميمي: "واللام في ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ لام الاستقبال والتوكيد، واللام في ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ كذلك، و{إذا} أداة ظرفية تدل على أن الأمر سيقع في المستقبل، ووجودها يدل بأن الفساد والعلو ثم التدمير الأول آت، وأنه لم يمرّ".[1]

ومما يؤسف له، أن المسلمين في هذا الزمان، أضاعوا حبل الله وحبل الناس معاً، ولو وجد حبل الله كاملاً مع المسلمين، ووجد مع اليهود حبل الناس فقط، فسيغلب حبل الله، لكن الولاية العامة لا بدّ فيها من حبل الله وحبل الناس، فالنبي ﷺ وهو القدوة والأسوة الحسنة، كان يتآلف العرب بالزواج منهم، وهذا من حبل الناس، وكان يتجنب قتل المنافقين، حين قَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"[2]، وقد كانوا أشد فتكاً وخطراً عليه من الكفار، وهذا من حبل الناس.

ولعل الراجح، هو قول أبرز المفسرين المعاصرين، كالشيخ الشعراوي، والخالدي، وحوى، وسيد قطب، وغيرهم، بأن الأولى حدثت زمن الرسول ﷺ بين العرب المسلمين وبين اليهود، فهم نفس القوم الذين أفسدوا في المرة الأولى والثانية، ونفس القوم الذين أهلكوهم في الأولى وسيهلكونهم في الثانية، ويقضون على فسادهم ونفوذهم، فقد أفسدوا في ديار الإسلام (المدينة) في الأولى، وتم حصارهم في قلاعهم وحصونهم وقتلهم أو سبيهم أو إجلائهم، وأفسدوا في ديار الإسلام (فلسطين) في الثانية، وهو ما يحدث الآن بين اليهود والمسلمين في بيت المقدس، وهذا أقوى ما يُحتجّ به على المفسرين القدامى وبعض المعاصرين الذين خالفوا، فلم يحصل لقوم أنفسهم غزوا بني إسرائيل مرتين عبر التاريخ سوى المسلمين.

على ضوء ما سبق، يلاحظ اجتماع كافة المفسرين القدامى وبعض المعاصرين على رأي واحد، وهو أن الفساد الأول والثاني لبني إسرائيل، أو الأول، قد وقع في أرض فلسطين، وأن هلاكهم وتشريدهم كان على أيدي قادة من البابليين أو الرومان أو اليونان، في فترات زمنية متقاربة او متباعدة، في القرون التي سبقت ظهور المسيح، ويرى الباحث أن هؤلاء المفسرين، قد أصدروا قرارهم غيابياً، بعيداً عن واقع منتظر سيأتي في مستقبل الزمان، هو أشدّ وأعتى دموياً، من ذلك الذي مضى...

هل كان إفساد بني إسرائيل الأول بعد حكم سليمان؟ وهل كان لهم سلطان وعلوّ كبير في هذه الحقبة؟ أم انقسموا في مملكتين متنازعتين، واحدة في الشمال يحكمها (يربعام- Yarbaam)، وواحدة في الجنوب يحكمها (رحبعام- Rahbaam)؟ أم أنهم عاشوا الأمرّين نتيجة هذا التنازع؟

([1]) تميي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (17).

([2]) البخاري، محمّد بن اسماعيل، **صحيح البخاري** (6/ 154).

هل استقروا بعد سقوط هاتين المملكتين؟ وهل عاشوا في أمان واطمئنان؟ وهل شهد تاريخهم المحرف أو غير المحرف، بأن كان لهم سلطان وعلو كبير منذ عام 922-586 ق.م، أم طاردهم (نبوخذ نصر) وسباهم القادة البابليون؟ ثم الاحتلال اليوناني عام 333 ق.م، ثم الأنباط، ثم الرومان وغيرهم، حيث قتلوهم في كل مرة، وسلبوا أموالهم ونساءهم وأولادهم؟

هل استقروا ما بعد هذا التاريخ؟ وهل عاشوا في أمان واطمئنان؟ وهل كان لهم سلطان وعلو كبير؟ حين غزاه (تيتوس- Titus) وقادة رومان حتى عام 70م، ثم (هادريان- HADRIANVS) وقادة يونان حتى عام 135م؟ أم أنهم ذاقوا الأمرّين؟ وهزموا؟ وسيقوا أسرى وسبايا؟ وشردوا في أنحاء الأرض؟ حتى عام 1948م، فأين العلوّ الكبير في كل ما سبق؟

إن القول الراجح، من استقراءات إنسانية وتاريخية، يرى الباحث أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير، لم يكن أثناء وجودهم في أرض الشام وفلسطين، بل كان في أرض الحجاز، في يثرب وما حولها، وذلك قبل ظهور الإسلام بقرون عديدة وبعده بسنوات قليلة، تلك هي الحقبة الزمنية التاريخية الذهبية التي عاشها بنو إسرائيل، بعد حكم داود وسليمان، فقد عاش اليهود قروناً عديدة في يثرب، أسياداً أكابر، في تعال وتعالم، لأنهم أهل كتاب، وهم أبناء الله وأحباؤه! أمام مجتمع عربي مبهور ومعجب، وبالمقابل، هو في نظرهم مجتمع أمّي وثني جاهل، بدائي وساذج، ناقص في إنسانيته، لم يخلق من الدم اليهودي النظيف! ولا يمتلك الأموال وسوق الذهب، ولا الأسواق الكبيرة والتجارة العظيمة، ولا المزارع الواسعة، ولا احتكار أدوات الصناعة الحربية، ولا القصور والقلاع، ولا الحصون والآطام، على قمم الهضاب والجبال حول يثرب، وتحكموا في المال والاقتصاد، وأرهقوا أجيالاً من العرب بالقروض الربوية الباهظة، هذا عدا أنهم أصحاب سيادة ونفوذ فوقي، ذو قدرة بالتأثير على القرارات السياسية والاجتماعية بين شيوخ القبائل العربية وغيرها، ونشروا بينهم الأحلاف والخلاف، وأثاروا حروباً مبرمجة بين شتى القبائل، وسلبوا منها الخيرات والثروات، وخرجوا بكل دهاء، من بين هؤلاء وهؤلاء سالمين!.

فهل وصل علو وإفساد بني إسرائيل في فلسطين، بعد حكم سليمان، كما وصل إليه في يثرب؟.

أليس هذا النفوذ بشتى أشكاله، مدعاة للزهوّ والعلوّ؟ وهل بعد هذا العلوّ علوّ؟ أم أنه يستحق أن نسميه بامتياز (علواً كبيراً)؟

المبحث الثاني

دلالات تفسيرية معاصرة

في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5]

تمهيد:

طُرحت أقوال وآراء للمفسرين القدامى والمعاصرين، في معنى الوعد الأول والآخر، في المبحث الأول من هذا الفصل، وذلك في بيان معنى قوله تعالى: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: 4]، ولا توجد حاجة لتكرار تلك الأقوال والآراء مرة ثانية في هذا المبحث، ولكن الحاجة قد تكون أساسية، وضرورة لا بدّ منها في هذا المبحث، لذكر أقوال وآراء جديدة، وربما نظريات هامة وخطيرة برزت، وارتبطت مع أعماق وتفصيلات وشروحات كتب التفاسير منذ ظهور الإسلام، حتى النصف الأول من القرن العشرين، اجتهد بها أبرز علماء الأمة في العصر الحديث، لا سيما بعد ظهور كيان سياسي وعسكري قوي وعالمي، تمثل بقيام (دولة) إسرائيل على أرض فلسطين في الشام.

ذكر الخالدي: نجيز لأنفسنا أن نخالف جمهور العلماء والمفسرين من السابقين في فهم وتفسير هذه الآيات...[1].

فليست أقوال الطبري أو غيره من علماء التفسير ملزمة، طالما أنها اجتهادات في فهم الآيات، اعتمدت على الإسرائيليات التي نرفضها، وعلى روايات تاريخية لم تثبت، ولم يعتمد هؤلاء السابقون على حديث صحيح واحد ملزم! مع إجماع الأمة على احترام وإجلال هؤلاء العلماء، واجتهادهم وعلومهم، فقد عاشوا في زمن السيطرة الإسلامية على أغلب بقاع الأرض، بينما كان اليهود أذلاء ضعفاء، وسط الوجود الإسلامي الكبير، خاضعين له أفراداً وجماعات خضوعاً كاملاً، ويعيشون قروناً كثيرة في كنفه وتحت حمايته.

ناهيك عن قدرات هذا الكيان اليهودي المستحدث، فهو ينتقل في قدراته العسكرية في تسارع عجيب، فإسرائيل أكبر ترسانة عسكرية في الشرق الأوسط بما تحويه من (تكنولوجيا) متقدمة، وجيش قوامه (568) ألف جندي، وما يقارب من (4000) من الدبابات المتطورة عالميا بأنواعها، ونحو (1400) من الطائرات والمقاتلات والمروحية، تميز بأعلى وأخطر مواصفات (التكنولوجيا) العسكرية في العالم، ويمتلك جيشها العشرات من السفن والزوارق البحرية، وغواصات فرنسية وبريطانية وألمانية، كما بدأت تطوير قدراتها الصاروخية مطلع الستينيات، والتي يبلغ مداها (1300) كيلومتراً، ثم صواريخ يتراوح مداها (4000) كيلومتر،

([1]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (130).

إلى صواريخ بعيدة المدى بإمكانها حمل رؤوس نووية، ولدى إسرائيل برنامج نووي متكامل[1]، عدا الأسلحة السرية الفتاكة والمتطورة، والفسفورية والحارقة، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله!

كذلك، ما كان أحد هؤلاء العلماء السابقين، الذين عاشوا حياة كريمة في ظل قوة الإسلام ونشوته، وامتداد ظله وظلاله، على قارات العالم المعروفة وقتئذ، حيث كانت الخلافة الإسلامية أعظم دولة في عصرها، فأي مفسّر من هؤلاء العلماء العظماء، سيخطر بباله أن المرة الثانية لم تأت بعد؟ وهل كان يُتوقع أو يُتخيّل أن يصبح هؤلاء اليهود، أصحاب (دولة) ذات سيادة قوية ومؤثرة، على مراكز قوى العالم السياسي والعسكري، وذات يد طولى في التأثير على القرارات السياسية الصادرة عن مجلس الأمن الدولي، والجمعية العمومية، حتى وصل هذا التأثير إلى عمق البيت الأبيض والكرملين!.

لذلك، فإن واقع هؤلاء المفسرين القدامى من السلف، اختلف تماماً عن هذا الواقع المعاصر الذي نعيشه اليوم في زماننا، باختلاف مراكز القوى بين كفتي ميزان الكفر والإسلام، واختلاف البعد والقرب من الله في تطبيق تعاليم الدين، والقرب والبعد ما بين التهيؤ للعمل للدار الآخرة بالإخلاص بالعمل في الجهاد، أو الإنجرار وراء شهوات الدنيا والعمل من أجل تحصيل أعلى الرتب والرواتب، والتسابق للوقوف أمام الشاشات ووسائل الإعلام، والتنافس في الوصول على المحرمات والمعاصي والرذائل، حتى حصد اليهود والنصارى سواء، على أفضل النتائج على المستوى العالمي، وأن يهزموا المسلمين في عقر دارهم، ويأخذوا منهم فلسطين وغيرها، من أموال ومقدرات ومقومات وثروات الأمة الإسلامية جمعاء، ويخربوا بلادهم وعقولهم!.

على ضوء ذلك، كان لا بدّ من إعادة النظر في فهم الآيات التي تتحدث عن إفسادي بني إسرائيل، بناء على استقراءات تاريخية تخصّ بني إسرائيل، قديمة وحديثة، وواقع حال هؤلاء وهؤلاء، ولا بدّ من الوصول إلى أفكار جديدة وفهم جديد غير مسبوق، لم يرد في صفحات التفاسير التي سبقت النصف الثاني من القرن العشرين مجتمعة، وتقديم تفسير جديد معاصر للآيات الخمس في أول سورة الإسراء، والتي سماها الصحابة الكرام سورة بني إسرائيل، وذلك بالتوافق مع الواقع السياسي المعاصر للمنطقة العربية عامة، وبلاد الشام خاصة، تتلاءم مع الحالة الحاضرة لليهود والمسلمين في هذا العالم.

وهذه أبرز آراء المفسرين القدامى، واجتهادات المعاصرين الذين خالفوا تلك الآراء، وهذه وتلك، وردت في أهم الكتب والدراسات، والمقالات والدروس الصوتية، لدى أبرز المفكرين:

أولاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5]

أبرز أقوال المفسرين القدامى:

([1]) المصدر: تقرير نشرته **محطة الجزيرة الفضائية** بتاريخ (2008/3/3م) بعنوان: **القدرات العسكرية الإسرائيلية**، http://www.aljazeera.net/news/arabic/2008/3/3

ذكر الطبري: "كان الفساد الأول، فبعث الله عليهم عدوًّا فاستباحوا الديار، واستنكحوا النساء، واستعبدوا الولدان، وخرَّبوا المسجد"[1]. وذكر البغوي: يعني أولى المرتين، قَالَ قَتَادَةُ: إِفْسَادُهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى مَا خَالَفُوا مِنْ أَحْكَامِ التوراة وركوب المحارم. وقال مُحَمَّد بن إِسْحَاقَ: إِفْسَادُهُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى قَتْلُ شِعْيَاءَ بَيْنَ الشَّجَرَةِ وَارْتِكَابُهُمُ الْمَعَاصِيَ. بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا، قال قتادة: يعني جالوت الخزري وَجُنُودَهُ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ دَاوُدُ". وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يَعْنِي سنحاريب مِنْ أَهْلِ نِينَوَى". وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: " بُخْتُنَصَّرُ الْبَابِلِيُّ وَأَصْحَابُهُ، وَهُوَ الْأَظْهَرُ "[2].

أبرز أقوال المعاصرين:

ذكر الشعراوي: معلوم أن (إذَا) ظرف لما يستقبل من الزمان، كما تقول: إذا جاء فلان أكرمته، فهذا دليل على أن أولى الإفسادتين لم تحدث بعد، فلا يستقيم القول بأن الفساد الأول جاء في قصة طالوت وجالوت، وأن الإفساد الثاني جاء في قصة بختنصر، وقوله: ﴿**وَعْدُ**﴾ والوعد كذلك لا يكون بشيء مضى، وإنما بشيء مستقبل، ﴿**أُولَاهُمَا**﴾ أي: الإفساد الأول، وقوله: ﴿**عِبَادًا لَّنَا**﴾ وفي هذه العبارة دليل آخر على أن الإفسادتين كانتا في حضن الإسلام؛ لأن كلمة ﴿**عِبَادًا**﴾ تطلق إلا على المؤمنين، أما جالوت الذي قتله طالوت، وبختنصر فهما كافران[3].

ذكر الخالدي: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا**﴾، (إذا): هي ظرف لما يستقبل من الزمان، ومعناه: بعثنا عليكم عبادا لنا وقت مجيء وعد أولاهما، ومعنى أولاهما: أي المرة الأولى من الإفسادين، وتوحي هذه العبارة ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا**﴾ أن مجيء وعد الله بالقضاء على الإفسادين يكون بعد نزول آيات سورة الإسراء التي تحدثت عن الإفسادين، وعن إزالتهما، كلاماً نظرياً، وأن هذا الكلام النظري وعد قرآني، وهذا الوعد لا بدّ أن يتحقق فعلا في الواقع، فيكون مجيئهم تطبيقاً عملياً، لأن ما وعد الله به في القرآن لا بدّ أن يتحقق.[4]

كما خالف بعض المعاصرين هذا القول، حين تساءل: وإن قيل: "فـ "إذا" هنا تدل على المستقبل، أي: أنه لم يحدث الوعد الأول لبني إسرائيل لا قبل عهد الرسول ﷺ ولا أثناء عهد الرسول ﷺ، وإنه سيحدث فيما بعد "نقول: هذا غير صحيح؛ لأن هذا ليس خبراً مبتدأ في القرآن، وإنما هو حكاية لخبر موجود في الكتاب السابق"[5].

([1]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (10/ 459).

([2]) انظر: البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (3/ 122).

([3]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8353).

([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (140).

([5]) انظر: منجد، الشيخ محمد صالح المنجد، **الإسلام سؤال وجواب**، islamqa.info فتوى رقم: (151281)، الأربعاء 27 ربيع الآخر 1438 - 25 يناير 2017.

ذكر التميمي: حين يضيف الله تعالى كلمة ﴿عِبَادًا﴾ لذاته، تكون في موضع التشريف، ويخص بها المؤمنين، وهذا التشريف والتكريم الإيماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان، وينطبق هذا الوصف على رسول الله وأصحابه، أي أن الذين سيتولون تدمير اليهود هم من المؤمنين، وذلك لما غدر اليهود ونقضوا العهد سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيها وأزالوهم عن المدينة وخيبر وتيماء، فزال سلطانهم وتم تدمير علوهم من خلال معارك بني قريظة وبني النضير ومعارك خيبر الشهيرة، وتأتي سورة الحشر لتؤكد هذا المعنى [(1)].

ويُفهم من سياق الآيات، أن حرب بني إسرائيل في مرّتي الإفساد، الأولى والثانية، كانت موجّهة ضد أمّة بعينها، تكون قوية فتُزيل فساد اليهود الأول، ومع مرور الزمن يتغير حالها، وتُصاب أجيالها بالضعف، وتتقوى اليهود عليها، فيغلبونهم، ويتمكنون منهم، ويصبّون عليهم إفسادهم الثاني، ثم تتقوى أجيال تالية من نفس تلك الأمة، فتتمكن من اليهود وتزيل إفسادهم الثاني.

متى يتحقق هذا الوعد؟ بما أن الآيات مكية، فإن الراجح من أقوال المفسرين، أن هذا الوعد الرباني سيحدث في المستقبل، فلا بدّ أن يكون تحقيق هذا الوعد فيما بعد نزول الآيات في أول سورة الإسراء، أي بعد هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وقد تحقق هذا الوعد في هزيمة قبائل اليهود وإجلائهم، أو قتلهم، وهذا تحقيق الوعد الرباني: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5].

ثانياً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: 5]

أقوال بعض المفسرين القدامى:

ذكر العز بن عبد السلام: "﴿بَعَثْنَا﴾ أي أمرناهم بقتالكم، ﴿عِبَادًا﴾ جالوت أو بختنصر، أو سنحاريب أوالعمالقة وكانوا كفاراً، أو قوم من أهل فارس يتحسّسون أخبارهم"[(2)]. وذكر ابن أبي حاتم: عَنْ مُجَاهِدٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ﴾ قَالَ: جند أتوا مِنْ فارس... هذا وعد الأولى... ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7] بعث ملك فارس ببابل جيشًا وأمر عَلَيْهِمْ بختنصر فدمروهم فهذا وعد الآخرة[(3)]. وذكر القرطبي: هم أهل بابل، وكان عليهم بخت نصر في المرة الاولى، حين كذبوا إرميا وَجَرَحُوهُ وَحَبَسُوهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ جَالُوتَ فَقَتَلَهُمْ، فَهُوَ وَقَوْمُهُ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: جَاءَهُمْ جُنْدٌ من فارس يتجسسون أخبارهم... وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ، وَهَذَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَكَانَ مِنْهُمْ جَوْسٌ خِلَالَ الدِّيَارِ لَا قَتْلَ،...

(1) انظر: تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (17، 18).

(2) عز الدين، أبو محمد، **تفسير العز بن عبدالسلام** (2/ 212).

(3) انظر: ابن أبي حاتم، محمد عبدالرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (7/ 2318).

عَنْ مُجَاهِد أَنّهُ جَاءَهُم بُخْتُ نَصّرَ فَهَزَمَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَاءَهُمْ ثَانِيَةً فَقَتَلَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيرًا[1]. وذكر الطبري: عن ابن عباس، قوله: بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذلّ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يُقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقُتل جالوت بيدي داود، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم... وقال: بل بعث عليهم في المرّة الأولى سنحاريب[2].

وذكر ابن كثير: "وَقَدْ وَرَدَتْ فِي هَذَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ إِسْرَائِيلِيَّةٌ لَمْ أَرَ تَطْوِيلَ الْكِتَابِ بِذِكْرِهَا؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مَوْضُوعٌ، مِنْ وَضْعِ زَنَادِقَتِهِمْ، وَمِنْهَا مَا قَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، وَنَحْنُ فِي غُنْيَة عَنْهَا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَفِيمَا قَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ غُنْيَةٌ عَمَّا سِوَاهُ مِنْ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ قَبْلَهُ، وَلَمْ يُحْوِجْنَا اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَمَّا بَغَوْا وَطَغَوْا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، فَاسْتَبَاحَ بَيْضَتَهم، وَسَلَكَ خِلَالَ بُيُوتِهِمْ وَأَذَلَّهُمْ وَقَهَرَهُمْ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا قَدْ تَمَرَّدُوا وَقَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ"[3].

ومع اختلاف المفسرين القدامى في تعيين هؤلاء المسلطين، إلا أنهم اتفقوا على أنهم قوم كفار، قادة وجيوش من الشرق أو من الغرب، سلطهم الله على بني إسرائيل، بالقتل والأسر والسبي، ونهب الأموال، لما كثرت فيهم المعاصي، وتركوا كثيرا من تعاليم شريعتهم، وطغوا في الأرض.

أبرز أقوال المعاصرين:

ذكر الزحيلي: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾ [الإسراء: 5] أي أصحاب قوة في الحرب والبطش، وهم بختنصّر وجنوده، وقيل: جالوت الخزري، وقيل: سنحاريب ملك بابل وجنوده... فقتلوا الكبار، وسبوا الصغار، وأحرقوا التوراة، وخرّبوا المسجد الأقصى وبيت المقدس..[4].

وقيل: سَلَّطَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْبَابِلِيِّينَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَأَحْرَقُوا الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى... وَعَادُوا إِلَى ظُلْمِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ... فَسَلَّطَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْفُرْسَ، ثُمَّ الرُّومَ[5].

وقيل: قد فرق الله بين عباد وعبيد، فقد وردت كلمة عبيد في القرآن خمس مرات، ومعظمها بصيغة: قال تعالى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: 46]، ويُراد بها الكفار، أي أن الله عادل مع الكفار، في حسابهم يوم القيامة، وهذا اللفظ يوحي بالكفر... أما عباد، فقد ذكرت في القرآن (95) مرة، ويراد في غالبها المؤمنون الصالحون، وتوحي بهذا المعنى[6].

([1]) انظر: القرطبي، محمد، **الجامع لأحكام القرآن** (10/ 215).

([2]) انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 366-367).

([3]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير** (5/ 47).

([4]) انظر: الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (15/ 20).

([5]) انظر: رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)** (6/ 398).

([6]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (167-168).

ذكر حوى: فالإفسادتان متأخرتان على بعثة المسيح، وهذا الاتجاه يقويه أن كلمة عِباداً لَنا تشعر بأنهم المسلمون فهم العباد الحقيقيون لله. و﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: 7] تشعر بأنهم المسلمون، فهم أصحاب المسجد، وهم وإن لم يأخذوه من اليهود مباشرة فقد أخذوه ودخلوه المرة الأولى فاتحين، وتكون الآيات مشيرة إلى ما ينبغي فعله لتحرير القدس وفلسطين؟ على أن يخوض المعركة مسلمون اجتمعت لهم العبودية لله والبأس الشديد[1].

ذكر الخالدي: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ "يُفهم من معنى الآية، أن الرجال الذين يقضون على الإفساد الأول مبعوثون، يبعثهم الله بعثا على اليهود، وأن فاعل (بعثنا) هو ضمير أنا، وهو يعود إلى الله، أي أن الله هو الذي يبعثهم، وأن الله هو المقدر والمريد، لكل ما يحدث في الحياة، فالله شاء حدوث الإفساد الأول لليهود، وأملى لهم بذلك فقاموا به، ثم أن الله هو الذي أراد تدمير هذا الإفساد وإزالته، فلما حان وقت تحقيق إرادة الله تعالى، بعث الله الصحابة الكرام بعثا من العدم، وبعث فيهم بأسا وقوة فأزالوا هذا الفساد، وقد كانوا قبل إسلامهم، لا يساوون شيئا عند الفرس والروم، وكانت حالة بلادهم حاضرة غائبة عن حضارات الأمم في عصرهم، وكانت صلتهم باليهود من حولهم دونية تنازلية ماديا وفكرا، فليُنظر كيف تغيرت الأحوال وتبدلت الأدوار!"[2].

وذكر الشعراوي: "والبعث يدل على الخير والرحمة، فرسول الله ﷺ- الذي بعثه الله للأمة- لم يكن في حال اعتداء، بل في حالة دفاع عن الإسلام أمام مَنْ خانوا العهد ونقضوا الميثاق، وكلمة: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ تفيد العلو والسيطرة"[3].

وذكر حوى: "﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ أي: الإفسادة الأولى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ الصحابة ﴿أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾"[4].

وذكر جرار: ذهب بعض المعاصرين إلى القول بأن العباد هم من المؤمنين، وقد ألجاهم هذا إلى القول بأن المرة الأولى هي المرة التي تم فيها إخراج اليهود من المدينة المنورة في عصر الرسولﷺ، ثم دخول عمر بن الخطاب القدس فاتحا، وهذا بعيد عن ظاهر النص القرآني، لأن ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ تحتمل المؤمنين وغير المؤمنين.[5]

وسبحانه قد قال: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: 5] فما دام يوجد عباد الله خالصوا الإيمان، وأعدوا العدة، فلا بدّ أن يتحقق وعد الله، لكن إذا ما تخلى الناس عن هذا الوصف؛ فعلى الناس الذين يعانون من إفساد بني إسرائيل أن يتلقوا ما قاله الله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6][1].

([1]) انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3041).

([2]) خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (141-142).

([3]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي- الخواطر** (14/ 8358).

([4]) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3040).

([5]) انظر: جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022م** (28).

عبادًا لنا: وليس هؤلاء العباد بختنصر ولا (تيتوس- Titus) كما زعم بعض المفسرين، فهؤلاء كانوا جبابرة ولم يكونوا عباداً، وهم لم يجوسوا خلال الديار، بل سحقوا الديار ومحقوها ودمروها وذلك في زمان السبي البابلي، وإنما تتحدث الآية عما فعل عباد الله المسلمون في غزوهم لخيبر، فهؤلاء هم الذين جاسوا خلال الديار، ديار خيبر وبني النضير وقينقاع، وكان انتصارا ولم يكن دمارا، وكان ذلك بعد معركة الخندق، وما حدث من خيانة اليهود لعهد الأمان الذي قطعوه مع المسلمين.[2]

وبعض المستشرقين الذين يحاولون الطعن في القرآن الكريم، يقولون أن كلمة عباد قد جاءت في وصف غير المؤمن في قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ**﴾ [الفرقان: 17] نقول: إنكم لم تفهموا أن هذا ساعة الحساب في الآخرة، وفي الآخرة كلنا عباد لأننا كلنا مقهورون فلا اختيار لأحد في الآخرة وإنما الاختيار البشري ينتهي ساعة الاحتضار، ثم يصبح الإنسان بعد ذلك مقهوراً[3].

وعلى ضوء ذلك، فإن أرجح الأقوال صحة، أن ﴿**عِبَادًا لَنَا**﴾، يراد بها قوم مؤمنون، وهم الرسول ﷺ وصحابته الكرام، فقد أزالوا إفساد اليهود الأول في المدينة، وأن كلمة عباداً لنا تعني إضافة تكريم وتشريف للرسول ﷺ وأصحابه الكرام، استحقوها بالعبادة والعمل الصالح، وهذا التكريم والشرف لا يستحقه الكفار في الزمن السابق، ولا تنطبق على الكافرين في العصور السابقة، مثل بختنصر و(تيتوس-Titus) وغيرهما!

ثالثاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: 5]

ذكر الطبري: عن ابن عباس في تفسير ﴿**فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ**﴾ قال: مشوا. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معنى جاسوا: قتلوا... وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوهم ذاهبين وجائين[4]. وقيل: "﴿**فَجَاسُوا**﴾ مشوا وترددوا بين الدور والمساكن، أو قتلوهم بين الدور والمساكن"[5]. وذكر البغوي: "أَيْ: فَطَافُوا وَدَارُوا، خِلالَ الدِّيارِ، وَسَطَهَا يَطْلُبُونَكُمْ وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَالْجَوْسُ طَلَبُ الشَّيْءِ بِالِاسْتِقْصَاءِ. قَالَ الْفَرَّاءُ: "جَاسُوا: قَتَلُوكُمْ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ. وَكانَ وَعْداً مَفْعُولًا، قَضَاءً كَائِنًا لَا خُلْفَ فِيه"[6].

أما المعاصرون:

([1]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3053).

([2]) انظر: محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (100).

([3]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 195).

([4]) انظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 366).

([5]) عز الدين، أبو محمد، **تفسير العز بن عبدالسلام** (2/ 212).

([6]) انظر: البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي**، (3/ 122).

ذكر الشعراوي: جاسُوا من جاسَ أي: بحث واستقصى المكان، وطلب مَنْ فيه، وهذا المعنى هو الذي يُسمّيه رجال الأمن "تمشيط المكان"[1].

إذن: جاسُوا أي: تتبعوهم تتبعاً بحيث لا يخفي عليهم أحد منهم، وهذا ما حدث مع يهود المدينة: بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر، فقد جاس رسول الله ﷺ خلال ديارهم في المدينة، وأجلاهم إلى أَذْرُعَات بالشام، ثم انقطعت الصلة بين المسلمين واليهود فترة من الزمن.[2]

وقيل: تسمعون في الاصطلاحات العسكرية الآن بما يسمى: تمشيط المنطقة، فجاسوا تأتي بنفس المعنى، والتمشيط لا يكون إلا من ذوي قدرة، أي: أن الذي سيغلب اليهود سيكون له سلطان، وسينقب تنقيباً حثيثاً عنهم[3].

وذكر الخالدي: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ يعني الرسولﷺ والصحابة خلال ديار اليهود، أي أن الصحابة احتلوا ديار اليهود وداسوها بأقدامهم، وحطموا كيان اليهود عليها، ثم دخلوها وجاسوا خلالها، وتغلغلوا فيها، وهذا ما فعله الصحابة، بديار اليهود من بني قينقاع، وبني النضير، ويهود خيبر، ويهود وادي القرى، ويهود فدك وتيماء، وأزالوا كيانهم من حياة المسلمين في المدينة.[4]

وقد أشار القرآن إلى هذا الجوس خلال ديار اليهود، في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [الأحزاب: 26-27]

رابعاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: 5]

ذكر مقاتل: "﴿**وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ يعني وعداً كائنا لا بدّ منه"[5]. وذكر الطبري: "كان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك، لا محالة، لأنه لا يخلف الميعاد"[6]. وذكر الجوزي: "﴿**وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ أي: لا بدّ من كونه".[7]

([1]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8358).

([2]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8788).

([3]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** - (37/ 4، بترقيم الشاملة آليا).

([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (169).

([5]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 521).

([6]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 366).

([7]) الجوزي، أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير** (3/ 11).

وذكر الشعراوي: هذه هي المرة الأولى التي انتصر فيها المسلمون على اليهود"[1]. فقد جاس رسول الله ﷺ خلال ديارهم في المدينة، وفي بني قريظة وبني قَيْنُقاع، وبني النضير، وأجلاهم إلى أَذْرُعَات بالشام، ثم انقطعت الصلة بين المسلمين واليهود فترة من الزمن [2].

ذكر التميمي: "﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ يعني أنه تم تدمير العلو الأول في عهد النبي وأصحابه"[3].

وذكر الخالدي: "لقد ضمن الله تحقيق وعده ببعث الصحابة على اليهود، لإزالة إفسادهم الأول في المدينة بقوله: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾، وتحقق ما وعد الله به في هذه الآية المكية على أيدي الصحابة في المدينة، وبذلك قضوا على إفساد اليهود الأول"[4].

وقد يُستنتج من قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ بأن الإفساد الأول قضى وانتهى في الزمن الأول قبل ظهور الإسلام، والأرجح بأن هذا الوعد واقع لا بدّ سيتحقق، بناء على ما سيكون، وقد تحقق بعد نزول هذه الآيات بالقضاء على علو ونفوذ اليهود في المدينة، وأن ما يحدث اليوم هو العلو والإفساد الثاني.

بناء على ما سبق، فإن هذا وعد الله وإخبار غيبي، قد تحقق على أيدي الصحابة في المدينة، وتحقق وعد الله وقضاؤه على إفساد اليهود الأول، وسيتحقق آجلاً بالقضاء على إفسادهم الثاني في البلاد الأسلامية والعالم.

خلاصة:

أ- أن قوله تعالى: "﴿فَإِذَا﴾ التي وردت في سياق الآية ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5] و"﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7]، هي أداة شرط لما يستقبل من الزمان، وَالْأَصَحُّ أن زمن نزول سورة الإسراء كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِنَحْوِ سَنَةٍ وَخَمْسَةِ أَشْهُرٍ [5]، هذا يعني بأن الإفسادتين المذكورتين هما بعد هذا التاريخ، ما يدل على أن هذين الحدثين هما في عصر الإسلام وليس قبله.

ب- وكذلك قوله تعالى: "﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ التي وردت في القرآن سبع مرات، جاء الضمير (نا) منسوباً من باب التكريم إلى الله تعالى، والله تعالى لا يمكن أن يورث هذا التكريم لنبوخذ نصر، أو (تيتوس- Titus) الروماني، أو أي كافر آخر.

ت- كما أن معنى كلمة البعث في قوله تعالى: "﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾، تعني المفاجأة والقيام سريعاً من دون فارق كبير من الزمن، كما يبعث الله الناس مرة واحدة من القبور يوم البعث للحساب، فلا يحتاج إلى عشرات السنين

---

[1] الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 314).
[2] انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8788).
[3] تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (19).
[4] خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (145).
[5] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير** (15/ 6).

ليكونوا بشراً مكتملين، هذا المعنى يبعث على الأمل في نفوس هذه الأمة، ويدل بأن التغيير في ميزان القوى سيكون سريعاً.

ث- أن قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ هو أيضاً نسبة تكريم وتشريف لهؤلاء العباد في نسبتهم إلى الله ﷻ، حيث اقترنت العبادة بالمسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهذا لا ينطبق إلا على المسلمين، وهم الرسول ﷺ والصحابة الكرام، من دون بختنصّر وجنوده، أو جالوت الخزري، أو سنحاريب ملك بابل، أو تيتوس الروماني، أو أدريان وغيرهم.

المبحث الثالث

دلالات تفسيرية معاصرة

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6]

رجّح الباحث، أن إفسادي اليهود الأول والثاني، كان بعد بعثة محمد ﷺ، وأن إفسادهم الأول كان في المدينة وما حولها قبل الهجرة، وأن الرسول ﷺ وأصحابه هم الذين أزالوا إفسادهم الأول، أما الإفساد الثاني لليهود، فيُعتقد أنه يجري في هذا الزمان، في أرض فلسطين، وأن المسلمين مكلفون لإزالته.

فإذا كان إفسادهم الأول في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، فإن الكرة تعود على اليهود في الإفساد الثاني، على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان.

أولاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾

الخطاب في هذه الآية مُوجَّه لبني إسرائيل، والآية تمثل مفصلا ونقطة تحوُّل وانقلاب في تاريخ أمة عظيمة، نتج عنها ويلات ودماء وحروب، فبعد أن تحدثت الآيات عن غلبة المسلمين، وأن الله سلّطهم لتأديب بني إسرائيل، انعكست قوى هذا الصراع بعد قرون كثيرة، لأن المسلمين تخلَّوْا عن منهج الله الذي ارتفعوا به، وتَنصَّلوا من كَوْنهم عباداً لله، فدارت عليهم الدائرة، وتسلّط عليهم اليهود، وتبادلوا الدور معهم؛ لأن اليهود أفاقوا لأنفسهم واكتسبوا دروساً وعبر، بعد أن أدّبهم رسول الله والمسلمون في المدينة، فأخذوا ينظرون في حالهم وما وقعوا فيه من مخالفات.

أقوال المفسرين القدامى:

ذكر الطبري: "ثم بعث الله فيهم نبيًّا وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان"[1]. وذكر البغوي: "يَعْنِي فِي زَمَانِ دَاوُدَ"[2]. وقيل: "ذَلِكَ بِقَتْلِ دَاوُدَ جَالُوتَ"[3]. وقيل: "وذلك بأن ألقى الله في قلب بهمن بن اسفنديار[4] لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف[5] شفقة عليهم، فرد أسراهم إلى الشام وملّك دانيال عليهم فاستولوا على من

([1]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (10/ 459).

([2]) البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (3/ 120).

([3]) القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (10/ 217).

([4]) بهمن بن اسفنديار (Bihmen B Asfindiar) قيل هو كورش البابلي الذي أمر بردّ بني إسرائيل إلى بيت المقدس، إلى غير هذا من الخلط واللبس.انظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ** (1/ 241-242).

([5]) كشتاسف بن لهراسف (Kishtasuf): هو أحد القادة البابليين زمن نبوخذ نصر، جد بهمن بن اسفنديار. انظر: الدّيار بَكْري، حسين، **تاريخ الخميس** (1/ 173)

كان فيها من أتباع بختنصر"[1]. وقيل: ﴿الْكَرَّةَ﴾: الظفر بهم بقتل جالوت، أو غزو ملك بابل، فاستنقذوا ما بيده من الأسرى والأموال، أو أطلق لهم ملك بابل الأسرى والأموال[2]. وقيل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ أي: الدولة والغلبة، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الذين بعثوا عليكم، بأن سلط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله[3].

أمّا أقوال المفسرين المعاصرين:

ذكر الخالدي: عبرت هذه الآية، عن الإفساد الثاني بحرف ﴿ثُمَّ﴾ وهو حرف يدل على التراخي، أي أن إفسادهم الثاني لا يعقب إفسادهم الأول مباشرة، وإنما بعده بوقت متأخر، فالإفساد الأول كان بالمدينة، والإفساد الثاني في عصرنا الآن، وبين الإفسادين أربعة عشر قرناً... وفي قوله رددنا: يعني الإعادة، أي أن الله هو الذي يمكن لليهود في إفسادهم الثاني، ويرد لهم القوة والسلطان المؤقت على المسلمين، و﴿لَكُمُ﴾ الخطاب لليهود، و﴿الْكَرَّةَ﴾ هي المرة الثانية، التي يمارسون فيها إفسادهم الثاني، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: على المسلمين في هذا العصر، الذين حاربوكم من قبل، وأزالوا إفسادكم الأول، أي أننا نحن مسلمي هذا الزمان[4]، حيث لم تكن لليهود كرة أخرى على الأقوام السابقين، الذين حاربوهم قبل ظهور الإسلام، ودمروا كيانهم الماضي على أرض فلسطين.

وقال: وكل كلمة في الجملة: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6] تدل على أن المعركة في الإفسادين هي بين المسلمين وبين اليهود[5].

ذكر الشعراوي: و﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي، على خلاف الفاء مثلاً التي تفيد الترتيب مع التعقيب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22)﴾ [عبس: 21-22] فلم يَقُل الحق سبحانه: فرددنا، بل ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾ ذلك لأن بين الكَرَّة الأولى التي كانت للمسلمين في عهد رسول الله، وبين هذه الكَرَّة التي كانت لليهود وقتاً طويلاً... فلم يحدث بيننا وبينهم حروب لعدة قرون، منذ عصر الرسول ﷺ إلى أن حدث وَعْد بلفور، الذي أعطى لهم الحق في قيام دولتهم في فلسطين، وكانت الكَرَّة لهم علينا في عام 1967، فناسب العطف بـ"ثم" التي تفيد التراخي.[6]

([1]) البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 248).

([2]) عز الدين، أبو محمد، **تفسير العز بن عبدالسلام** (2/ 212).

([3]) انظر: البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 248).

([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (146-147).

([5]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (147).

([6]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8361).

وقيل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6]: "ومعنى ذلك أنه قد مرت حقبة طويلة من الزمن ليحدث هذا التكاثر"[1].

وذكر التميمي: تخبر الآيات أن الله سبحانه وتعالى سيجعل لليهود الكرة عليهم، على من؟ على الذين جاسوا خلال الديار أول مرة، و﴿الْكَرَّةَ﴾ هي الدولة والسلطة، و﴿ثُمَّ﴾ معناها العطف مع التراخي والمهلة، فهل كر اليهود في التاريخ على البابليين؟ وكانت لهم دولة وسلطة عليهم؟ لم يحدث ذلك في التاريخ، ولن يحدث الآن ولا في المستقبل، لأن البابليين قد انقرضوا من الدنيا كامة، إذن لا بدّ أن تكون الكرة على أبناء من جاسوا خلال الديار وهم العرب المسلمون، فقد كر اليهود على بلاد الشام وفلسطين، وهذا الذي قد حدث ونعيشه الآن[2].

ذكر حوى: "﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6] بعد مئات السنين، بأن جعلنا لكم الغلبة، حتى إذا دخلتم في صراع معهم غلبتموهم، كما حدث إذ غلب المسلمون ومنهم العراقيون حقيقة أو حكماً في الصراعات الحالية" [3].

فإذا كانت الكَرَّة الآن لليهود، فهل ستظل لهم على طول الطريق؟ لا، لن تظل لهم الغَلبة، ولن تدوم لهم الكرّة على المسلمين، بدليل قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7]، أي: إذا جاء وقت الإفسادة الثانية لهم... وفي الآية بشارة لنا أننا سنعود إلى سالف عهدنا، وستكون لنا يقظة وصَحْوة نعود بها إلى منهج الله وإلى طريقه المستقيم، وعندها ستكون لنا الغَلبة والقوة، وستعود لنا الكَرَّة على اليهود[4].

ذكر الخالدي: ويُفهم من قوله تعالى ﴿عَلَيْهِمْ﴾، أن حرب اليهود في مرحلتي الإفساد، الأول والثاني، كانت موجّهة ضد أمّة بعينها، تكون قوية فتُزيل فساد اليهود الأول، ومع مرور الزمن يتغير حالها، وتُصاب أجيالها بالضعف، وتتقوى اليهود بأجيالها على هذه الأمة نفسها فيغلبونهم، ويتمكنون منهم، ويصبّون عليهم إفسادهم الثاني، ثم تتقوى أجيال تالية من تلك الأمة نفسها، فتتمكن من اليهود وتزيل إفسادهم الثاني.[5]

فإذا ما تساءل بعض المؤمنين: ولماذا تجعل يا الله الكَرَّة لبني إسرائيل؟ تكون الإجابة: لأنكم أيها الناس قد تخلفتم عن مطلوب العبودية الخالصة لله، ومادمنا قد تخلفنا عن مفهوم (عباد الله) فلا بدّ أن تحدث لنا تلك السلسلة الطويلة التي نعرفها من عدوان بني إسرائيل، ونحن الآن في مواجهة اليهود في مرحلة قوله الحق: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6]، فإذا كنا عباداً لله فلن يتمكنوا منا.[6]

---

(1) محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (100).

(2) انظر: تميي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (19).

(3) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3040).

(4) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8363).

(5) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (171).

(6) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3053).

فليست المسألة أنهم لكونهم يهوداً لا يعطيهم الله الكَرَّة، ولكن القضية هي أننا عندما نكون عباداً لله حقيقة، اعتقاداً وسلوكاً، قولاً وعملاً، ننتصر عليهم... فإذا انحلَّتْ الأمور الإيمانية في نفوس المسلمين، وانقسموا دُوَلاً لكل منها نظام حاكم، انحلّتْ عنهم صِفَة عباد الله.[1]

وثمة تساؤلات تتعلق بالكرة الثانية لليهود:

هل كان لليهود السابقين كرة أخرى مقرونة بعلو كبير عام 586 ق.م على قوم بختنصر البابلي؟

هل كان لهم كرة أخرى مقرونة بعلو كبير عام 70 م، في عصر تيتوس اليوناني؟

أم هل كان لهم كرة أخرى مقرونة بعلو كبير عام 135م، حين قتلهم وشردهم هادريان؟

هل شهد التاريخ، بأن اليهود حاربوا أقواماً أخرين غير هؤلاء، قبل ظهور الإسلام؟ ثم كانت لهم الكرة عليهم؟

هل المرّتان حدثتا؟ أو أنهما ستحدثان بعد نزول القرآن؟ أو أن واحدة حدثت قبل الإسلام وننتظر الثانية؟ وهل صلة الأقوام المسلّطين على المسجد الأقصى، صلة عداء أو ولاء؟ وقد ذكرت الآيات هؤلاء: ﴿**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الإسراء: 7]، هذه كلها تحتاج إلى أجوبة دقيقة.

إن الإجابة على هذه الأسئلة كلها، منفردة كانت أو مجتمعة، أن إفسادات اليهود في عصور ما قبل الإسلام، لم تكن مقرونة بعلو كبير كما هو حاصل في هذا الزمان، ثم أن اليهود قبل الإسلام، لم يحاربوا مرتين، قوماً واحداً من جنس واحد، وأن الخطاب القرآني المباشر بدخول المسجد وتحريره واسترجاعه، ومهاجمة وتخريب أبنية وممتلكات بني إسرائيل، كان من المفروض أن يكون موجها لقادة وجنود مؤمنين وليسو كفاراً، فإن كان المهاجمون مؤمنين فإن ما ذكره القدامى لا يتفق مع هذه النظرية، لأن بختنصر وغيره ليسو كذلك، وإن كان المهاجمون كفارا فالأمر كذلك، ولا يتفق مع ما ذكروه، إذ كيف يهاجم جيش كافر شعباً مؤمناً ليسترجع مسجداً لعبادة الله! وإن كان بنو إسرائيل في ذلك الوقت شعباً مؤمناً، والقادة الذين هاجموهم مؤمنون، فأين الخلاف وسبب المواجهة؟

على ضوء ما سبق، كان لا بدّ من وقوع خلاف عقائدي، بين بني إسرائيل والذين هاجموهم وخربوا ديارهم، وأن هذا الخلاف والهجوم قد وقع مرتين، وبين المرتين قرونا عديدة، ولم يحدث هذا في تاريخ بني إسرائيل إلا مع المسلمين.

---

[1] انظر: الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8360).

ثانياً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: 6]

هذا الخطاب الرباني لليهود، هو الله الذي يرفع الأفراد والشعوب ويذلها، بمظاهر القوة وزلات الضعف، يسخر الأقوام والدول كيف يشاء بحكمته، فهو بيده مقاليد كل شيء، ليتحقق قضاؤه وقدره.

أقوال بعض المفسرين القدامى:

ذكر القرطبي: "وَأَمْدَدْتُ، فِيمَا كَانَتْ زِيَادَتُهُ مِنْ غَيْرِهِ، كَقَوْلِكَ: أَمْدَدْتُ الْجَيْشَ بِمَدَدٍ، وَمِنْهُ: ﴿**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران: 125]. وَأَمَدَّ الْجُرْحُ، لِأَنَّ الْمِدَّةَ مِنْ غَيْرِهِ، أَيْ صَارَتْ فِيهِ مِدَّةٌ" [1].

أبرز آراء المعاصرين:

ذكر الشعراوي: ﴿**وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**﴾ [الإسراء: 6] معناها أنهم ينتصرون على المسلمين، وهذا ما هو حادث الآن، وما شاهدناه وما نشاهده في الفترة الأخيرة، أي أن المدد والقوة تأتيهم من الخارج وليس من ذاتهم... ونحن نرى أن إسرائيل قائمة على جلب المهاجرين اليهود، وجلب الأموال والمساعدات من الدول الأخرى، أي أن كل هذا يأتيهم بمدد من الخارج، وإسرائيل لا تستطيع أن تعيش إلا بالمهاجرين إليها، وبالمعونات التي تأتيها[2].

ذكر التميمي: "وهنا نتساءل مرة أخرى، هل أمد الله اليهود بأموال وبنين غير هذه المرة؟ لم نعرف أن ذلك قد حدث، واليهود قبل الإسلام زمن البابليين والرومان في بلاء متصل وعذاب مستمر، وبعد الإسلام أخرجهم المسلمون من الجزيرة ثم بدأت أوروبا تعذبهم في إسبانيا وبقية أقطارها، واستمر العذاب لهم حتى هذا القرن"[3]

وذكر الخالدي: ويُفهم من قوله تعالى: ﴿**وَأَمْدَدْنَاكُمْ**﴾ بأن قوة اليهود في إفسادهم الثاني، ليست ذاتية أصلية، نابعة منهم، أو ناتجة عن جهدهم، وإنما هي قوة خارجية مستوردة، ومستمدة من الآخرين، ومعتمدة على دول كثيرة عظمى في مساعداتهم وإمداداتهم، ويحمل هذا الإمداد مفهوم السلاح ذو حدّين، فإنهم وإن اكتسبوا به قوة عظيمة، تمكنهم من الامتلاك والغطرسة في العالم، إلا أن له نتائج سلبية مدمّرة في نهاية الأمر، لأنه مرهون باستمرار تلك الإمدادات، ولن يستمر، بل سيتوقف وينقطع آجلاً أم عاجلاً، وما وضع الكيان الإسرائيلي في هذا العصر إلا تصديق واقعي لهذه الحقيقة[4].

([1]) القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (1/ 209).

([2]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 315).

([3]) تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (19).

([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (148).

فلم يحدث في تاريخ بني إسرائيل، بعد انقضاء عهد داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام، أن مُدّ اليهود بأموال وبنين، إلا في هذه المرة التي نعيشها، فـ(دولة) اليهود تعيش على التبرعات التي تأتيها من الغرب، وعلى المهاجرين الذين يأتونها من الغرب والشرق، حيث تمدهم بالعتاد العسكري أكبر دول الأرض، وهي أمريكا ودول الحلف الأطلسي.

وذكر التميمي: "وحتى نرى إعجاز هذه الآية بأعيننا، نجد (دولة) اليهود اليوم تعيش على البنين الذين يأتونها من أطراف الأرض ليمدونها بالجند، وترى الأموال من دول الغرب تأتيها بمساعدات مذهلة"[1].

وعلى ضوء ذلك، يفهم من قوله تعالى: ﴿بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، بأن الإمداد الخارجي هو المستورد لليهود يتم بالأموال والبنين، لأن قوة التجمعات البشرية تتمثل بهما، وهما قاعدة النهوض والتمكن والاستقرار للدول في هذا الزمان، فالمال هو عصب الحياة الاقتصادية لأية دولة، وأكثر هذه الأموال في الكيان الصهيوني، تقدمها الولايات المتحدة ثم دول أوروبا، وهي تتمثل في عشرات المليارات سنوياً، ولولا هذه الإمدادات المالية لما تمكن هذا الكيان في البقاء والاستمرار والتمكن هذه العقود الطويلة، عدا أنهم أغنياء في الأصل، لأنهم يديرون معظم حركة المال في العالم المعاصر.

أما الإمداد البشري، فالطاقة البشرية لبني إسرائيل في أرض الشام، تُعد القوة الإستراتيجية المهمة، لبقائهم وأساس استمرارهم، على صورة مهاجرين من مختلف بلاد العالم إلى أرض الميعاد، وفق مجموعات بشرية منتظمة، تتدفق نحو أرض فلسطين براً وبحراً وجواً، خلال سبعة عقود متواصلة دون توقف، ولم يزل هذا السيل البشري اليهودي يتدفق من جهات الدنيا الست، وهم ملايين من البشر، من شتى الأجناس والألوان والأعمار، لتضخّ في هذا الكيان، حتى يتحقق قضاء الله وقدره في تجمع اليهود على أرض المحشر، انتظاراً لساعة الحسم!.

ثالثاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6]

ذكر مقاتل: "﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ يعني أكثر رجالا منكم"[2]. وذكر ابن أبي حاتم: "﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: عددًا، وذلك في زمان داود"[3]. وقيل: "﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ مما كنتم، والنفير: من ينفر مع الرجل من قومه"[4].

ذكر الشعراوي: "النفير هو ما يستنفره الإنسان لنجدته؛ لأن قوة ذاته قاصرة عن الفعل، واليهود ليسوا قوة ذاتية بمفرد دولتهم، ولكن وراءهم أهمّ قوى في العالم المعاصر"[1].

([1]) تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (20).

([2]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).

([3]) ابن أبي حاتم، محمد عبدالرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (7/ 2318).

([4]) البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 248).

فالنفير من النفرة، وهي الدعم والتأييد والمساندة، وهذه من أبرز مظاهر قوة اليهود في إفسادهم الثاني، حيث يستورد هذا الكيان من القوة المعنوية والإعلامية والدعائية الدولية، من شتى أنحاء العالم، فهم يحاربون من يحاربه ويوالون من يواليه، وما يحدث في الوقت المعاصر يؤكد هذا المعنى، فالصوت اليهودي في هذه الأيام هو أعلى الأصوات بامتياز، والدعاية اليهودية هي أعلى الدعايات!.

ذكر الشعراوي: النفير هو الصوت العالي الذي يجذب الانتباه، ونحن نرى الآن أن إسرائيل تسيطر على وسائل الإعلام والدعاية في العالم، وأن صوتها عال ومسموع[2].

نفيرا: هو النفير الإعلامي، ووسائل الإعلام المتعددة، من كتب ونشرات وصحف وإذاعة وتلفزيون ومحطات فضائية، وقد أعطى الله اليهود بسخاء كل هذه الوسائل، واعطاهم القدرة على النفاذ إلى أصحاب القرار في كل دولة، والوصول إلى منابر الغرب وإثارتها، والآيات تتحدث عن أيامنا وما يجري فيها الآن.[3]

فاليهود الآن هم الأكثر نفيراً، وأعوانا ومساعدين، في أغلب دول العالم اليوم، شرقها وغربها، فالإذاعات وشبكات التلفزيون العالمية تدعم المواقف اليهودية، والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت تدافع عن هذا الكيان المجرم، حتى لا تكاد تخلو دولة من دول العالم، من بوق إعلامي مأجور يحرص على إرضاء اليهود، حتى بعض الدول العربية والإسلامية، لا تخلو من ذلك، باختلاف المسمّيات، فالإعلام اليهودي هو من أقوى شبكات الإعلام في العالم.

والنفير مع اليهود، يتمثل في مواقف أمريكا وغيرها بالضغط على مؤسسات العالم الشعبية والرسمية، للتراجع عن قرار اعتبار اليهودية فكراً عنصرياً إجرامياً، واستخدام الدول الخمس الكبرى، في مجلس الأمن الدولي، حق النقد الفيتو لصالح هذا الكيان، رغم احتلاله أراضي الشعوب، وسفك دمائهم، ورغم احتجاج شعوب العالم كله، وغضبه الواضح ضد هذا الكيان، ولا يجد باحث أو قارئ، نفيرا لبني إسرائيل، أكثر من هذا النفير؟

وهذا واقع الحال، لقد أمدّهم الله بالمال حتى أصبحوا أصحاب رأس المال في العالم كله، وأمدّهم بالبنين من الخبراء والعلماء والباحثين والأكاديميين والعسكريين على أعلى المستويات، وفي كل المجالات، وكان لا بُدَّ لهم، لكي تقوم لهم قائمة، وتكتمل الحلقة الفولاذية، من مساندة أنصارهم وأتباعهم من الدول الأخرى، وهذا واضح لا يحتاج إلى بيان، منذ الخطوات الأولى لقيام (وطنهم) القومي المزعوم في فلسطين.

([1]) الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3054).
([2]) الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 315).
([3]) انظر: محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (100).

ذكر الشعراوي: "فالنفير مَنْ يستنفره الإنسان لينصره، والمراد هنا الدول الكبرى التي ساندت اليهود وصادمت المسلمين، ومازالت الكَرَّة لهم علينا، وسوف تظل إلى أنْ نعود كما كُنَّا، عباداً لله مُسْتقيمين على منهجه، مُحكِّمين لكتابه، وهذا وَعْد سيتحقّق إنْ شاء الله"[1].

وذكر المغامسي: اليهود في إسرائيل الآن كما قال الله: ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ والنفير غالباً يطلق على الإعلام، وهم اليوم أكثر إعلاماً ومعرفة في العالم؛ لسيطرتهم على كثير من الأجهزة والقوة الإعلامية في العالم[2]... لاحظ تعبير القرآن، قال: ﴿نَفِيرًا﴾ وكأنه يمثل البوق الإعلامي، ما قال: وجعلناكم أكثر عدداً؛ لأن اليهود أقلية لا يمكن أن يصبح عددهم كثرة هائلة.[3]

ذكر الخالدي: (رددنا، أمددنا، جعلنا)، الفاعل في الأفعال الثلاثة (نا) الذي يعود إلى الله، أي إن الله هو الذي يرد لليهود الكرة على المسلمين عند الإفساد الثاني، وهو الذي يمد هؤلاء اليهود بالأموال والبنين، وهو الذي يجعلكم أكثر نفيراً، ويملي لهم ويمكن لهم، وفق حكمته ومشيئته، التي تنتهي بهم إلى تدميرهم، وإسناد الأفعال الثلاثة السابقة إلى الله، يوحي بأن اليهود لا يملكون قوة ذاتية عند إقامتهم الكيان الموعود، وإنما هم خاضعون لمشيئة الله عليهم، وهي الدمار والهلاك.[4]

---

(1) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8362).

(2) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (19/ 5، بترقيم الشاملة آليا).

(3) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 4، بترقيم الشاملة آليا).

(4) خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (189).

المبحث الرابع

دلالات تفسيرية معاصرة

في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]

ذُكر، بأن هذا الخطاب ورد ابتداء، في كتاب التوراة لبني إسرائيل، على أغلب أقوال العلماء القدامى والمعاصرين من دون خلاف، ثم كرره الله تعالى في القرآن، لبيان خبر ما قبلنا، ويَعلم به المسلمون، ويكشف به حقيقة اليهود الذين حرفوا وكتموا، ومعناه: أن الله يجزيكم أيها اليهود بأعمالكم، إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فهو كذلك، وهو رد على ادعاء اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم إن أحسنوا أو أساؤوا فإن الله معهم، وإن طغوا وبغوا فإن الله معهم! ولا يتخلى عنهم أبدا! في جميع أحوالهم! وهذه أكاذيب بني إسرائيل، وأوهام يهودية، فلا محاباة عند الله، وكل إنسان يجني ثمرة عمله، إحسانا أو إساءة.

أولاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7]

يهدد الله اليهود، بعد أن قامت لهم (دولة) وكيان ونفوذ، وأنهم سيأتون مرة ثانية إلى هذه الديار، جماعات شتى من أصول شتى، كما هو حادث الآن، أنهم إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤوا فعليها، واليهود لا يمكن أن يحسنوا، فهم في حالة ضعفهم لم يكونوا ليحسنوا إلى أحد، فكيف إذا كانوا أقوياء وأصحاب نفوذ، فالجزم إذن بأن تكون إساءتهم متحققة، ولذلك فلا بدّ أن يُسلّط عليهم أقوام وأقوام، للقضاء على علوّهم، وسُيدمّر علوهم المادي والمعنوي، وتزول دولتهم إلى آخر الزمان.

آراء المفسرين القدامى:

ذكر مقاتل: "﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ العمل لله بعد هذه المرة ﴿أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ﴾ فلا تهلكوا، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ يعني: وإن عصيتم فعلى أنفسكم، فعادوا إلى المعاصي الثانية، فسلط الله عليهم أيضاً انطياخوس[1] بن سيس الرومي ملك أرض نينوى"[2].

([1]) هو أنطياخوس (Antiochos) الرومي، سلطه الله على بني إسرائيل حينما عصوا وأفسدوا في بيت المقدس، ففعل بهم كما فعل بُخْت نَصَّر. أنظر: سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان** (2/ 277)

([2]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).

آراء المعاصرين:

ذكر الشعراوي: "وما زال الخطاب مُوجّهاً إلى بني إسرائيل، هاكم سُنّة من سنن الله الكونية التي يستوي أمامها المؤمن والكافر، وهي أن مَنْ أحسن فله إحسانه، ومَنْ أساء فعليه إساءته، فها هم اليهود لهم الغَلبة بما حدث منهم من شبه استقامة على المنهج، أو على الأقل بمقدار ما تراجع المسلمون عن منهج الله؛ لأن هذه سُنّة كونية، مَنِ استحق الغلبة فهي له؛ لأن الحق سبحانه وتعالى مُنزّه عن الظلم، حتى مع أعداء دينه ومنهجه، والدليل على ذلك ما أمسى فيه المسلمون بتخليهم عن منهج الله[1]".

ذكر التميمي: "وهذا الإحسان دنيوي يجازون عليه في الدنيا' كما جاء في قوله تعالى: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾ [البقرة: 200]"[2]

وهذه حقيقة قرآنية قاطعة، وقاعدة مطردة أقرّها الله، تنطبق على جميع الأفراد والمجتمعات، والأمم والدول، في أي مكان وزمان، وهي أن من يحسن فإنما يحسن لنفسه، وإن من يسيء فإنما يسيء لنفسه، فإذا اختاروا الطريق المنحرفة، التي تتفق مع طبائعهم واستكبارهم وعلوهم، كان الجزاء من جنس العمل، فيعذبهم الله جزاء عملهم واختيارهم، ولا ينفعهم وقتئذ محاباة.

والسؤال: لماذا الكلام عن الإحسان والإساءة أثناء الحديث عن إفساد بني إسرائيل؟ إن سلوك اليهود وطبائعهم، قد جُبلت على الإساءة والفساد، وهم لا يعرفون الإحسان والرحمة، ومن حكمة الله تعالى وعدله، أن يمتحن خلقه ليكونوا شهداء على أنفسهم، فيختاروا أحد طريقين، إما الإحسان وإما الإساءة، وإذا كان اليهود لم يُحسنوا في فترات الضعف من تاريخهم، فكيف سيُحسنون في فترة القوة والتمكن؟.

وللدلالة على هذا المعنى، ذكر الخالدي: "تدخل {إذا} على فعل الشرط إذا كان متحققاً وقوعه متأكداً منه لا شك فيه، وتدخل {إن} على فعل الشرط غالباً إذا كان مستحيل الوقوع، أو مشكوكاً في وقوعه"[3].

وهذا يعني أن اليهود سيستخدمون فترة حكمهم وتمكنهم وقوتهم، في إفسادهم الثاني الكبير، على أرض فلسطين والشام، في الإساءة مطلقاً، وقد امتلأ صفحات التاريخ المعاصر بالشواهد والأمثلة، الدالّة على إساءات اليهود للشعوب العربية والإسلامية، ونهب أموالها وتعطيل مقدراتها، وامتلاك خيراتها، وخيرات الشعوب الأخرى في العالم، خصوصاً الأمريكي أوروبي، بدعوى أنها الخط الأمامي للدفاع عن هؤلاء، والدرع الواقي له من الخطر العربي الإسلامي، وأنها تستحق ذلك بجدارة، ناهيك عن إساءة بني إسرائيل في هذا العصر، للشعوب والأمم الأخرى، وهي إساءة واضحة لتلك الشعوب، وتعمل على إثارة النفوس وتحريضها،

([1]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8362).

([2]) تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (20).

([3]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (162).

لعل وعسى أن تنعكس هذه الإثارة وهذا التحريض، فيجلبون الغضب الشعبي العالمي على أنفسهم، وتقع المواجهة، وينقلب السحر على الساحر ولو بعد حين من الزمن، وتنفجر براكين الانتقام على كيانهم ووجودهم مع هؤلاء جميعاً.

ثانياً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7]

أقوال القدامى: "﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: آخر العقوبتين"[1]. وقيل: "وقت آخر الهلاكين[2]". وقيل: "فبعث الله عَلَيْهِمْ في الآخرة بختنصر البابلي المجوسي أبغض خلق الله إليه فسلب وقتل وخرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب[3]" وذكر الطبري: " قال ابن زيد، في قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ قال: كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير، قال: لأن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد، وخرب المسجد" [4]. وذكر العز بن عبدالسلام: "﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: بعث عليهم بختنصر، أو انطياخوس الرومي ملك نينوي، و{الْمَسْجِدَ}: بيت المقدس"[5].

ذكر الشعراوي: كلمة الآخرة، تدلُّ على أنها المرة التي لن تتكرر، ولن يكون لليهود غَلَبة بعدها[6]، وقيل: ﴿فَإِذَا﴾ استعمال حرف الفاء هذه المرة يفيد سرعة مجيء وعد الآخرة[7]، وقيل: "تتحدث الآية عن تلك النهاية، أي موعد الإفسادة الثانية، بما معناه أن المواجهة ستتم والحرب ستحدث، وسوف يستردّ المسلمون بيت المقدس، ويدمروا كل ما بنت إسرائيل وعمرت".[8]

قيل: لم يرد في القرآن لفظ: ﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ إلا مرتين، وهاتين المرتين عن بني إسرائيل في سورة الإسراء، جاءت مرة في أولها: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5] ومرة في آخر السورة: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7]، وكلتا المرتين جاءت للدلالة على الكرة ولم تأت للدلالة على يوم القيامة.[9]

كما اتفق أغلب علماء السلف والجدد، وكما ظهر من أقوالهم وتفسيراتهم، فإن المراد باللفظ (الآخرة)، لا يعني يوم القيامة، أو المقابلة للدنيا كما ذكر البعض، وإنما هو المقابلة للمرة الأولى، في قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾، أي المرة الأولى، و﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ هي المرة الثانية في الإفساد، وفي هذا اللفظ إشارة عجيبة، أي

([1]) ابن أبي حاتم، محمد عبدالرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (7/ 2318).
([2]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).
([3]) ابن أبي حاتم، محمد عبدالرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (7/ 2318).
([4]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 387).
([5]) عز الدين، أبو محمد، **تفسير العز بن عبدالسلام** (2/ 213).
([6]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8365).
([7]) انظر: ماضي، محمد ابراهيم، **صراعنا مع اليهود** (92).
([8]) محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (101).
([9]) انظر: جرار، بسام، يو تيوب بعنوان: **تفسير الإسراء (103) وعد الآخرة.**

المرة الأخيرة حيث ينتهي كيان اليهود السياسي والعسكري، كما أن الدار الآخرة التي لا دار بعدها، ويتوقف عداد الزمن بعد ذلك، أما وعد الآخرة يعني الإفساد الأخير لليهود، المقترن بالعلو والتمكن والقوة والفساد، ولا قوة ولا تمكن ولا إفساد لهم بعده، وكانت الفرصة الأخيرة لهم بالقوة والتمكن، بإقامة كيان و(دولة) على أرض فلسطين، والتحكم في العالم، إنها المرة الأخيرة لليهود التي لا تتكرر بعد ذلك، قد يعيشون بعد تدمير كيانهم وإزالة نفوذهم على أرض فلسطين، أفراداً أو جماعات يهودية مشردة في العالم، أذلاء ضعفاء، كما كانوا.

ثالثاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7]

أقوال المفسرين القدامى:

ذكر مقاتل: "﴿**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**﴾ يعني: ليقبح وجوهكم، فقتلهم وسبى ذراريهم، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وقتل علماءهم وحرق التوراة[(1)]". وذكر السمرقندي: "أي: بعثناهم إليكم، ليقبحوا وجوهكم بالقتل والسبي[(2)]". وذكر الثعلبي: "فسلَّط الله عليهم الفرس والروم، فقتلوهم وسبوهم ونفوهم عن بلادهم، وأخذوا بلادهم وأموالهم، فذلك قوله ﴿**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**﴾ [(3)]".

أقوال المفسرين المعاصرين:

ذكر الخالدي: الخطاب في هذه النص لليهود، والضمير في ﴿**وُجُوهَكُمْ**﴾ يعود على اليهود، والإخبار فيه عن المسلمين، ومعناه: إذا جاء وعد المرة الثانية والأخيرة من إفسادكم، وتحقق هذا الوعد، فإن المسلمين سيغلبونكم وينتصرون عليكم، ويسوؤون وجوهكم، ويدخلون المسجد، ويدمرون علوكم تدميراً.[(4)] والمعنى أن يوقع المسلمون السوء والأذى باليهود، ليبدو هذا السوء على ملامحهم ووجوههم.

وقيل: "﴿**لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ**﴾ أي: وجوه اليهود"[(5)].

ذكر قطب: "وهذه الحلقة من سيرة بني إسرائيل، لا تذكر في القرآن إلا في هذه السورة، وهي تتضمن نهاية بني إسرائيل التي صاروا إليها ودالت دولتهم بها، وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها[(6)]".

([1]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).
([2]) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، **تفسير السمرقندي، بحر العلوم** (2/ 302).
([3]) الثعلبي، أحمد بن محمد، **تفسير الثعلبي** (6/ 85).
([4]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (156).
([5]) المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 4، بترقيم الشاملة آليا).
([6]) قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (4/ 2212).

ذكر التميمي: ﴿فَإِذَا... لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ...﴾ [الإسراء: 7] وهنا، حين يخبر الله عن زوال دولتهم، استعمل كلمة الفاء {فإذا} للعطف ولم يستعمل {ثم} والفاء للعطف مع التعقيب، والتعقيب لكل شيء بحسبه وما يناسبه، وهو يدل على السرعة في حصول المقصود[1].

وتساءل الشعراوي: وهل تستمر الكرّة يا رب؟ لا، فها هو ذا الحق سبحانه يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7]، كأن الحق يعطينا البشارة بأننا سننتصر؛ ويكون الانتصار مرهوناً بتنفيذ القاعدة التي شرعها الله بأن نكون عباداً لله حقاً، عندئذ سَيَكِلُ الله لنا تنفيذ وعده لليهود: ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾، وأشرف ما في الإنسان هو الوجه، وعندما نكون عباداً لله سنسوء وجوههم، وفوق ذلك: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7][2].

وذكر حوى: "إن الآيات تذكر أن الذين يسلطون على بني إسرائيل أوّل مرّة هم الذين يسلّطون عليهم ثاني مرّة، يلاحظ ذلك من عودة الضمير على المذكورين أولاً، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7]"[3].

ذكر التميمي: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي لذهاب علوهم الثاني، تصبح وجوه بني إسرائيل سيئة، ويبشرنا ربنا أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى دخولنا المسجد مرتين، والمرتان حدثتا بعد نزول الآية، المرة الأولى الفتح العمري للمسجد، والمرة الثانية هي هذه التي نحن على أبوابها، حيث سيدخل المسلمون المسجد فاتحين للمرة الثانية[4].

ذكر الخالدي: وفي هذه المرحلة سيعلو المسلمون، بالجهاد الرباني، ويظهرون على جيش اليهود، وعلى السلاح اليهودي، والترسانة العسكرية، وعلى المؤسسات والقاذفات، وعلى الأسلحة الذرية والنووية والكيماوية، وسوف يدمرون كل ذلك تدميراً، تدمير إبادة، يتحول اليهود بعدها إلى مجموعات ذليلة بين الشعوب[5].

رابعاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ﴾ [الإسراء: 7]

آراء المفسرين القدامى:

ذكر مقاتل: "﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس، أي: أنطياخوس بن سيس ومن معه، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يقول: كما دخله بختنصر المجوسي وأصحابه قبل ذلك[1]".

([1]) انظر: تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (21).
([2]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3055).
([3]) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3039).
([4]) انظر: تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (21).
([5]) خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (157).

وذكر البغوي: "يَعْنِي: بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَنَوَاحِيَهُ[2]". وذكر الماوردي: "يعني بيت المقدس[3]".

أما آراء المعاصرين:

ذكر الشعراوي: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: 7] أي: أن المسلمين سيدخلون المسجد الأقصى وسينقذونه من أيدي اليهود[4]... ومعنى هذا أن المسجد الأقصى سيضيع من المسلمين ويصبح تحت حكم اليهود، فيأتي المسلمون ويحاربونهم ويدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة في عهد عمر بن الخطاب ﵁[5].

وقيل: "﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي يكبروا فوق جبل المكبر في القدس، كما دخله عمر والصحابة مكبرين"[6].

فالفاعل في قوله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا﴾ يعود على الضمير، كما هو في قوله تعالى: ﴿لِيَسُوءُوا﴾، فالذين يسوؤون وجوه اليهود هم الذين يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة، وهم المسلمون من دون خلاف، والمراد بالمسجد هو المسجد الأقصى، لأن الضمير المتصل الهاء في ﴿دَخَلُوهُ﴾ مفعول به، يعود على المسجد الأقصى، وهو الدخول الأول زمن خلافة عمر بن الخطاب، ومعناه: عند إفساد اليهود الثاني على أرض فلسطين، سيتغلب المسلمون على اليهود، وسيدخلون المسجد الأقصى فاتحين له بالحرب والسلاح، لا عن طريق السلم والصلح والمفاوضات، ويستردونه كما دخلوه أول مرة فاتحين زمن الخليفة عمر، من الرومان وقتئذ، وكأن التاريخ يعيد نفسه، وما أشبه اليوم بالبارحة.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يجد أن دخولَ المسلمين للمسجد الأقصى أول مرة كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﵁، ولم يكن الأقصى وقتها في أيدي اليهود، بل كان في أيدي الرومان المسيحيين، فدخوله الأول لم يكُنْ إساءةً لليهود، وإنما كان إساءة للمسيحيين، لكن هذه المرة سيكون دخول الأقصى، وهو في حوزة اليهود، وسيكون من ضمن الإساءة لوجوههم أن ندخل عليهم المسجد الأقصى، ونُطهِّره من رِجْسهم، ونلحظ كذلك في قوله تعالى: "﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أن القرآن لم يقُلْ ذلك إلا إذا كان بين الدخولين خروج، إذن: فخروجنا الآن من المسجد الأقصى تصديق لِنُبوءَة القرآن[7].

إذن فالحق هنا لم يأت بذكر المسجد في أول مرة، فكيف يكون دخولنا المسجد إذن؟ لقد دخلنا المسجد الأقصى أول مرة في الامتداد الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب ﵁، والمسجد الأقصى أيام عمر بن الخطاب

([1]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).

([2]) البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (3/ 123).

([3]) ماوردي، أبو الحسن، **النكت والعيون** (3/ 231).

([4]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8364).

([5]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 315).

([6]) ماضي، محمد ابراهيم، **صراعنا مع اليهود** (92).

([7]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8364).

ﷺ لم يكن في نطاق بني إسرائيل، ولكن كان في نطاق الدولة الرومانية، فدخولنا المسجد أول مرة لم يكن نكاية فيهم، ولكن الحق جاء بالمرة الثانية هنا، والمسجد في نطاق سيطرة بني إسرائيل، وسنكون نحن إذن عباداً للهِ ذوي البأس الشديد الذين سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وجاء الحق سبحانه بالمسجد هنا؛ لأن دخول المسجد أول مرة لم يكن إذلالاً لليهود، فقد كانت السلطة السياسية في ذلك الزمن تتبع- كما قلنا- الدولة الرومانية[1].

خامساً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]

أقوال المفسرين القدامى:

ذكر البغوي: ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾"وَلِيُتَبِّرُوا، وَلِيُهْلِكُوا، ﴿**مَا عَلَوْا**﴾ أي: غَلَبُوا عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِكُمْ تَتْبِيراً"[2]. وذكر مقاتل: "وليدمروا ما علوا تدميرا"[3].

أقوال المعاصرين:

وذكر الشعراوي: {يتبروا}: أي: يُهلكوا ويُدمِّروا، ويُخرّبوا ما أقامه اليهود، وما بَنَوْهُ وشيَّدوه، من مظاهر الحضارة التي نشاهدها الآن عندهم.. لكن نلاحظ أن القرآن لم يقُلْ: ما علوتُم، إنما قال ﴿**مَا عَلَوْا**﴾ ليدل على أن ما أقاموه وما شيدوه ليس بذاتهم، وإنما بمساعدة من وراءهم من أتباعهم وأنصارهم، فاليهود بذاتهم ضعفاء، لا تقوم لهم قائمة[4].

ويظهر من ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿**لِيَسُوءُوا**﴾، ﴿**وَلِيَدْخُلُوا**﴾، ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا**﴾ يعود على المسلمين، الذين سيحاربون اليهود في إفسادهم الثاني، فالمسلمون هم من سيدمر كيان اليهود، ويدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة زمن عمر بن الخطاب، ويدخلون المسجد بعد الإفساد الثاني زمن الجيل المعاصر، ويريح العالم من علوهم، وغطرستهم، وعدوانهم، وأن إسناد هذا الضمير للمسلمين فيه تشريف وتكريم من الله لهم.

ذكر قطب في الظلال: "وهي صورة للدمار الشامل الكامل الذي يطغى على كل شيء، والذي لا يبقي على شيء"[5].

([1]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3056).

([2]) البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (3/ 123).

([3]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).

([4]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8365).

([5]) قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (4/ 2214).

وذكر الشعراوي: وحتى نتبر ما يُعْلُونه- أي نجعله خراباً- لا بدّ أن تمر مدة ليعلوا في البنيان، وعلينا أن نعدّ أنفسنا لتكون عباداً لله لنعيش وعد الآخرة، وقد جعلها الله وعدا تشريعياً، فإذا عدنا عباداً لله فسندخل المسجد، ونتبر ما علواً تتبيراً[1].

وقيل: لا يكون هذا بالدمار الشامل كما يشرحه بعض المعاصرين، فالمجاهدون المسلمون لا يقتلون الأطفال والنساء ولا يقطعون الأشجار ولا يقتلون الحيوانات، بل سيدمرون المعالم اليهودية الخاصة بهم وبكيانهم، تلك التي طمسوا بها المعالم الإسلامية أو حولوها إلى معالم يهودية، وتعود إلى أصلها، أما المباني السكنية فسوف تبقى ويسكنها المسلمون.[2]

وثمة استنتاج آخر ومختلف، من قول الله تعالى: ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾ [الإسراء: 7] بأن ضمير الفاعل يعود على اليهود أنفسهم، فكما أنهم خربوا بيوتهم وقراهم ومدنهم في نواحي المدينة وقت حصار الرسول والصحابة، حتى لا يستفيد منها المسلمون، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: 2]، وكما أنهم خربوا بيوتهم وشوارعهم في سيناء قبل خروجهم منها وتسليمها للمصريين عام 1982م، فإنهم سيفعلون الشيء نفسه حين هزيمتهم في الإفساد الثاني.

آراء تفسيرية، هزيمة وليس إبادة وفناء:

إن إساءة اليهود تعني هزيمتهم في المعركة، وإزالة إفسادهم، والقضاء على علوهم وغطرستهم، وأن يتجرعوا مرارة الهزيمة لينتج عنها إساءة الوجه والذل والهوان، ولم تقل الآية: إذا جاء وعد الآخرة سيقتلونكم قتل إبادة وفناء، وإنما إساءة وجه وتحقير وإذلال، وربما يكون هذا أكثر تعذيبا من القتل المباشر.

ذكر الخالدي: ﴿**وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾ [الإسراء: 7]: التتبير هو التدمير، غير أن المسلمين لا يبيدون اليهود إبادة وفناء في هذه المرحلة من معركتهم الطويلة مع اليهود، إنما يدمرون قوتهم ويقضون على أسلحتهم، وينهون كيانهم[3].

ذكر سويدان: ولن يقضى على اليهود نهائيا في الأرض، ولكنهم سيشردون فيها مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ [الإسراء: 8]، وهذا تهديد ووعيد من الله تعالى، إن عادوا لإفسادهم في الأرض فإن الله سيعود عليهم بالعذاب والتشريد[4].

([1]) انظر: الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3056).

([2]) انظر: زراوي، عبدالفتاح، عالم وداعية جزائري، درس صوتي بعنوان: **(فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا)**. يوتيوب. www.youtube.com

([3]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (157).

([4]) انظر: سويدان، طارق، **فلسطين... التاريخ المصور** (421).

فالمعركة الحاصلة بعد الإفساد الثاني، لا ينتج عنها إبادة اليهود والقضاء عليهم، وإنما ينتج عنها إزالة فسادهم وتدمير كيانهم، وتحويلهم إلى مجموعات يهودية ذليلة مهزومة مسحوقة، وهذا يؤذي النفس أكثر من القتل والإبادة نفسها، كما سلط الله عليهم الآشوريين والفراعنة المصريين والبابليين، واليونانيين و(البطالسة- Ptolemies) المصريين الوثنيين، ثم الرومان الوثنيين والنصرانيين قديما وحديثا لقرون عديدة، مما أورث أجيال بني إسرائيل حسرة عظيمة، وزرع في قلوبهم الرعب والخوف جيلاً بعد جيل، ثم بعد بعثة النبي محمّد ﷺ سلطه الله عليهم، فأجلى بني قينقاع وبني النضير عن المدينة المنورة، وقتل بني قريظة، وحارب يهود خيبر حتى استسلموا له وصالحوه، ثم أوصى بإخراجهم من جزيرة العرب، ثم بعث عليهم القائد الألماني (هتلر- Adolf Hitler)، وغيره، فهم يعيشون في حالة مطاردة دائمة لا تنقطع.

وإن كانوا اليوم يعيشون في (دولة) قوية على أرض فلسطين، ويتمكنون بشتى الأسلحة الذرية وغيرها، فإن هذا كله، لم يغير واقع الخوف والهروب من واقع تاريخي طويل، وذكريات هي كابوس يتمكن في صدورهم لا يمكن انتزاعه، رغم امتلاكهم (200) رأس نووي!

ويظهر من استقراءات تفسيرية معاصرة، أن الحرب مع اليهود ستكون على مرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي التي تحدثت عنها سورة الإسراء، وتخصّ الإفساد الثاني لكيان اليهود على أرض فلسطين، وتنتهي بانتصار المسلمين على اليهود وتدمير كيانهم، واسترداد فلسطين كلها منهم، وتحويلهم إلى قوم ضعفاء أذلاء مشردين في مختلف أنحاء العالم، كما كانوا.

المرحلة الثانية: ويتم فيها إبادة اليهود تماماً، فلا يبقى بعدها يهودي حياً، وهذه المرحلة متأخرة، لعلها تكون في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا، حيث سيظهر الدجال (وهو يهودي) من جهة الشرق، وسيتبعه من يهود أصفهان وحدها سبعون ألف يهودي! والآن لعله لا يوجد فيها خمسة أفراد يهود، ثم يحارب عيسى عليه السلام الدجال ومن معه، ويقتله، وفي هذه المعركة سيقضي المسلمون على كل يهودي، وفيها سيتحقق قول الرسولﷺ: لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فتقتلونهم، حتى ينطق الحجر والشجر فيقول: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله. وهذه تكون الجولة الأخيرة، من سلسلة المعارك الممتدة بين اليهود والمسلمين عبر التاريخ البشري، إنها معركة إسلامية مع اليهود، أشدّ مراحلها وأعنفها، هذه التي يعيشها المسلمون في هذا الزمان، حيث تقوم بعدها الساعة(1).

وقال آخرون: إن الواقعتين كلاهما لم تحصل إلى الآن، ويقولون: إن جمعهم الآن في فلسطين هو الهلاك الأول؛ لأن الله قال: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ [الإسراء: 5] وهذا لا يكون إلا للمسلمين؛ لأن بختنصر غير مسلم، فيغلبهم

(1) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (158).

المسلمين ويجلوهم عن القدس لا عن فلسطين كلها، وإنما يضيّق عليهم في تل أبيب وما حولها، ثم إنهم ينصرهم العالم والقوى الدولية سواء قلنا أمريكا وبريطانيا، وقد يغير الله أمريكا وبريطانيا ويناصرهم آخرون، المهم أنهم سينصرون فيغلبون المؤمنين مرة ثانية ويجلونهم عن القدس، ثم يعود المسلمون فيجلونهم كرة أخرى عن نفس المسجد، ليتحقق قول الله: ﴿**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ [الإسراء: 7][1]. والمسجد قطعاً هنا المقصود به: المسجد الأقصى[2].

وقد حدث لأمتنا ما حدث لبني إسرائيل من إفساد وبغي، فعطلت شريعة الله وحدوده، فسلط عليها المغول والتتار والصليبيين، وفي العصر الحديث، سلط عليها المستعمرين من الغرب، والشيوعيين من الشرق، واليهود اجتمعوا عليهم من الشرق والغرب، وليس أمام هذه الأمة خيار، وقد وقعوا بين النار والبحر، فإما التوبة والاستغفار والعودة إلى شريعة الله، وإما الدّمار والهلاك، ولكن من يسمع ومن يعقل؟.

([1]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (19/ 5، بترقيم الشاملة آليا).

([2]) المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 4، بترقيم الشاملة آليا).

المبحث الخامس

دلالات تفسيرية معاصرة

في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8]

أولاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ :

ذكر القدامى: "﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ فلا يسلط عليكم القتل والسبي، ثم إن الله ﷻ استنقذهم فردهم إلى بيت المقدس فعمروه، ورد الله ﷻ إليهم ألفتهم وبعث فيهم أنبياء"[1]. وقيل: "لعلّ ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم"[2].

ذكر الجوزي والقرطبي وغيرهم: "﴿عَسَى﴾ من الله واجبة، فرحمهم الله بعد انتقامه منهم، وعمر بلادهم، وأعاد نعمهم بعد سبعين سنة"[3]، وذكر ابن أبي حاتم: "كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ: ﴿عَسَى﴾ فَهُوَ وَاجِبٌ إِلا حَرْفَيْنِ، حَرْفٌ فِي التَّحْرِيمِ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم: 5] وَفِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾"[4]، وذكر أبو حيان الأندلسي: "وَهَذِهِ التَّرْجِيَةُ لَيْسَتْ لِرُجُوعِ دَوْلَةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ بَابِ تَرَحُّمِ الْمُطِيعِ مِنْهُمْ"[5].

أقوال المفسرين المعاصروين:

ذكر الشعراوي: و﴿عَسَى﴾ حَرْف يدلّ على الرجاء، وكأن في الآية إشارةً إلى أنهم سيظلون في مذلّة ومَسْكنة، ولن ترتفع لهم رأس إلا في ظِلِّ حبل من الله وعَهْد منه، وحبل من الناس الذين يُعاهدونهم على النُّصْرة والتأييد والحماية... والرحمة تكون للإنسان إذا كان في موقف يستحق فيه الرحمة، واليهود لن تكون لهم دولة، ولن يكون لهم كيان، بل يعيشون في حِضْن الرحمة الإيمانية الإسلامية التي تُعطي لهم فرصة التعايش مع الإسلام معايشة، كالتي كانت لهم في مدينة رسول الله، يوم أن أكرمهم وتعاهد معهم[6].

---

[1] البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/522 - 523).

[2] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 388).

[3] الجوزي، أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير** (3/ 12). القرطبي، شمس الدين، **تفسير القرطبي** (10/ 223).

[4] ابن أبي حاتم، محمد عبدالرحمن، **تفسير القرآن العظيم** (2/ 383).

[5] أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير** (7/ 17).

[6] انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8369-8370).

وقيل: "وعسى في القرآن في حق الله واجبة، يعني أن الله راحم لا محالة... ويصبح معنى قول الله ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ أن الله رحمهم وجعل منهم ملوكاً وأنبياء كما نص عليه في سورة المائدة" [1]

ذكر أبو زهرة: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ لاَ يمكن أن يكون لليهود إنما يكون للمسلمين... ولا يتصور أن يكون لليهود، لأنه دعوة إلى الهمة، والأخذ في أسباب النصر، واستنقاذ أرض الله المقدسة من أيدي طغمة اليهود... ومعنى الرجاء في ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ أن يتخذوا الجهاد سبيلاً، ويعدّوا القوة... ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، أي وإن عدتم بالإيمان والصبر وإخلاص النية والجهاد لاستنقاذ الأرض الطاهرة عدنا إليكم بالنصر والتأييد والله معكم[2].

وقيل: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ "أي من أسلم من هؤلاء اليهود عسى أن يرحمه ربه"[3].

وذكر الزحيلي: "أي لعل ربّكم أن يرحمكم يا بني إسرائيل، ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية"[4].

ثانياً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8]

آراء المفسرين القدامى:

قيل: "وإن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بأشد مما أصابكم، يعني من القتل والسبي، فعادوا إلى الكفر، وقتلوا يحيى بن زكريا، فسلط الله عليهم (تيتوس بن أستاتوس)[5] الرومي"[6]. وقيل: "﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد عدنا إلى الانتقام، فعادوا فبُعث عليهم المؤمنون يُذلونهم بالجزية والمحاربة إلى القيامة"[7]. وقيل: "عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد. قال: فسلَّط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندبادان وشهربادان وآخر"[8]. وقيل: "عاد القوم بشرّ ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته، ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة"[9]. وقيل: "وَإِنْ عُدْتُمْ مرة ثالثة عُدْنَا إلى عقوبتكم وقد عادوا"[10].

([1]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (19/ 5، بترقيم الشاملة آليا).

([2]) انظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير** (8/ 4338-4339).

([3]) ماضي، محمد ابراهيم، **صراعنا مع اليهود** (92).

([4]) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (15/ 24).

([5]) تيتوس بن أستاتوس (Titus Vespasianus) قائد روماني، حارب اليهود في أورشليم، فقتلهم وسباهم وأحرق المدينة وهدم الهيكل، وخرّب بيت المقدس عام 70م. انظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، **الكامل في التاريخ** (1/ 262). انظر: علي، جواد، (ت 1408هـ)، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام** (د.م)، دار الساقي، ط4، 1422هـ/ 2001م، عدد الأجزاء: 20 (1/ 55)

([6]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 523).

([7]) عز الدين، أبو محمد، **تفسير العز بن عبدالسلام** (2/ 213).

([8]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 389).

([9]) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان، تفسير الطبري** (17/ 389).

([10]) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (2/ 650).

ذكر البيضاوي: "وقد عادوا بتكذيب مُحَمّد ﷺ، وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير"[1].

أقوال المعاصرين:

ذكر الزحيلي: "أي وإن عدتم إلى الإفساد بعد المرة الآخرة، عدنا إلى التعذيب والإذلال، وأما وجود اليهود في فلسطين الآن فهو أمر عارض مؤقت زائل بإذن الله، لثقتنا بوعد الله وكلامه" [2].

وذكر قطب: ولقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم "هتلر".. ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة "إسرائيل" التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف.. وإن غداً لناظره قريب![3].

وذكر حوى: "وعلى كل حال، ففي الآيات بشارة للمسلمين في قوله تعالى ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ [الإسراء: 8] فهذا وعيد من الله لهم أنه سيسلط عليهم في كل مرة يفسدون في الأرض وتكون لهم غلبة على المسجد الأقصى"[4]، وذكر الزحيلي: "أي وإن عدتم إلى الإفساد والمعاصي في المرة الثالثة، عدنا إلى إذلالكم، وتسليط الأعداء عليكم"[5]، وقيل: "أي لا سبيل أمامكم، ونحن لكم بالمرصاد".[6]

ذكر المغامسي: والأولون يقولون: إن كلا الأمرين قد وقعا في الزمن الغابر، وقول الله جل وعلا: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ تحقق في العصر القديم والعصر الحاضر، تحقق قديماً على يد النبي ﷺ وأصحابه، وأنهم عادوا للإفساد مرة أخرى وأهلكوا على يد هتلر، أما صلاح الدين فقد حارب النصارى والصليبيين، وليس له علاقة بالقضية لا من قريب ولا من بعيد... نحن نقول، إن الله يقول: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**﴾ أي إن عدتم للإفساد أعدنا عليكم التسليط، ولا يلزم من التسليط أن يكون هتلر مؤمناً؛ فإن (هتلر) أهلك اليهود هلاكاً عظيماً، أهلكهم في ألمانيا، وطاردهم في فلسطين[7].

وذكر الفوزان: هذا وعيد من الله، كما أنه عاقبهم على المرتين الأوليين، فهو كذلك سيعاقبهم كلما أفسدوا في الأرض، إلى آخر الدنيا، وهذا واقع ومشاهد: أن اليهود ما زالوا يسلط عليهم الجبابرة، ويسلط عليهم عدوهم كلما

---

(1) البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 249).
(2) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (9/ 149).
(3) انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن** (4/ 2214).
(4) حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3041).
(5) الزحيلي، وهبة، **التفسير المنير** (15/ 24).
(6) محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (101).
(7) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (19/ 5، بترقيم الشاملة آليا).

حصل منهم علو وإفساد في الأرض، وهذه عقوبة من الله سبحانه وتعالى لهذا الشعب الذي يفسد في الأرض وينشر الفساد فيها ويتكبر على العباد[1].

وذكر القرضاوي: هم عادوا إلى الفساد ولم يتركوا الفساد... ولذلك ما بين الحين والحين يُسلِّط عليهم من يؤدبهم في إسبانيا وقياصرة روسيا وهتلر، وطُرِدوا من العالم، ولم يجدوا كهفًا يأوون إليه، ولا صدرًا حنونًا يضمهم إلا بلاد المسلمين... وغدروا بالمسلمين، فهم الآن يقعون تحت هذه السنة الإلهية: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، وقد عادوا وعلوا في الأرض، وبغوا، وقتَّلوا، وصلَّبوا، وحدث منهم ما حدث، فلا بدّ أن تعود عليهم العقوبة الإلهية[2].

ذكر المغامسي: ولما طرد اليهود من إسبانيا نحو عام 1492م، وكان عددهم نحو (300) ألفا، لجأوا إلى بلاد المسلمين زمن الحكم العثماني، فعوملوا بالحسنى، ولما تغلغلوا في مراكز المال والجاه والسلطان، ودخلوا الإسلام وسُمّوا بـ(يهود الدونمة) أي المرتدّون إلى الإسلام، وقاموا بأدوار خيانية خطرة ضد الدولة وشعبها المسلم، من قتل السلاطين وإثارة الاضطرابات وإثارة الحروب والانقلابات الفكرية، ونشر الآراء المشككة في الأديان، وأخيراً إسقاط الخلافة الإسلامية وخلع السلطان العثماني، وفي ذات الوقت، تسلّم اليهود معظم فلسطين وأقاموا دولتهم، وأوجد الغرب وحلفاؤه هذا الجسم السرطاني في قلب العالم الإسلامي، وهي لا تزال تبطش بالمسلمين منذ قيام دولتهم إلى يومنا هذا، وهم سبب كل مؤامرة تستهدف الأمة، إلى أن يتحقق وعد الله فيهم، كما أخبر القرآن الكريم والسنة النبوية[3].

ذكر سويدان: ولن يقضى على اليهود نهائياً في الأرض، ولكنهم سيشردون فيها مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ وهذا تهديد ووعيد من الله تعالى، إن عادوا لإفسادهم في الأرض فإن الله سيعود عليهم بالعذاب والتشريد[4].

فائدة من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ﴾ و﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾

بما أن إفساد اليهود الثاني سيتحقق فقد عبر عنه بحرف الشرط {إذا} في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ [الإسراء: 5]، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 7] وهو يدل على وجوب الوقوع، وبما أن الإحسان من اليهود لن يتحقق، فقد عبر عنه بحرف الشرط {إن} في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾، التي تدل على استحالة الوقوع أو الشك فيه، وبما أن عودة اليهود للإفساد بعد تدمير كيانهم في إفسادهم الثاني مستحيلة، عبر عنها بحرف {إن} في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ التي تدل على هذا المعنى، إذ لا عودة لهؤلاء القوم بالعلو والسيطرة كما كانوا في علوهم الأول والثاني.

([1]) فوزان، صالح، "**مجموع فتاوى الشيخ صالح الفوزان**" (9156/1).

([2]) انظر: قرضاوي، يوسف، عالم وداعية، فتوى رقم: (283456) الثلاثاء 7 ربيع الآخر 1436هـ، 2015/1/27م.fatwa.islamweb.net

([3]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (19/ 5، بترقيم الشاملة آليا).

([4]) انظر: سويدان، طارق، **فلسطين... التاريخ المصور** (421).

عبرة من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾

وكما هو حاصل مع بني إسرائيل، فالأمر ذاته حاصل مع أمة الإسلام وغيرها من الأمم والشعوب، وسنة الله باقية مع خلقه وعباده لا تتبدل، فبنو إسرائيل انحرفوا فأفسدوا، وطغوا وعطلوا شريعة الله؛ مرات عديدة، فسلّط الله عليهم بعد كل مرة القتل والأسر والتشريد.

والنبرة القاطعة في الآيات، تقطع أي أمل في أن إسرائيل سوف تحقق ما تحلم به في يوم من الأيام، وخلاصة البيان الإلهي أن السلام الإسرائيلي أكذوبة، ولم يكن مراد إسرائيل في يوم من الأيام.

ويظهر من الخطاب القرآني لبني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8] فيه تهديد ووعيد لبني إسرائيل واليهود إلى آخر الزمان، فلا يغرنّ هؤلاء ما يمتازون به من امتلاك الأموال والأرصدة في مصارف العالم، والقوة الحربية وصناعة وتصدير الصناعات العسكرية، وما يمتلكونه من صواريخ نووية وأسلحة دمار شامل، وأنهم أسياد العالم في رسم وتخطيط السياسة الدولية، فقد تكون نهاية وجودهم وكيانهم من حيث لم يحتسبوا، كما حصل معهم زمن النبيﷺ حين كانوا يتحصنون في قلاعهم، متمترسين في صياصيهم، كما هو واقع حالهم اليوم في فلسطين، لم يحسبوا حساباً في يوم من الأيام أن يخرجوا منها، ولا يحسبون حساباً لأحد في الدنيا، تصديقاً لقول الله تعالى مخاطباً المسلمين عن حالهم: **﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾** [الحشر: 2].

وهذه دعوة لأمة الإسلام، بأن لا تفعل فعلهم فيسلّط عليها، كما حصل في عصور ماضية وحاضرة، وكما هو حاصل اليوم، ففي عصور ماضية سلط الله على المسلمين، الصليبيين من أوروبا وبلاد الغرب منذ عام 1096-1291م، وسلط عليهم التتار والمغول، واحترقت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية عام 1258م، وسلط عليهم الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث في ثلاثة قرون متتابعة، ثم سلط عليهم في الزمن المعاصر جرائم اليهود واحتلال أرض الشام عام 1948م، ثم بعد ذلك، سلط عليهم نيران أمريكا وحلفاءها في العالم، فأحرقت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية مرة ثانية عام 2003م، وها هي اليوم دمشق عاصمة بلاد الشام، تحترق بتلك النيران منذ عام 2010م، وما زالت تحترق حتى عام 2018م ولا تزال، فأمة الإسلام تعيش في بلاء عظيم، بعد أن خاضت حروبا وذاقت منها هزائم متتابعة وويلات، ثم إذا تابوا ورجعوا يرفع الله البلاء، ثم إذا عاد الإفساد عاد التسليط، فاحذري يا أمة الإسلام واعتبري!

ثالثاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: 8]

وذكر الشعراوي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ إشارة إلى أنهم كانوا إذا أجرموا في الدنيا يحتمُون في أنصارهم وأتباعهم من الأقوياء، ويدخلون في حضانة أهل الباطل، أما في الآخرة فلن يجدوا ناصراً أو مدافعاً[1].

وفي هذا النص القرآني، دليل واضح بأن اليهود كفاراً، بل أنهم يُحصرون ويُسجنون في جهنم جزاء وفاقاً على أعمالهم الإجرامية في حق الله ومع الناس، وهم يغتصبون أرض فلسطين، وقد طردوا أهلها منها وشردوهم إلى البلاد المجاورة، ومنعوهم من العودة مرة أخرى، ثم اعتدوا على أملاك السكان، وصادروا أرضهم وبيوتهم، وأحالوا كثيراً من المدارس والمساجد والأماكن الرسمية والعامة، إلى رموز دينية وعسكرية وسياسية وتاريخية يهودية.

وأن قول الله تعالى عن هؤلاء: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ رد بليغ وصريح على أقوال بعض الرموز الرسمية والإعلامية من المسلمين ممن يطلبون إقامة مشاريع سلام وأمان لهؤلاء القوم، بسبب أن اليهود أهل كتاب، ويبحثون عن أسباب ودواعي للتقارب معهم، كما أنه رد بليغ على أقوال بعض الرموز الرسمية والإعلامية في البلاد العربية، أنهم واليهود أبناء عمومة، يرجع نسبهم لإبراهيم عليه الصلاة السلام، وهذا القول منافٍ لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22]، فكيف يوادّونهم ويبحثون عن أسباب التقارب الديني معهم بسبب أنهم أهل كتاب، وقد صدر حكم الله تعالى فيهم بأنهم كفار، وكيف يوادّونهم بسبب أنهم أبناء عمومة؟ وقد صدر قرار آخر بعدم التوادد معهم ولو كانوا إخوانهم أو آباءهم؟ أم هل بقي بعد هذا الكلام كلام؟ أم أن كل هذا التودّد والتقارب، من اتفاقات ومعاهدات، هو تجاوز ومخالفة هذه القرارات؟.

خلاصة تفسير آيات من سورة الإسراء:

يعيش المسلمون اليوم في مرحلة زمنية تاريخية، أخبرت عنها آيات من القرآن الكريم في سورة الإسراء، وأحاديث صحيحة، وهذه المرحلة حلقة من حلقات العذاب الذي سلطه الله على اليهود، والآيات المذكورة في أول سورة الإسراء، خاصة بهذه المرحلة التي نعيشها الآن، فهي تتحدث عن علوين وفسادين لبني إسرائيل، فالمفسرون القدامى أخذوا يبحثون عن العلوين والفسادين والتدميرين في التاريخ الذي سبق نزول القرآن، وذلك حسب واقعهم الذي عاشوه، فاليهود خاضوا حروباً وهزائم قبل الإسلام وبعده، وسيستمر العذاب فيهم إلى قيام الساعة، وليس هناك من مبررات للبحث عن هزائم لليهود، تلك التي أشارت إليها آيات الإسراء، في

([1]) انظر: الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8374).

وقت سبق ظهور الإسلام، ما دام السياق في الآيتين يشير إلى المرتين بعد ظهور الإسلام وليس قبله، يدل على ذلك كلمة {إذا} التي تقدمت الكلام في الوعدين، وهي شرطية لما يستقبل من الزمان، واللام في ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ ﴿وَلَتَعْلُنَّ﴾ لام الاستقبال، وكلمة {عبادا} إذا أضيفت إلى لفظ الجلالة فهي في موطن التشريف، ولا يوصف بها إلا المؤمنون، أما نبوخذ نصر والبابليون الفرس، و(تيتوس-Titus) و(أدريانوسِ- Adrianos) والرومان، فلا يستحقون هذا التشريف، وهذا الوصف ينطبق على رسول الله وأصحابة الذين قاتلوا اليهود في المدينة وفي خيبر، واستطاعوا القضاء على فسادهم الأول.

أما الكرة الثانية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: 6] و{الكرة} تعني هنا الدولة والسلطان، فهل جعل الله لليهود دولة وسلطان على البابليين؟ لم يحدث هذا، ولا يمكن أن يحدث الآن ولا في المستقبل، يستحيل ذلك لأن البابليين انقرضوا، والذي حصل أن الله جعل الكرة لليهود على أبناء المسلمين في هذا الزمان، منذ بدايات القرن العشرين، واشتدت الكرة في منتصف هذا القرن، بالسيطرة على أجزاء كبيرة من أرض فلسطين، ثم اشتدت الكرة بعد ذلك، بالسيطرة على أجزاء أخرى من أرض الشام في الأردن ومصر وسوريا ولبنان، ولا زالت هذه الكرة وهذا البلاء يشتد ويشتد على أبناء المسلمين وبلادهم، في منطقة الشام وفلسطين، بالقتل والتهجير والتشريد، وهدم البيوت، وإغلاق الطرقات على المدن والقرى الفلسطينية، وإغلاق الجامعات والمدارس، واقتحام المستشفيات والمساجد لاعتقال جرحى انتفاضة أو مطاردين للأمن.

وتشتد الكرة مرة أخرى وأخرى، على الأمة الإسلامية عامة، حيث نجد سماء البلاد العربية والإسلامية تحت السيطرة الإسرائيلية، طائراتهم وصواريخهم تصول وتجول، وأرضهم مكشوفة تماما لتكون محرقة للنيران اليهودية، تُحرق وتُخترق، ناهيك عن الاختراق السياسي والدبلوماسي اليهودي في المؤسسة الرسمية للحكومات العربية والإسلامية، وقد وصل إلى الأعماق، لم يسلم من ذلك الإعلاميين، أو السياسيين أو العسكريين!.

المبحث السادس

دلالات تفسيرية معاصرة

في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104]

أخبر الله تعالى في الآيات والأحاديث، أن بني إسرائيل أفسدوا في الأرض مرات كثيرة، ابتداء من زمن موسى عليه السلام، يوم طلبوا منه أن يصنع لهم آلهة يعبدونها من دون الله، بعد أن نجاهم الله من فرعون وجنوده، كما ذكر الله تعالى: **﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: 138]، فهذه إفسادة، وأفسدوا بعدها إفسادات كثيرة، وحلّ غضب الله وسخطه عليهم مرات أخرى، كما أخبر القرآن بأنه ستأتي على بني إسرائيل أحداث عظيمة، في مستقبل الزمان بعد ظهور الإسلام، يفسدون فيها إفسادات كثيرة في الأرض، يكون أبرزها إفسادتان اثنتان مقترنتين بعلوّين اثنين، حيث ينهزمون بعد كل إفسادة وعلو، مع قتل وتشريد في بقاع الأرض، بلا وطن ولا نفوذ ولا عنوان، وسيأتي الله باليهود في الإفسادة الثانية إلى فلسطين لفيفا، أي سيجمعهم فيها جميعا، من أقطار شتى، تمهيدا لقضاء المسلمين عليهم وقتلهم، وهذا مظهر بارز من مظاهر بركة فلسطين العالمية، فهي التي سوف تزيل ذلك الكابوس اليهودي وخطره، عن صدر الشعوب في شتى أنحاء الأرض، ليجتمعوا في الأرض المقدسة، رغم كراهتهم وبغضهم، وقد تحققت هذه النبوءة، وتحقق هذا الوعد الآن، وهذه دلالات تفسيرية ذات علاقة، في قوله تعالى: **﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾** [الإسراء: 104].

أولاً: دلالات تفسيرية معاصرة في قوله تعالى: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: 104]

ذكر القدامى: **﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾** قيل: أرض مصر، وقيل: أرض الشام والأرض المقدسة؛ وقَالَ بَعْضُهُمْ: ليس في أرض دون أرض، ولكن اسكنوا أي أرض شئتم، مشارقها ومغاربها، آمنين لا خوف عليكم، على ما أرادوا أن يخرجوكم من مشارق الأرض ومغاربها بالقتل، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.[1] وقيل: "هي أرض مصر إن صح أنهم دخلوها بعده، أو الأرض مطلقا"[2]. وقيل: "هي أرض كنعان، بلد أبيهم إسرائيل التي وعدوا بها"[1].

---

(1) انظر: الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي** (7/ 123).

(2) حقي، إسماعيل، **روح البيان** (5/ 209).

أما أبرز أقوال المعاصرين:

تساءل الشعراوي في قوله تعالى: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ وقال: فهل هي الأرض كل الأرض، وهل تكون الأرض كلها وطناً لليهود؟ وأجاب: طبعاً لا! ولكن الحق سبحانه كتب عليهم أن يتفرقوا في الأرض، فلا تكون لهم دولة إلا عندما يشاء الله أن يجمعهم في مكان واحد، ثم يسلط عليهم عباده المؤمنين.[2]

وذكر حوى: وإذا كانت الأرض في الآية المراد بها عموم الأرض، وليست أرض فلسطين من باب ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 168]، فإذا كانت هذه الافتراضات صحيحة يكون معنى الآية: وقلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض كلها متفرقين، فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية جئنا بكم إلى أرض فلسطين، وعندئذ نسلّط عليكم من سلّطناهم عليكم من قبل، فإن كان بختنصر مسلما فالمسلطون الجدد هم المسلمون بإطلاق، وإن لم يكن كذلك فالعراقيون خاصة وهم مسلمون بفضل الله[3].

ذكر جرار: الإفساد الأول قبل الإسلام وقد تحقق، والإفساد الثاني بعد الإسلام، وبين المرتين سكنوا أرض الشتات، ولم تظهر هذه النبوءة إلا في عام 1948م، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَفِيفًا﴾ أي أنهم في المرة الثانية، لا ينتمون إلى أصل واحد وهو يعقوب عليه السلام، بل من أصول شتى.[4]

ذكر المغامسي: ولم يحدد الله مكان الأرض... يعني: عندما نريد أن نهلككم نجمعكم... ولهذا فاليهود قبل عام 1948م، كانوا منتشرين في أكثر بقاع العالم، فلما أقيمت (دولة) إسرائيل زحفوا من كل بقاع الدنيا.[5]

ذكر الشعراوي: "إذا قال لك واحد: اسكُنْ فلا بُدَّ أن يُحدد لك مكاناً من الأرض تسكن فيه فيقول لك: اسكن بورسعيد، اسكن القاهرة، اسكن الأردن، أما أن يقول لك: اسكن الأرض!! فمعنى هذا أن الله تعالى أراد لهم أنْ يظلُّوا مبعثرين في جميع الأنحاء، مُفرّقين في كل البلاد، كما قال عنهم: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 168]"[6]،... وذكر في موقع آخر: "والشائع أن يقال: اسكن المكان الفلاني من المدن، مثل: المنصورة أو أريحا، أو القدس. وقوله الحق: ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ هو لفتة قرآنية، ومادام الحق لم يحدد من الأرض مسكوناً خاصاً، فكأنه قال: ذوبوا وانساحوا مقطعين في الأرض فليس لكم وطن".[7]

([1]) القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)** (6/ 520).

([2]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 314)

([3]) انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3039)

([4]) انظر: جرار، بسام، عالم وداعية فلسطيني، درس صوتي بعنوان: **{فإذا جاء وعد الآخرة}**.
www.youtube.com

([5]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 4، بترقيم الشاملة آليا) (14/ 6، بترقيم الشاملة آليا).

([6]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8366).

([7]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (5/ 3047).

وذكر المغامسي: السابقون من المفسرين يقولون: إن المقصود بالأرض هنا: أرض مصر والشام... والظاهر والعلم عند الله: أن الله فرقهم في الأرض، بمعنى اسكنوا الأرض جميعاً، ولذلك انتشر اليهود في أكثر أرجاء العالم.[1]

ثانياً: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ [الإسراء: 104]

ذكر القدامى: "﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآَخِرَةِ﴾ قيل: حياة عيسى، ونزوله من السماء"[2]. وقيل: "أي قيام الساعة"[3]. وقيل: "يعنى: وقت آخر الهلاكين"[4].

وذكر المعاصرون:

ذكر الشعراوي: "والمراد بقوله هنا: ﴿وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ هو الإفساد الثاني لبني إسرائيل... وهو الوعد الذي قال الله عنه: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: 7]، وهذه الإفسادة هي ما نحن بصدده الآن، حيث سيتجمع اليهود في وطن واحد ليتحقق وَعْد الله بالقضاء عليهم"[5].

وذكر جرار: "لم يرد لفظ ﴿وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ في القرآن إلا مرتين، وهما في بني إسرائيل في سورة الإسراء"[6]، وذكر النجار: "قد يعجب الإنسان لرحيل اليهود بهذا الكم إلى أرض فلسطين، وهذه نبوءة قرآنية معجزة، ليكون حتفهم بهذه الأرض المباركة"[7]، وذكر المغامسي: "وكلمة ﴿الآخِرَةِ﴾ تدل على أنه لا ثالث بعدها"[8]، وقيل: "أي إذا اقتربت الساعة جئنا بكم من بقاع الأرض"[9]، وقيل: "نحن نعيش الآن وعد الآخرة، وقد جاء اليهود بأنفسهم على أقدامهم ليلاقوا قدرهم، وجمعهم الله منذ ستين سنة لتحقيق هذا الوعد"[10].

يُستنتج مما سبق، أن خطاب الله الغيبي في الكتاب المذكور قد تحقق، وبالرغم من أن النص القرآني لم يحدد مكان هذه الأرض، ولا زماناً محدداً لاجتماع هؤلاء القوم، إلا أن واقع الحال وترجماته في الزمن المعاصر، قد كشف عن هذه النبوءة، وأظهر ما اختلف فيه المفسرون القدامى وبعض الجدد، بعد أن كان سبب جدال ونزاع، وذلك بعد قرون عديدة من تباعد بني إسرائيل في أطراف الدنيا، بعيداً عن مركز

([1]) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (20/ 13، بترقيم الشاملة آليا).

([2]) الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي** (7/ 123).

([3]) القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)** (6/ 520).

([4]) البلخي، أبو الحسن، **تفسير مقاتل بن سليمان** (2/ 522).

([5]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8369، 8788، 8789).

([6]) جرار، بسام، عالم ومفكر فلسطيني، درس صوتي بعنوان: **{فإذا جاء وعد الآخرة}.** www.youtube.com

([7]) نجار، زغلول، عالم ومفكر مصري، درس صوتي بعنوان، **التفسير العلمى للايات الكونية** سورة الإسراء 104. www.youtube.com

([8]) المغامسي، أبو هاشم صالح، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 4، بترقيم الشاملة آليا).

([9]) يوسف، وسيم، داعية إسلامي أردني، خطيب وإمام مسجد الشيخ زايد الكبير في دولة الإمارات، درس صوتي بعنوان: **وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض.** www.youtube.com

([10]) زراوي، عبدالفتاح، عالم وداعية جزائري، يوتيوب، درس صوتي بعنوان: **فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا.** www.youtube.com

أحلامهم في الأرض الموعودة في توراتهم، حيث اقترنت الإفسادة الثانية بالعلو الكبير على أرض فلسطين والشام في هذا العصر، واقترن ذلك أيضا باجتماع نفايات الشعوب، من بلاد شتى وأصول شتى- مع تفرقهم- وهجرتهم أفرادا وجماعات خلال عقود، وسيرهم حثيثا نحو أرض المحشر، ليتحقق وعد الله الذي وعده عباده، وهم ينتظرون مصيرهم بهذا الوعد الرباني.

ثالثاً: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104]

ذكر ابن كثير: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: ﴿لَفِيفًا﴾ أَيْ: جَمِيعًا"[1]. وقيل: "﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي: جَمِيعًا مجتمعين من مشارق الأرض ومغاربها على ما تفرقوا، بانتزاع من القرى هاهنا، وهاهنا" [2]. وقيل: "وَاللَّفِيفُ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ إِذَا كَانُوا مُخْتَلِطِينَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ"[3]. وقيل: "واللفيف الجماعات من قبائل شتى"[4].

وذكر المعاصرون: "واللفيف هو الجمع غير المتجانس الذي يتنافر مع نفسه ومع من حوله" [5]... "والمجيء بهم لفيفاً إنما يعني أن يجمعهم في وطن قومي لتأتي لهم الضربة القاصمة[6]"... "والمتأمل لهذه الآية يجد بها بشارة بتحقُّق وَعْد الله، ويجد أن ما يحدث الآن من تجميع لليهود في أرض فلسطين، آية مُرادة لله تعالى"[7].

ذكر الخالدي: "يخاطب في الآية اليهود، بأنه لا بدّ أن يُجاء بهم جميعاً، لا يتخلف منهم أحد في أرض الشتات"[8]، وذكر: تصور الحالة التي يأتي فيها اليهود من مختلف دول العالم إلى فلسطين... وجاءت الأحداث المعاصرة لتفسر هذه الآية تفسيرا علميا واقعيا، منذ نهاية القرن التاسع عشر، وانتهاء بالقرن العشرين... وقد مضى على اليهود أكثر من قرن وهم يأتون ملتفين في هجرات متتابعة ومتسارعة... حتى يتم تجميع اليهود كلهم في هذه المنطقة[9]، وذكر المغامسي: ﴿لَفِيفًا﴾، "يعني: مجتمعين من كل مكان، وهذا واقع في عصرنا"[10].

([1]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم** (5/ 127).
([2]) الماتريدي، أبو منصور، **تفسير الماتريدي**، (7/ 123).
([3]) البغوي، ابن مسعود، **معالم التنزيل، تفسير البغوي** (3/ 166).
([4]) البيضاوي، ناصر الدين، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (3/ 269).
([5]) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 315).
([6]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (10/ 6193).
([7]) انظر: الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8366).
([8]) خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (151).
([9]) انظر: خالدي، صلاح، **حقائق قرآنية** (150).
([10]) المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (20/ 13، بترقيم الشاملة آليا).

وذكر التميمي: "﴿لَفِيفًا﴾ أي جماعات ملتفة، وهكذا يأتي اليهود مهاجرين إلى فلسطين"[1]، وقيل: "﴿لَفِيفًا﴾: معنى اللفيف أي جمع الأخلاط، أي جمعنا أخلاط الناس في هذه البقعة، من شتى بقاع الأرض، اليهودي الروسي، واليهودي الأمريكي، واليهودي الآسترالي، واليهودي العربي"[2].

وذكر الشعراوي: وبما أن الله سبحانه وتعالى قد قضى أن يحدث قتال بين اليهود وبين المسلمين، يستعيد فيه المسلمون المسجد الأقصى، فكان لا بدّ أن يجمعهم في مكان واحد، لأنهم لو بقوا كجاليات متفرقة في كل دول العالم، ومعزولة عن المجتمعات التي يعيشون فيها، لاقتضى ذلك أن يحارب المسلمون العالم كله، ولكن الله سبحانه وتعالى سيأتي بهم من كل دولة، إلى المكان الذي فيه بيت المقدس، حتى يمكن أن يحاربهم المسلمون، وأن يدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة[3]... لأننا لن نستطيع أن نحاربهم في كل بلد من البلاد التي قطَّعهم الله فيها، لكنهم حين يجتمعون في مكان واحد، إنما يسهل أن ينزل عليهم قضاء الله[4].

وثمة استنتاج آخر من قوله تعالى: ﴿لَفِيفًا﴾ فقد ذكر الله تعالى في الكرة الأولى: ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ للدلالة على أن هؤلاء القوم كانوا من أصل واحد، فهم في الإفساد الأول كانوا ينتمون إلى نسب واحد هو يعقوب عليه السلام، أما في الكرة الثانية، بعد أن تفرقوا في أنحاء الأرض، وانتشروا في أقطارها مشردين متباعدين، ومضت على تفرقهم قرون طويلة، اختلطت فيها دماؤهم وأصولهم، ولما كان وقت الكرة الثانية، واقترب وعد الآخرة ليجتمعوا في مكان واحد، جاء لفظ: ﴿لَفِيفًا﴾ للدلالة على أنهم من أصول مختلفة وأجناس شتى.

ذكر الشعراوي: وبعد أن أسكنهم الله الأرض وبعثرهم فيها، أهاج قلوب أتباعهم من جنود الباطل، فأوحَوْا إليهم بفكرة الوطن القومي، وزيَّنُوا لهم أولى خطوات نهايتهم، فكان أن اختاروا لهم فلسطين ليتخذوا منها وطناً يتجمعون فيه من شتى البلاد.[5]

وذكر حوى: إننا نرجح أن التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الإسراء: 104] أي: من بعد موسى ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ [الإسراء: 104] كل الأرض متفرقين ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤] أي: جميعاً إلى فلسطين، وأن هذا النص يحدد أن الإفسادة الآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: 168]، وأما الإفسادة الأولى فتكون قبل ذلك، ومن المعلوم أن

([1]) تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية** (22).

([2]) يوسف، وسيم، عالم وداعية أردني، إمام مسجد الشيخ زايد في دولة الإمارات، درس صوتي بعنوان: {**وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا**}.
www.youtube.com

([3]) انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (1/ 315).

([4]) انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (10/ 6194).

([5]) انظر: الشعراوي، مُحَمَّد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8368).

التشتيت الشامل على وجه الأرض لبني إسرائيل إنما كان بعد عودتهم من سبي بابل، فيكون التسليط الأول هو تسليط بختنصر، والتسليط الثاني هو الذي يتوقع الآن"[1].

وقيل: فكأن جمع اليهود بهذه الصورة من أجل أن يتحقق وعد الله ﷻ... والعلامات والإرهاصات تتكاثر في هذا الزمان بصورة مذهلة، وهي تنبئ أن شيئاً ما سيحصل، والله تعالى أعلم[2].

ذكر الشعراوي: "أي: أتينا بكم جميعاً، نضمُّ بعضكم إلى بعض، فهذه إذن بُشرى لنا معشر المسلمين بأن الكَرَّة ستعود لنا، وأن الغلبة ستكون في النهاية للإسلام والمسلمين، وليس بيننا وبين هذا الوعد إلا أن نعود إلى الله، ونتجه إليه"[3]، وذكر المغامسي: "فلما انكسرت شوكة هتلر بانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، غزا اليهود أمريكا وبريطانيا إعلامياً، وهؤلاء كلهم عن بكرة أبيهم أيدوا وجود اليهود في أرض فلسطين، فعادت النصرة لليهود؛ حتى أعلن عن قيامها رسمياً عام 1948م، فقدم اليهود من كل أنحاء العالم ودخلوا أرض فلسطين، وهذا مصداق لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾" [الإسراء: 104][4].

وقد يرى أغلب المسلمين في العالم، أن قيام (دولة) إسرائيل في قلب الوطن العربي، وهي متعالية بالقوة العسكرية، ومزدحمة بالطاقة البشرية المتنوعة الوافدة من شتى البلاد، وأن تجمّع اليهود متآلفين في أرض الشام، وقد علو علواً كبيراً، هو نكاية بالإسلام واستفزاز للشعوب الإسلامية، ومع أن هذا واقع ظاهر ومشاهد، لكن الحقيقة المؤثرة على مصير اليهود غير هذا، لأن الضربة القاضية لهؤلاء، تتطلب بأن يكونوا مجتمعين وملتفين حول بعضهم بعضاً، في مكان واحد، فكيف إذا كانوا في بقعة أرض صغيرة الحجم في قلب العالم الإسلامي، يحيطها أمواج متلاطمة من الجماهير والشعوب الغاضبة، فالله تعالى حين يريد أن يضربهم الضربة الإيمانية من جنود موصوفين بأنهم: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ [الإسراء: 5]، يلفت المسلمين إلى أن هذه الضربة لا تكون وهم مُفرّقون مُبعْثرون في كل أنحاء العالم، لأن هذا يتطلب جهداً عظيماً وزمناً طويلاً، فلن يحاربهم المسلمون في العالم كله، ولن يرسل المسلمون كتيبة إلى كل بلد لهم فيها حارة أو شارع، وكيف لهم أن يتحروا وجودهم وهم مبعثرون وراء البحار؟ في كل بلد مجموعة صغيرة!.

وعلى ضوء ما سبق، فإن فكرة إصدار قرار وعد بلفور عام 1917م، وما تبعه من تبعات، وتجمُّع اليهود بعدها من شتى البلاد، وإقامة وطن قومي لهم بتأييد ودعم الدول الكبرى المساندة لليهود والمعادية للإسلام، هذه الفكرة؛ تمثل خدمة لقضية الإسلام والمسلمين، من حيث لا يدرون، وتُسهّل عليهم تتبعهم، وتُمكّنهم من القضاء عليهم، فتجمع اليهود على أرض فلسطين؛ إنما هو بقضاء الله تعالى، وقد اختاروه بأنفسهم، بل استماتوا من أجل

---

(1) انظر: حوى، سعيد، **الأساس في التفسير** (6/ 3044).

(2) انظر: المقدم، محمّد أحمد إسماعيل، **تفسير القرآن الكريم**، (27/ 4، بترقيم الشاملة آليا).

(3) الشعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشعراوي** (14/ 8369).

(4) انظر: المغامسي، أبو هاشم صالح، **تأملات قرآنية** (19/ 5، بترقيم الشاملة آليا).

تحقيقه، وبذلوا تضحيات ودماء، وهذا القضاء هو إخبار من الله تعالى لهم في التوراة، بما سيكون من بني إسرائيل حسب ما وقع في علمه الغيبي، مما مكّنهم وباء في جسد الأمة، وسبب كل مصيبة تحلّ في العالم الإسلامي، من الحروب الكثيرة، والدماء والقتل والتقتيل، على شكل مذابح ومجازر، منذ إعلان دولتهم وكيانهم إلى يومنا الحاضر، من دون اعتبار أو مبالاة للرأي الشعبي العالمي، أو القانوني لحقوق الإنسان.

الفصل الرابع

نبوءات أخرى للدلالة على نهاية الكيان الإسرائيلي

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الإعجاز العددي في القرآن

المبحث الثاني: حساب الجمل ودلالاته

المبحث الثالث: نبوءات أخرى

المبحث الأول

الإعجاز العددي في القرآن

أولاً: تعريف

الإعجاز العددي في القرآن: هو أخذ بعض التكرارات للحروف والكلمات والآيات، والأرقام وأماكن الجمل أو الآيات في القرآن الكريم، والخروج بعملية حسابية معينة[1]، وهو نوع جديد ومعاصر من البحث في إعجاز القرآن، وقد تعددت وجهات الدارسين له، واختلفت آراء الباحثين فيه، إلى ثلاثة مناهج:

المنهج الأول: يقوم على جعل العدد (19) أساساً للأعداد في القرآن، وربط هذا العدد ومضاعفاته مع شواهد وأرقام وتواريخ وأحداث[2].

المنهج الثاني: يقوم على أساس وجود تناظر عددي بين مجموعات كبيرة من ألفاظ ذات معاني متقابلة في القرآن، كالحياة والموت، والجنة والنار، وهكذا...، واستنتاج معادلات رقمية ذات دلالة.[3]

المنهج الثالث: يقوم على أساس اكتشاف علاقات عددية بين حروف القرآن وكلماته وآياته وسوره، مع العدد (7)[4].

فالأعداد إما أن تكون مفردة من (1- 10)، أو مركبة من (11- 19)، أو ألفاظ عقود: (عشرون، ثلاثون... تسعون)، أو مئات أو ألوفاً، أو أن تكون كسوراً مثل: نصف، ثلث، ربع، إلخ، وجميع ما ذكر أعلاه وارد في القرآن الكريم، أما ألفاظ المليون وما زاد عنه فلا توجد في القرآن الكريم لأنها ألفاظ غير عربية، ولم يكن يعرفها العرب، فإذا أرادوا أن يقولوا مليوناً فيقولون: ألف ألف، وخمسة ملايين يقولون عنها: خمسة آلاف ألف... وهكذا.

ثانياً: استقراء أم خرافة!

لا يشك مسلم عاقل، أن النص القرآني معجز في فصاحته وبلاغته، ومعجز في علومه ومعارفه، لأنه كلام رب العالمين الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً، ولكن لا ينبغي أن يتكلف المسلم استخراج بعض الظواهر الرقمية

---

[1] سحيم، عبدالرحمن بن عبدالله، **سؤال عن الإعجاز العددي**، صيد الفوائد، نسخة محفوظة 10 أغسطس 2017م، على موقع واي باك مشين.Way Back Machine

[2] صاحب هذا المنهج والمبشر به هو الدكتور محمد رشاد خليفة.

[3] وكان الأستاذ عبدالرزاق نوفل، هو الذي تنبه إلى هذه القضية، وفصّلها في سلسلة متتابعة من كتابه: (**الإعجاز العددي للقرآن الكريم**).

[4] وصاحب هذه النظرة الأستاذ عمر النجدي في كتابه (**معجزة القرآن الجديدة: بنية الآيات والسور**)، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت (د.ت).

في كتاب الله بدافع الحماسة، وكتاب الله فيه من المعجزات والحقائق ما هو ظاهر بلا تكلف، فقد أخبر القرآن عن أحداث من الغيب ماضية، وأحداث من الغيب آتية.

وحقيقة إعجاز القرآن، إنما هي تعكس تفاوت العلماء في إدراك ذلك الإعجاز، وقد أخبر كل واحد منهم بما عرف، لأن أمر القرآن عجيب، يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوي معجزا، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه المربّون معجزاً، ويراه علماء النفس معجزاً، ويراه علماء الاجتماع معجزاً، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزاً.[1]

ثالثاً: أمثلة على الإعجاز العددي

ذكر الباحثون عدداً من الدراسات التي تحمل بعض التوافقات، كما وردت بالأرقام العجيبة الدالة على التساوي والتناسب في الإعجاز العددي في القرآن الكريم، أبرزها: ذكر الدنيا (115) مرة والآخرة كذلك، وذكر الحياة (71) مرة والموت كذلك، وذكر الشيطان (68) مرة والملائكة كذلك، وذكر الصيف (4) مرات والحر كذلك، وذكر الشتاء (5) مرات والبرد كذلك، والسيئات والصالحات كل منهما بمشتقاتها (168) مرة، والضّيق والطمأنينة كل منهما (13) مرة، وذكروا غيرها من الأمثلة كثير...[2].

ولا تزال الأيام المقبلة حُبْلَى بالكثير من هذه الاكتشافات الخاصة بالحروف والأرقام، ومن العلماء من وجد تناغماً مذهلاً بين أعداد المرات التي تتكرر فيها الألفاظ المتقابلة كالجنة والنار، والإنس والجن، وما إلى ذلك مما يجد القارئ شيئاً منه في بحوث الدارسين عن الإعجاز العددي في القرآن الكريم،[3] فالقرآن في جملته معجز، يحوي الغيبيات ويحوي الإعجاز العلمي ويحوي الإعجاز البلاغي ويحوي الإعجاز العددي، وغير ذلك من أوجه الإعجاز.

رابعاً: الحساب الشمسي والقمري

وأما الحساب الذي يذكره الله تعالى في كتابه الكريم، فهو الحساب الدقيق الذي لا يختلف على مدى السنوات، وهو الحساب القمري، وفي قوله تعالى: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾ [الكهف: 25] لم يرد النص: ثلاث مائة وتسع سنين، لأن هذه مثل هذه، فقد ورد هذا النص القرآني على هذه الصيغة من أجل تناسب رؤوس الآيات، وليس كما قال بعضهم بأن السنين الثلاثمائة بالشمسية، وازدادوا تسعاً بالقمرية؛ فإنه لا يمكن أن نشهد على الله بأنه أراد هذا المعنى؟ كما أن الحساب عند الله تعالى واحد، وأن عدة الشهور والسنوات عند الله بالأهلة، لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**﴾ [يونس: 5]، ولم يقل ذلك في الشمس، والحساب بالقمر هو المعروف

([1]) قدوري، غانم، **محاضرات في علوم القرآن** (252).

([2]) أبو شوفة، أحمد عمر، **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة** (150).

([3]) عوض، إبراهيم، **عصمةُ القرآنِ الكريمِ وجهالاتُ المُبَشِّرِينَ** (84).

والمعتمد عند الأنبياء وأقوامهم، ثم إنه ليس لهذه الأشهر (الشمسية) علامة حسيَّة يرجع الناس إليها في تحديد أوقاتهم، بخلاف الأشهر الهلاليَّة، فإن لها علامة حسيَّة يعرفها كل أحدٍ، ولم يُعرف الحساب بالشمس إلا عند جملة أتباع الديانات، وقد وافقهم كثير من المسلمين اليوم.

خامساً: مؤيدو هذه النظرية

أول من اكتشف هذه النظرية وكتب فيها من المعاصرين: د. مُحَمَّد رشاد خليفة[1]، وتبعه أ.فريد قبطني[2]، وأ.بسام جرار[3]، ود.عبدالرزاق نوفل[4]، وأ. عاطف صليبي[5]، والمهندس عدنان الرفاعي[6]، ود. عبدالرزاق قطنة[7]، ود. زغلول النجار[8] وغيرهم، وقد استدل بعضهم بأن الاستقراء وليس الاجتهاد، هو دليل الإعجاز العددي، لأن الملاحظات الاستقرائية واضحة في حروف وكلمات وآيات القرآن، ناهيك أن النصّ على جوازها هو قول الله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82] وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [مُحَمَّد: 24] فالقرآن الكريم لا تنقضي عجائبه، وحتى لا تنقضي عجائبه، فلا بدّ من ظهور اكتشافات جديدة والتي منها الإعجاز العددي، وأنه لا حاجة إلى أدلة من الكتاب والسنة لذلك.

كما استدل البعض الآخر على صحة هذه الحجة، على أدلة وآثار منقولة من القرآن والسنة، كقول الله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: 38]، وقوله: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [النحل:

---

[1] مفكر وعالم كيميائي مصري معاصر، هاجر إلى أمريكا وحصل على جنسيتها، وهو أول من نبّه إلى تميّز الرقم (19) في القرآن، أنكر الحديث والسنه كمصدر للتشريع، واكتفى بالقرآن، ثم إعلانه أنه رسول الله، أسّس مسجد في مدينة "توسان الأمريكية، وجمعية "المسلمون المتّحدون الدولية". موقع المعرفة، مقالة بعنوان: **رشاد خليفة** /www.marefa.org/

[2] أ. فريد قبطني: كاتب ومفكر جزائري معاصر، أصدر كتاب: **طلوع الشمس من مغربها**، في بيروت عام 1999م، تحدث فيه عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، في نسختين عربية وفرنسية.www.marefa.org /

[3] كاتب وباحث إسلامي فلسطيني معاصر، عمل مدرساً ثم محاضراً، ويشرف الآن على موقع إسلام نون ومركز نون، اهتم بالدراسات العددية وأخرج أول دراسة بعنوان: **عجيبة تسعة عشر بين تخلّف المسلمين وضلالات المدّعين**، ثم أصدر عام 1995م كتابه المشهور: (**زوال إسرائيل عام 2022**)، ويسجل دروسًا لتفسير القرآن تذاع على بعض القنوات الفضائية واليوتيوب.

[4] كاتب ومفكر إسلامي مصري، ولد عام 1917م، ولهُ مساهمات فكرية ودعوية، من أول كتبه "**الله والعلم الحديث**" وهو أول كتاب يصدر للربط بين الدين والعلم الحديث، وترجم لمعظم اللغات، ولهُ عدد من المؤلفات، منها: "**الإعجاز العددي للقرآن الكريم**".

[5] مفكر وباحث في موضوع الإعجاد العددي في القرآن الكريم، أصدر كتابه (**أسرع الحاسبين**) عام 2001م، ذكره الناقدون بأنه كتاب رائع، ويعتبر نقلة وثورة في عالم الإعجاز العددي، إذ يشتمل على منظومة رقمية وعددية، لا يمكن لمخلوق أو عالم رياضيات أن يوجد لها تشكيلات مشابهة. انظر: موقع الأرقام http://www.alargam.com/atef/

[6] مفكر وباحث سوري، وتخرج من جامعة دمشق في الهندسة المدنية، وعُيّن في وزارة الثقافة، له عدة مناظرات وبرامج تلفزيونية، معروف بمنهجه العقلاني، وأغلب ما يعرضه أفكار جديدة تعرض لأول مرة في العالم، وهو من رواد الإعجاز العددي في القرآن الكريم، وله عدة مؤلفات في الفكر الإسلامي أبرزها "**المعجزة الكبرى**". انظر: موقع المفكر عدنان الرفاعي. http://www.thekr.net

[7] كاتب ومفكر سوري، صاحب كتاب **رسم المصحف والإعجاز العددي**، دراسة نقدية في كتب الإعجاز العددي في القرآن الكريم، قدّم له كل من الدكتور مُحَمَّد راتب النابلسي، والدكتور وهبة الزحيلي، وقد أشاد كلاهما بالمؤلف وتوجهاته. انظر: مقدمة الكتاب.

[8] أكاديمي جيولوجي، وداعية إسلامي مصري، ولد عام 1933م، وهو باحث ومفكّر يركّز على الإعجاز العلمي في النصوص الإسلامية، درس في كلية العلوم في جامعة القاهرة وتخرج منها وهو يشغل منصب زميل وعضو مجلس إدارة الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، وهو من مؤسسي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. انظر: موقع موضوع. كوم: https://mawdoo3.com

89]، وما أخرجه الترمذي عن علي ﷺ، قال: "إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ..."[1]، ووجه الاستدلال أن السرّ يكمن في الأرقام التي تعبّر عنها أعداد الحروف والكلمات في القرآن!

يذكر نوفل: "ولكن ما نريد إعلانه هو أن هذا التساوي الرهيب، وهذا التناسق العجيب في كل موضوعات القرآن الكريم، وألفاظه، يقطع بلا أدنى شك أو جدل، أن القرآن وحي الله سبحانه وتعالى، فما كان لرسول الله ﷺ، وهو الأمي، ولا للعلماء في زمانه، ولكل علماء العالم لو اجتمعوا في مختلف الأجيال، إيجاد هذا التساوي والتوازن في هذه الموضوعات بهذا القدر وهذا الإعجاز"[2].

وقد أثار هذا الاكتشاف جدلاً بين أوساط العلماء المتخصّصين، فأقرّه مفتي الديار المصرية السابق د. نصر فريد واصل، ورأى أنه يمكن الاستفادة من برنامج "البصمة القرآنية" في ترجيح رأي على آخر في بعض القضايا الخلافية، وكذلك أقرّه د. إبراهيم عطا الفيومي أمين عام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، بالإضافة إلى أ.د. محمد الشحات الجندي، وأ.د. عبدالله مبروك النجار، عضوي مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، وكذلك د. أحمد المعصراوي أستاذ علوم القرآن بجامعة الأزهر، وشيخ عموم المقارئ المصرية[3].

سادساً: معارضو هذه النظرية

ومن هؤلاء الشيخ. يوسف القرضاوي[4]، ود.فضل حسن عباس[5]، والشيخ عبد الباسط قاري الذي ذكر في مقابلة شخصية: ينبغي أن يكون للقرآن أصول يفسر بها، أما أن تكون (خرابيط) باسم الإعجاز القرآني، فإن هذا تقوّل وتخرّص على الله، ومن يتكلم بالإعجاز الرقمي في القرآن هم إما أطباء أو مهندسون، ليس تخصصهم في هذا المجال، وقد تكون نيتهم صادقة وهذا لا يكفي، لأنك لو قرأت بعض أبحاثهم فإنك تخجل أن تقول إن هذا من إعجاز القرآن.[6]

وبالتدقيق في إحصائيات أولئك الذين نشروا تلك الأرقام، ظهرت الانتقائية من بعضهم في عدِّ الكلمة بالطريقة التي يهواها، وكل هذا من أجل أن يصلوا إلى أمرٍ أرادوه وظنوه في كتاب الله تعالى، هذا ما ذكره الدكتور

([1]) الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الكبير، سنن الترمذي**، (5/ 22).

([2]) نوفل، عبدالرزاق، **الإعجاز العددي للقرآن الكريم** (171).

([3]) رستناوي، حمزة، مقالة بعنوان: **بانوراما الإعجاز العددي عند المعاصرين**، نشرت يوم 2011/3/1م على موقع: damascusschool.wordpress.com/2011/03/01

([4]) علامة مصري، في العلم والفكر والدعوة والجهاد، والتحق بالأزهر، حصل على الدكتوراة بامتياز عام 1973م، تنوعت كتبه وفاق عددها الخمسين، وترجم أكثرها، اتصل بحركة الإخوان المسلمين، ولقي كثيراً من الأذى والاضطهاد. راجع: موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي – السيرة الذاتية/www.al-qaradawi.net/content/

([5]) علامة ومفسر، وله نتاج كبير وهام من المؤلفات في تفسير القرآن الكريم، ولد سنة 1932م في بلدة صفورية في فلسطين، وحصل على الدكتوراه في تفسير القرآن من الأزهر، عمل مدرساً في الجامعة الأردنية، ويشرف على الرسائل ومباحث العلم إلى يوم وفاته في 9 شباط سنة 2011م. راجع: موقع رابطة العلماء المسلمين/islamsyria.com/site/show_cvs/271

([6]) قاري، عبدالباسط، **حكم الإعجاز الرقمي او العددي في القران الكريم**، مقابلة شخصية على قناة يوتيوب، تم نشره في 2017/04/19م.

أشرف عبدالرزاق قطنة في دراسة نقدية على الإعجاز العددي في القرآن الكريم، ونشره في كتاب بعنوان: "رسم المصحف والإعجاز العددي، دراسة نقدية في كتب الإعجاز العددي في القرآن الكريم"، وخلص في خاتمة الكتاب الذي استعرض فيه ثلاثة كتب هي: كتاب **"إعجاز الرقم 19"** لمؤلفه بسام جرار، وكتاب **"الإعجاز العددي في القرآن"** لعبدالرزاق نوفل، وكتاب **"المعجزة"** لمؤلفه عدنان الرفاعي، وخلص المؤلف إلى نتيجة عبَّر عنها بقوله: "وصلت بنتيجة دراستي إلى أن فكرة الإعجاز العددي" كما عرضتها هذه الكتب "غير صحيحة على الإطلاق، وأن هذه الكتب تقوم باعتماد شروط توجيهية حيناً وانتقائية حيناً آخر، من أجل إثبات صحة وجهة نظر بشكل يسوق القارئ إلى النتائج المحددة سلفاً، وقد أدت هذه الشروط التوجيهية أحياناً إلى الخروج على ما هو ثابت بإجماع الأمة، كمخالفة الرسم العثماني للمصاحف، وهذا ما لا يجوز أبداً، وإلى اعتماد رسم بعض الكلمات كما وردت في أحد المصاحف، دون الأخذ بعين الاعتبار رسمها في المصاحف الأخرى، وأدت كذلك إلى مخالفة مبادئ اللغة العربية من حيث تحديد مرادفات الكلمات وأضدادها".[1]

وذكر في شرح كتاب التوحيد: هناك أناس ظهروا يسمون أصحاب الإعجاز العددي في القرآن، يعظمون الأحرف، حيث يقرأ الواحد منهم في مواضع من القرآن ويرى أنها مهمّة، ويحسب حروفها ويبني عليها أشياء كثيرة جداً في الواقع وفي الأنفس وفي الآفاق وفي التاريخ، وهذه الطريقة عبث وهدم للقرآن الكريم، ويجب أن نحذر منها بقدر ما نستطيع، وأسأل الله ﷻ أن ينتقم ممن لعب بالقرآن وفسره بهذه الطريقة، فليبحث في القرآن وليحسب في الحروف حتى يتعب! إنَّ هذه الطريقة في التعامل مع القرآن طريقة فاسدة تشبه طريقة الباطنية.[2]

وللدلالة على هذا، فإن ثمّة أمثله، أبرزها: اختيار الباحث والمفكر عبدالرزاق نوفل الانتقائي للكلمات، في كتابه: الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ليستقيم له التوازن العددي، ومن ذلك قوله: إن لفظ اليوم ورد في القرآن (365) مرة بعدد أيام السنة، وقد جمع لإثبات هذا لفظي "اليوم"، "يوماً" وترك "يومكم" و"يومهم" و"يومئذ"؛ لأنه لو فعل هذا لاختلف الحساب عليه! وكذلك الحال في لفظ "الشيطان" و"الاستعاذة" منه، ذكر أنه تكرر (11) مرة في كل منهما، ويُدخل في الإحصاء كلمتي "أعوذ" و"فاستعذ" دون "عذت" و"يعوذون" و"أعيذها" و"معاذ الله"، كما أنه أضاف ناقة صالح إلى قائمة الأنبياء والرسل، حتى يستقيم له التوازن في العدد![3].

على ضوء ذلك، يجب أن يُصان كتاب الله عن الظنون والأوهام، وقد اتفق أهل العلم على حرمة التفسير بالرأي بلا أثر ولا لغة، وقد كان أبو بكر الصديق ﵁ يقول: "أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي

([1]) قطنة، أشرف عبدالرزاق، **رسم المصحف والإعجاز العددي** (197).

([2]) انظر: السلمي، عبدالرحيم، **شرح كتاب التوحيد** (9/ 11).

([3]) نوفل، عبد الرزاق، **الإعجاز العددي للقرآن الكريم** (97، 241، 250، 251، 242)، انظر: الرومي، فهد، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر** (2/ 699-701).

كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ"[1]، وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ عُمَرَ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: 31]، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الْأَبُّ؟"، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ"[2].

وقد أكّد الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر السابق، ورئيس اللجنة الفقهية بمجمع البحوث، أنه تمّ مناقشة موضوع "الشفرة الرقمية" للقرآن في اجتماع بمجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، ورفضه كلّ الأعضاء، مؤكّدين أنه يسئ إلى الإسلام ويشوه صورته، وأشار عدد من أعضاء المجمع البارزين إلى أنه سبق عرض هذا البحث على جامعة مكة المكرمة، وبعد دراسته قررت عدم الموافقة عليه، وقد أكد شيخ الأزهر أنه لا علاقة لمجمع البحوث الإسلامية بهذا البحث، وأنه لا يعرف عنه شيئاً، في حين أشار الدكتور عبد الله النجار إلى أن أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يخشون كل ما هو جديد!![3].

وأخيراً... فإن ما يسمى بالإعجاز العددي، على الرغم من إعجاب كثير من العلماء والعوام به، لا تجد له عظيم الفوائد العلمية، وعظيم الأثر الواقعي الذي من شأنه أن يهذب النفس، ويظهر مضمراته، أو يطلعنا على أسرار الكون، إنه أقرب ما يكون إلى الترف العقلي المجرد، وما يثير العجب، أن كثيراً من العلماء الباحثين في عصرنا، أرادوا أن يجعلوا للإعجاز العددي أصلاً في تراثنا الإعجازي![4].

سابعاً: أبرز المعاني الباطلة في الإعجاز العددي

أ- استغلال بعض الباحثين ورود عدد معين في القرآن، من أجل تعظيم ذلك العدد، كمن ادعى أن العدد (19) ومضاعفاته له خصوصية في القرآن، وكذلك تعظيم بعض الجماعات الإسلامية للعدد (7) أو العدد (40)، وإن تصادف ذلك مع بعض الحقائق؛ فإنه يُعدّ من الملح واللطائف، وليست من متين العلم، بل إن كثيرًا مما حُكِمَ فيه بالإعجاز العددي يدخله التلاعب والأهواء، وذلك بعدِّ شيء وترك شيء ليوافق العددُ المسألةَ التي سيق من أجلها!

ب- انتقاء عدد الكلمات المطلوب باختلاف المصاحف، مثل: {بئسما} و{بئس ما}، و: {مالم} و{ما لم} و: {بعدما} و:{بعد ما} وغيرها في المقطوع والموصول.

ت- حقيقة أن هذا النظام الحسابي لا ينطبق على جميع المصاحف باعتبار القراءات.

ث- حقيقة أن هذا النظام الحسابي ليس أكثر من مصادفات يمكن وجودها في أي كتاب، وإن كل من يعرف مبادئ الحساب، يستطيع أن يكتشف وجوها جديدة ومذهلة للإعجاز العددي، ليس في القرآن فحسب، بل

---

[1] ابن أبي شيبة، أبو بكر، **المصنف في الأحاديث والآثار** (6/ 136).

[2] الجوزاني، سعيد بن منصور، **التفسير من سنن سعيد (1/ 181).**

[3] رستناوي، حمزة، مقالة بعنوان: **بانوراما الإعجاز العددي عند المعاصرين**، نشرت يوم 2011/3/1م على موقع: damascusschool.wordpress.com/2011/03/01

[4] انظر: آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، **العراق في أحاديث وآثار الفتن** (2/ 609).

في مقامات الحريري وحكايات ألف ليلة وليلة! فالقرآن الكريم لم ينزل لتحسب حروفه وتجمع وتطرح، بل نزل لتتدبر آياته ويهتدى بها ويعمل بما فيها.

ج- استعمال الأعداد في التنبؤ بأحداث غيبية، أو ادعاء دلالة القرآن على زمن وقوعها مثل أحداث 11 سبتمبر، واستعمال التاريخ النصراني لكون التاريخ الإسلامي لم يسعفهم في تحقيق مرادهم، ومن عدهم لبعض الآيات أو السور في حسبة معينة لتتوافق مع أغراضهم، باعتبار هذا المسلك كهانة وادعاء لعلم الغيب، كما أنه مسلك اليهود من قبل.

ح- كما أن هذا الادعاء يفتقد إلى دليل يُعتد به، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: 36]، ناهيك أن العدّ الآلي ليس دقيقاً، وتقع فيه أخطاء تتخلله لأسباب فنية وصرفية.

خ- ناهيك أن هذه اللطائف المستنبطة من العدد، ليست من التفسير في شيء، ولا يُبنى عليها فهم معنى، بل هي من قبيل الاستنباطات، وأن أي بحث في ما يسمى بالإعجاز العددي إذا دخل في باب المغيبات التي لم تأت بعد، فهو من باب ادعاء علم الغيب، لا يجوز الجزم بها أو اعتمادها.

ثامناً: فوائد البحث في الإعجاز العددي

1- الرغبة في الدعوة إلى الدين الإسلامي بلغة الأرقام وهي لغة العصر، وتكون هذه الدعوة موجهة إلى فئة معينة من الملحدين أو المشككين في الدين الإسلامي.

2- الاستدلال على سلامة القرآن الكريم من التحريف والتزوير؛ لأن أي زيادة في حروفه أو كلماته يؤدي إلى إفساد وجه الإعجاز فيه.

3- تقوية غرس الإيمان في نفوس المؤمنين، وترسيخه في قلوبهم عن طريق إدراك لحقائق العلمية المكتشفة في القرآن

4- تجلية قضية إعجاز القرآن الكريم، وتسهيل مهمة تقديم البرهان وإقامة الحجة على سلامة النص فيه.

5- اعتماد الإعجاز العددي وسيلة فعّالة للدعوة إلى الله، ودليلاً مادياً ملموساً لإقناع الملحدين.

6- تجلية بعض أسرار القرآن المكتشفة، والوقوف على بعض حقائقه ومعجزاته.

7- الرد العلمي على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ فهو نبيٌّ أميّ عاش في زمن يفتقر إلى مقومات العمليات الحسابية المكتشفة حديثاً.

تاسعاً: هل طبقه الرسول ﷺ والصحابة؟

ذكر ابن قدامة، إن ابن عباس استنبط ذلك من عدد كلمات السورة، وفد وافقه أن قوله فيها هي سابع كلمة بعد العشرين، واستنبطه بعضهم من وجه آخر فقال: ليلة القدر تسعة أحرف، وقد أعيدت في السورة ثلاث مرات وذلك سبع وعشرون، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: "لَيْلَةِ الْقَدْرِ تِسْعَةُ أَحْرُفٍ، وَهُوَ مَذْكُورٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَتَكُونُ السَّابِعَةَ وَالْعِشْرِينَ"[1]، وهو يقصد (9) ضرب (3) = (27).

وقال ابن قدامة: إن ابن عباس استنبط ذلك من عدد كلمات السورة، وقد وافقه أن قوله فيها هي سابع كلمة بعد العشرين، واستنبطه بعضهم من وجه آخر فقال: ليلة القدر تسعة أحرف، وقد أعيدت في السورة ثلاث مرات وذلك سبع وعشرون، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: "سُورَةُ الْقَدْرِ ثَلَاثُونَ كَلِمَةً، السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ مِنْهَا هِيَ"[2]، ويقصد بأن ترتيب كلمة (هي) في هذه السورة هو رقم (27)، فيكون هذا الاستنتاج للدلالة على أن ليلة القدر هي ليلة (27) من شهر رمضان.

وذكر القسطلاني في شرح البخاري: "زعم ابن قدامة أن ابن عباس استنبط ذلك من عدد كلمات السورة، وقد وافق قوله فيها: هي سابع كلمة بعد العشرين، وهذا نقله ابن حزم عن بعض المالكية، وبالغ في إنكاره، نقله ابن عطية في تفسيره وقال: إنه من ملح التفاسير وليس من متين العلم، واستنبط بعضهم ذلك في جهة أخرى فقال: ليلة القدر تسعة أحرف، وقد أعيدت في السورة ثلاث مرات، فذلك سبع وعشرون".[3]

عاشراً: الحكم الشرعي على هذا النوع من الدراسات الحديثة

أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، إجابة عن هذا النوع من الإعجاز العلمي في القرآن، أجاب عليها كل من بكر أبو زيد وصالح الفوزان، وعبدالله بن غديان، وعبدالعزيز آل الشيخ، وعبدالعزيز بن عبد الله بن باز نصها: "هذه الدراسة من مفتريات وترهات الفرقة الباطنية البهائية، وهي قائمة على تقديس رقم تسعة عشر، ولا شك أنها باطلة، إذ هي تلاعب بالقرآن العظيم وصرفٌ للناس عن تدبره ومعرفة معانيه الصحيحة، ولهذه الطائفة الخبيثة عقائد فاسدة كثيرة، منها: ادعاء بعض دعاتها النبوة وقولهم بالحلول والاتحاد وتحريم الجهاد والدعوة إلى وحدة الأديان وغير ذلك، فالواجب على المسلمين جميعا الحذر والتحذير من الوقوع في شباك هذه النحلة الكافرة، والتأثر بأفكارهم وكتبهم".[4]

([1]) الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (32/ 230).

([2]) ابن قدامة، **المغني** (3/ 183).

([3]) القسطلاني، أحمد بن محمد شرح القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري** (3/ 437).

([4]) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية (2/ 116-117).

فالإعجاز العددي بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، هكذا يرى البعض الإعجاز العددي، وهو مما لم يعلمه السلف الصالح أو عمل به، ولا العلماء الأجلاء الذين يؤخذ عنهم العلم، ولو علموا فيه خيراً لما فاتهم، وتحميل القرآن هذا الوجه من الأعجاز غير متفق عليه عند العقلاء، هذه هي حجتهم في رفض هذا الوجه من إعجاز القرآن.

وقد أبدى كثير من المختصين في الدراسات القرآنية، تحفظهم الشديد على هذا النوع من البحوث المتصلة بالقرآن الكريم، بل المبالغة في النكير على القائلين به والداعين إليه، فالقرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب علوم كونية، أو دلالة على حوادث غيبية، بل هو كما أخبر الله تعالى، كتاب هداية وبيان وتشريع، فلا ضير أن لا يوجد في القرآن الكريم شيء من تلك المسائل، ولا حاجة للباحث المسلم أن يتكلف أمراً، لم يدل عليه القرآن الكريم بشكل جلي.

حادي عشر: لطائف قرآنية، أو ظاهرة عددية، أو تناسق عددي، وليس إعجازاً

لقد ظنَّ كثيرٌ من الناس صحة هذه المقابلات اللفظية، وما فيها من المصادقات الرقمية، أن هذا من إعجاز القرآن، ولم يفرقوا بين "اللطيفة" و"الإعجاز"، فتأليف كتابٍ يحتوي على عدد معيَّن من ألفاظٍ معيَّنة أمرٌ يستطيعه كل أحدٍ، فأين الإعجاز في هذا؟

ومن المعاني التي لا بأس بها أن تذكر كلطيفة قرآنية، ما وافق من الأعداد حقيقة علمية ثابتة في العلوم الطبيعية، ومثاله قول بعضهم بأن كلمة البحر ذكرت في القرآن الكريم (32) مرة، وذكرت كلمة البر في القرآن الكريم (13) مرة، ونسبة (32 إلى 13) هي بالضبط نفس نسبة الماء إلى اليابسة في الكرة الأرضية! ويستفاد من هذا الوجه في محاورة أهل الكتاب.

ثاني عشر: ضوابط لا بدّ منها للبحث في الإعجاز العددي

لم يتطرق الباحثون السابقون لهذا النوع من الإعجاز، كما اختلف فيه الباحثون اليوم، وانقسموا بين مثبت ونافٍ، وقد ذكروا بعض الضوابط التي لا بدّ منها للخوض في هذا الأمر، أبرزها:

1- الحذر وعدم التسرع عند التعامل مع كتاب الله.

2- اعتماد عدد كلمات القرآن وحروفه على أساس الرسم العثماني، وهو توقيفي عن الرسول ﷺ وأجمعت عليه الأمة.

3- الاعتماد على القراءات المتواترة، وترك القراءات الشاذة.

4- أن يظهر وجه الإعجاز في تلك الأعداد، بحيث يعجز البشر عن فعل مثلها لو أرادوا.

5- الدقة والمصداقية في عدّ الآيات والكلمات والحروف، فلا يُدخل الباحث أرقاما انتقائية لتتلاءم مع نتائج سابقة تتلاءم مع رغباته، لأن هذا الأمر يفقد البحث مصداقيته.

6- عدم الخوض في الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، كتاريخ انتهاء دولة وقيام أخرى، أو زوال شعب وقيام آخر؛ فهذا تمحّل وتكلّف.

7- مراعاة أن توافق الأرقام في مسألة البحث، هي وسيلة لرؤية البناء العددي القرآني، لتأكيد أصالته وصحة مصدره.

8- اجتناب العبارات التي تشعر أن الباحث يدافع عن القرآن والسنة من ضعف، أو أن العلماء السابقين قصروا في فهمها.

9- أن تكون طريقة البحث ثابتة مبنية على أساس علمي وشرعي، بعيدة عن العاطفة والحماسة والأهواء، فقد يتأثر بمقررات سابقة لدراسته، قد تجعله مندفعا من غير قصد، للتحكم في مسار بحثه وتحديد نتائجه!

10- أن تكون طريقة البحث غير متناقضة، وعدم التنقل من طريقة لأخرى في البحث الواحد؛ كاعتماد التاريخ الهجري تارة والميلادي تارة، أو استخراج أية أرقام تصادفه أو تتفق مع حساباته، أو يتبنى في عدّه الكلمات والحروف المنطوقة مرة والمكتوبة مرة، أو يخالف رسم القرآن بهدف الحصول على أرقام محددة تتفق مع حساباته، فهذا سيؤدي إلى تدخل المصادفة والتوافق بشكل كبير في نتائج البحث.

11- أن تكون نتائج البحث حقيقية وليست مصادفة، فلا تمثل إعجازا يقنع أهل هذا الدين فضلاً عن غير أهله.

12- أن تكون طريقة الباحث موافقة تماماً للنظم الإحصائية والرياضية، دون تلاعب أو تدليس.

والملاحظ أن أكثر ما كتب في الإعجاز العددي لا ينضبط بهذه الضوابط.

ثالث عشر: أمثلة على الإعجاز العددي في نبوءة زوال إسرائيل:

إن الحديث عن الغيبيات يحمل مجازفة، وإذا ما كانت بين أيدينا مقدمات ثابتة حول مسألة ما، تصبح إمكانية تحقق هذه الغيبيات أبعد ما تكون عن التخمين وأقرب ما تكون إلى الواقع، وفي حديثنا عن نهاية الكيان الإسرائيلي لا نرى مقدمات أوثق من نصوص القرآن الكريم، وبالتالي فالمجازفة واحتمال الخطأ ينحصران في ساحة إدراكنا لما تحمله هذه النصوص من دلالات، ونحن لا نجزم جزماً قاطعاً بأي عام ينتهي فيه هذا الكيان أبداً.

لقد جرَّ هذا النظام الحسابي المستحدث، بعض الباحثين المنشغلين في عدّ الآيات والكلمات في القرآن، إلى ما هو أكثر من مجرد الإحصائيات، فراح بعضهم يحدّد بتلك الأرقام "زوال دولة إسرائيل"، وآخر قال بأن القرآن فيه إشارة إلى "تفجيرات أبراج نيويورك"! من خلال رقم آية التوبة وسورتها وجزئها، ومن آخر ما افتروه على

كتاب الله تعالى ما نشروه من "تحديد يوم القيامة"، وكل ذلك من العبث في كتاب الله تعالى، والذي كان سببه الجهل بحقيقة إعجاز كتاب الله تعالى.

ويستعرض الباحث على سبيل المثال لا الحصر، نموذجين من نظريات الإعجاز العددي في نبوءة زوال إسرائيل وهما:

الأنموذج الأول: نظرية الباحث بسام جرار

ذكر الباحث بسام جرار معادلات مختلفة على أساس هذه النظرية الحسابية في ملاحظات استقرائية، للدلالة على نهاية عمر هذا الكيان في الأرض المباركة، منها:

بما أن سورة الإسراء تسمى أيضا سورة بني إسرائيل، وهي تتحث في مطلعها عن نبوءة أنزلها الله على موسى عليه السلام في التوراة، وهي تنص على إفسادتين لبني إسرائيل في الأرض المباركة على (صورة دولة) عن علو واستكبار، فإذا قام بإحصاء الكلمات من بداية الكلام عن النبوءة (وآتينا) إلى آخر الكلام (نفيراً)، فسوف نجد عدد الكلمات هو (1443) كلمة، وهو الرقم الذي يطابق الرقم الذي خلصنا إليه بدايةً (1367+76=1443هـ).

ومنها أن إسرائيل تدوم وفق النبوءة الغامضة (76) سنة قمرية، وأن عام 1948م هو عام 1367هـ، وإن صحت النبوءة، فإن إسرائيل ستدوم حتى (1367+76=1443هـ)[1].

ومنها ما له علاقة بتاريخ هجرة الرسول ﷺ حيث ينتهي الرقم بـ(1443)، ومنها ما يتعلق بدوران الأرض حول الشمس مرة واحدة في السنة، ودارانها حول نفسها (365) مرة، ودوران القمر حول الأرض (12) مرة، وعدد مرات ذكر سنة وشهر ويوم في القرآن، وربط هذا مع عام الإسراء والرقم (19)...، وبعد إجراء معادلات ومقابلات رقمية كثيرة، خلص الباحث إلى الرقم (1443هـ/2022م)، وقال بأن هذا تاريخ زوال (دولة) إسرائيل![2].

ومنها ما ارتبط بالفساد الأول لبني إسرائيل عام (935) ق.م، وهو عام وفاة سليمان عليه السلام، وقد ملك (40) عاما، وأن نهاية الفساد الثاني والأخير هو عام (1443هـ/2022م)، وعليه يكون عدد السنين من بداية الفساد الأول إلى الإسراء هو (1556) سنة شمسية، ويكون عدد السنين من بداية الإسراء حتى نهاية الفساد الثاني هو (1444) سنة قمرية، والملحوظ أن (1566) هو عدد كلمات سورة الإسراء... وبعد أن توسع يذكر أرقام وتواريخ أخرى، خلص بعادلة أخيرة ص (67) إلى الرقم (2022/3/6)، وهو اكتمال بقاء هذا الكيان.[3]

([1]) جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (58).

([2]) انظر: جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (58-59).

([3]) جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (61-67).

ذكر آل سلمان[1]: "وعجبي لا ينتهي من هؤلاء- ويقصد بسام جرار- إذ أنهم يتلاعبون بعقول الناس، فقد حسب حسابات معينة، فضرب تارة، وقسم أخرى، وجمع ثالثة، وخرج بأن دولة يهود ستزول سنة (2022م)!! ولو فعل غيره فعلته، وأبدل هذه العمليات، لخرجت معه نتائج أخرى، وهكذا الظنون والتخرصات، فإنها لا أصل لها ولا قواعد، وهذا الذي نعيبه على من سلك هذا المسلك".[2]

الأنموذج الثاني: نظرية الباحث هاني الرفاعي

يتحدث عن نهاية إسرائيل وزوال كيانهم في أرض الشام، ويصف ذلك بأنه مؤرَّخ قرآنيا في الآيات (4-8) والآية (104) سورة الإسراء، وأن ما حوته هذه الآيات قد أعلمه الله تعالى لبني إسرائيل في كتابهم، وأعلمهم بالنتيجة التي سيؤولون إليها.

وذكر بأن اللفظ القرآني: ﴿**وَعْدُ الْآخِرَةِ**﴾ ورد في سورة الإسراء مرتين، في الآية (7) و(104)، وهي تتعلق بالحياة الدنيا قبل قيام الساعة، خلافاً لأقوال بعض المفسرين القدامى، وأن قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا... حَصِيرًا**﴾ الآيات من (4-8) في سورة الإسراء، هو النص الوحيد في القرآن الذي يصور إفساد بني إسرائيل الذي نعيش أحداثه الآن، وأن الفعل: {بعثنا} و: {فجاسوا} يردان بصيغة الماضي، وأن الأفعال: {ليسوؤوا} و:{ليدخلوا} و: {وليتبروا} ترد بصيغة المضارع، وفي هذا إشارة إلى أن أحداث الإفساد الأول لبني إسرائيل قد وقعت قبل نزول القرآن الكريم، وأن كلمة: {ثم} في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الإسراء: 6] تفيد التراخي في الزمن، أي بعد تدميرهم نتيجة إفسادهم الأول، وبعد زمن طويل أصبحوا من أصحاب الأموال والبنين.

وذكر تناظراً تاماً في عدد الكلمات بين قوله تعالى: ﴿**وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ**﴾ وقوله: ﴿ **كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾، بأن عدد حروف كل منهما (14) حرفاً مرسوماً، للدلالة على أن ما حدث في إفسادهم الأول وتدمير الهيكل عام 586 ق.م، سيحدث تماماً في إفسادهم الثاني (الحالي).

وذكر بأن النص في سورة الإسراء: ﴿**وَقَضَيْنَا... حَصِيرًا**﴾ الآيات (4-8)، فهو مكون من (75) كلمة، وهو يشير إلى مجموع سني لبث هؤلاء المفسدين في الأرض المقدسة؟ ثم إن عدد حروف الآية: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ [الإسراء: 5] هو (75) حرفاً مرسوماً، وان عدد حروف الآية في الإفساد الثاني: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا**﴾ [الإسراء: 7] هو أيضا (75) حرفاً مرسوماً، ولا شك أن

([1]) هو مشهور بن حسن آل سلمان، شيخ سلفي، صاحب التصانيف والتحقيقات، ولد في فلسطين سنة 1380هـ، وعاش في الأردن بعد النكبة، نشر قرابة مئة رسالة وكتاب، تحقيقا أو تصنيفا، وأتم نحو العشرين مما لم يُطبع، امتدحه الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

([2]) آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، **العراق في أحاديث وآثار الفتن** (2/ 607).

هذا العدد يرتبط بسر الحقيقة التي يحملها النص بداخله، وأن تكرار العدد (75) ثلاث مرات ليس عبثا، بل يؤكد ما نذهب إليه.

وذكر أن مجموع حروف الجمّل القرآنية لبعض النصوص يشير إلى مجموع سنين، وأعظم دليل على ذلك أن سورة نوح عليه السلام تتكون من (950) حرفاً مرسوماً، وهذا ما يوافق تماماً المدة الزمنية التي بينها لنا كتاب الله تعالى بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 14]، ويدلّ بأن مجموع كلمات النص القرآني يشير أحياناً إلى مجموع وحدات زمنية، وإن افترضنا أن العدد (75) يشير إلى وحدات زمنية هي السنين، فهل سيتم الفتح عام (2023)م؟ (1948+75=2023)، أم سيتم الفتح عام (2042) إذا اعتبرنا دخولهم المسجد الأقصى عام 1967م، (1967+75=2042)، أم أن العدد (75) يتعلق بأمر آخر لا علاقة له بمدة إفسادهم![1].

فهل يشير هذا العدد إلى المدة الزمنية لإفسادهم؟ إذا اعتبرنا أن بداية الإفساد الثانية سنة 1948م، فإنه يجمع (1948+75=2023)، وبالتالي سينتهي وجود اليهود في فلسطين، ويتم زوال كيان بني إسرائيل عن أرض الشام عام 2023 ميلادية.

أما السؤال: ماذا لو جاء عام 2023م، ولم يتم جلاء اليهود عن فلسطين وأرض الشام؟ وهل سيكون هذا خللاً في حسابات هؤلاء؟ أم شبهة يتخذها أعداء الإسلام للطعن في القرآن؟ أم أنها دعوة الأجيال من الشباب المسلم إلى التقاعس والكسل وإسقاط فريضة من فرائض الدين وهي الجهاد؟

الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نجزم به هو قولنا: الله تعالى أعلم، وهذه النبوءة لا يمكن أن تكون عامل اتكال وتقاعس عن الجهاد كما يتوهم البعض، بمقدار ما تكون حافزاً للشهادة وباعثاً للأمل، درعاً عام 1993م.

([1]) انظر: رفاعي، عدنان، **المعجزة،** موقع الكاتب والمفكر الإسلامي المهندس عدنان الرفاعي، (198- 199)، رفاعي، عدنان، مقالة بعنوان: **نهاية إسرائيل في القرآن الكريم**، موقع المهندس عدنان الرفاعي، شبكة الذكر للدراسات الإسلامية، http://www.thekr.net/index.php/.

المبحث الثاني

حساب الجمل ودلالاته التفسيرية

أولاً: تعريف حساب الجُمّل

حساب الجمّل كما عرفه العلماء: هو ضرب من الحساب يُجعل فيه لكل حرف رقم معين على ترتيب خاص، أو هو كتابة الأعداد بحروف يعادل كل منها عدداً معلوماً وفق الترتيب الأبجدي[(1)]، وهو نظام قديم استعمله الكثيرون في الرمز والتأريخ، لا سيما الشعراء منهم، بحيث يرتبط على ترتيب الحروف الأبجدية مقاديرها العددية.[(2)] وقيل: هو جعل كل حرف من حروف أبجد هوز في مقابل رقم حسابي[(3)]، وقيل: عُرف حساب الجمّل عند العرب وعند غيرهم، وقد استُخدم لأغراض التأريخ، فجعلوا لكل حرف قيمة عددية وفق الترتيب الأبجدي، وهو مجرد اصطلاح بشري[(4)].

مثلاً: إذا قرئ عن حدث وقع في سنة (جَمَرَ)، فهذا يعني في حساب الجمّل، أنّ الحدث قد وقع سنة (243)؛ لأن الحرف (ج) يقابله الرقم (3)، والحرف (م) يقابله الرقم (40)، والحرف (ر) يقابله (200).

ويُستنتج من مجمل تعريفات حساب الجمل، بأنه نظام عددي قديم نتج عن حاجة البشر إلى التعبير عن الحروف بالأرقام، فكانوا يطلقون على كل حرف من حروف اللغة رقماً خاصاً به، فحرف الألف مثلاً رقمه (1) وحرف الباء رقمه (2) وحرف الجيم رقمه (3)... وهكذا، وقد كان هذا الحساب مستخدماً في تأريخ اليهود أسفارهم، ثم استخدمه العرب لبعض الأحداث بدلاً من كتابة التاريخ، وبالتالي فهو مجرد اصطلاح من جماعة من الناس لا يقوم على أساس منطقي، فمن هذا الذي رتب الحروف الأبجدية هذا الترتيب الموجود؟ ومن الذي جعل لها أرقاماً ذات قيمة عددية؟ ثم أعطى للحرف (ي) رقم (10)، وللحرف (ك) رقم (20)، وللحرف (ل) رقم (30)، ثم أعطى للحرف (ق) رقم (100)، وللحرف (ر) رقم (200)، وللحرف (ش) رقم (300)، أم أن هذا النظام تحكم من واضعيه؟ وهل هذا الترتيب يلزم الآخرين؟

وقد رُصدت محاولات لبيان معنى حروف التهجي التي افتتح بها بعض سور القرآن الكريم، عند بعض المفسرين من السلف ومن بعدهم، وهو ما كان يعرف عند العرب قديماً من وضع قيمة رقمية لكل حرف عربي

([1]) انظر: تونجي، أسمر، محمد وراجي، **المعجم المفصل (ج284/1).**

([2]) انظر: جرمي، إبراهيم محمد، **معجم علوم القرآن** (133).

([3]) انظر: علي، جواد، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام** (15/ 169).

([4]) انظر: جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (89-90).

حسب ترتيب (أبجد هوز) ويسمونه: حساب الجمل، إلا أن هذا المصطلح قد أحاط ظهوره في العصر الحديث كثير من الدخل والدخن؛ فالحسابات العددية ارتبطت بالفرقة البهائية[1] الضالة، وعلى تلك الحسابات اعتمد رشاد خليفه[2] في دعواه للنبوة، ما جعل كثيراً من الدارسين يقفون موقف الريب من هذا الاتجاه، ناهيك عن مظاهر التكلف وصور التمحّل، وافتقاد المنهجية المنضبطة، في كثير من الدراسات المتعلِّقة به، مما يُجل القرآن الكريم عنه.

وهاك مثالاً، ذكره أحد أشهر المهتمين المعاصرين بالدراسات العددية في القرآن الكريم حيث يقول: إنّ سورة النمل تُستهلّ بـ ﴿طس﴾ [النمل: 1]، وقد لفت الانتباه أنّ حرف الطاء يتكرر في السورة (27) مرّة، وهذا الرقم هو ترتيب سورة النمل في المصحف، وأنّ تكرار حرف السين في سورة النمل هو (93) وهذا الرقم هو عدد آيات السورة، وأن المجموع هو: (27+ 93) = (120) وهذا الرقم هو جُمّل كلمة (نمل)"، ويريد بقوله (جمّل) أي حساب الجمل الذي تقدم بيانه، فهذا المثال، على فرض التسليم بصحة ما تضمنه من أرقام وحساب، فإن المحصلة النهائية له ليست ذات قيمة علمية أو عملية، فضلاً عن أنها ليست أمراً معجزاً في ذاتها، فأين هذا من وصف ربنا جل وعلا لكتابه الكريم بقوله: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: 9].

ثانياً: هل طبقه الرسول ﷺ والصحابة في تدبّر القرآن؟

إن حقيقة هذا المنهج في البحث ومن اشتغل به، هو من باب التشبه باليهود، ولا يُستدلّ عليه من شرعنا إلا بما أخرجه البخاري، عن ابن عباس، عن جابر بن عبدالله بن رِئاب، قال: «مر أبو ياسر بن أخطب [في رجال من اليهود] برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: ﴿**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**﴾ [البقرة: 1-2] فقالوا: أجاءك بهذا جبريل من عند الله؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بُيّنَ لنبيٍّ منهم مدةُ ملكه، وأجلُ أمته غيرك، فقال حيي بن أخطب، وأقبل على من كان معه، فقال: الألف واحدة واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون؛ أفتدخلون في دين نبي إنما مدةُ مُلكه وأجلُ أمته إحدى وسبعون سنة؟: (فتبسم رسول الله ﷺ)[3]، قال: ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا مُحَمَّد! هل مع هذه غيره؟ قال: "نعم. قال: ماذا؟ قال: ﴿**المص**﴾ [الأعراف: 1]"، قال: هذه أثقل وأطول: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون؛ فهذه إحدى وستون ومئة. هل مع هذا يا مُحَمَّد غيره؟

([1]) الفرقة البهائية: حركة باطنية نشأت عام 1844م، حاولت هدم الإسلام وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديماً وحديثاً، ويقدّسون الرقم (19)، ويؤولون القرآن، وموطنها الأول إيران، انظر: **موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام** (8/ 48)، (9/ 436)، **والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، مانع بن حماد الجهني (411-425).

([2]) رشاد خليفه: مصريّ، هاجر إلى الولايات المتحدة، وتخصّص في علم الكيمياء الحيوية، استخرج علاقة مزعومة بين الرقم (19) والقران، وقام بتأليف العديد من الكتب، ثمّ جعله في كتاب بعنوان: (**معجزة القرآن الكريم**). انظر: عسيري، أحمد بن علي الزاملي، **منهج الشيخ عبدالرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين** (350).

([3]) وفي رواية البيضاوي: (فتبسم رسول الله ﷺ)، شيرازي، أبو سعيد، **تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (1/ 34).

قال: "نعم. قال: ماذا؟ قال: ﴿الر﴾ [يوسف: 1]". قال: هذه- والله- أثقل وأطول: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مئتان؛ فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة. فقال: هل مع هذا غيره يا مُحَمَّد؟ قال: "نعم، ﴿المر﴾ [الرعد: 1]"، قال: فهذه أثقل- والله- وأطول: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مئتان؛ فهذه أحدى وسبعون ومئتا سنة. ثم قال: لقد لُبِّس علينا أمرك يا مُحَمَّد، حتى ما تُدرَى أقليلاً أُعطيت أم كثيراً، ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ومن معه من الأحبار: ما يدريكم لعله قد جُمع لمحمد هذا كله إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومئة، ومئتان وإحدى وثلاثون، ومئتان وإحدى وسبعون؛ فذلك سبع مئة وأربع وثلاثون.[1]

وهذا الاستدلال باطل من وجوه؛ هي:

أ- أن إسناده ضعيف- وسيأتي تفصيله- وهو ممن لا يحتج به إذا انفرد.

ب- وأما على فرض صحته، ففيه جواب على مدى اعتبار حروف (الجمّل)، وأنها اصطلاح لملوك مدين وهم: (أبجد) و(هوز)...، وفيه دلالة أن من جعل حروفها أعداداً ليس من وضع اللغة، وإنما اصطلاحي، ومن الآثار ما يشعر أنه من عُرف لليهود... ذكر آل سلمان: "فهذا دليل أن ذلك كان من عرف اليهود واصطلاحهم، ومن المعلوم قطعاً أنه لم يكن ذلك من لغة العرب، كما يعلم قطعاً أن العرب لم تعارض القرآن، فما هو إلا من علم اليهود ومن أوضاع أسحارهم...".[2]

ت- اختلاف أهل الغرب وأهل الشرق في دلالات هذه الحروف الرقمية؛ فإنّ السين تعدّ ثلاث مئة عند الأولين، وستون عند الآخرين، والصاد ستون عند أهل الغرب، وتسعون عند أهل الشرق، وأما أهل اللغة العربية فمعلوم أنهم لا يعرفون ذلك.

ث- فإن سأل سائل: لماذا أقر رسول الله ﷺ حُيي بن أخطب على تفسير تلك الحروف بالأعداد!!

فالجواب: إن الرسول ﷺ عُرف بمخالفته لليهود في أفعالهم وأقوالهم؛ وأن سكوته عن إنكار هذا الأمر كسكوته عن الإنكار إذا مروا إلى كنائسهم، كما أن تلك الحروف ليست موضوعة للأعداد في العربية، وقد عُلم أن القرآن عربيّ فلا يُفسَّر العربي إلا بالأوضاع العربية لا بالأوضاع العبرانية.

ذكر ابن كثير: "وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا- أي حروف الجمّل- دَالَّةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُدَدِ، وَأَنَّهُ يُسْتَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ أَوْقَاتُ الْحَوَادِثِ وَالْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، فَقَدِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَطَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ،

([1]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل **تفسير القرآن العظيم (1/ 161)**، طبري، مُحَمَّد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن** (1/ 217).
([2]) آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، **العراق في أحاديث وآثار الفتن** (2/ 603).

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَدَلُّ عَلَى بُطْلَانِ هَذَا الْمَسْلَكِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِهِ عَلَى صِحَّتِهِ"[1]، وذكر الشوكاني: "فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْفَوَاتِحِ شَيْءٌ يَصْلُحُ لِلتَّمَسُّكِ بِهِ؟ قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَكَلَّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهَا، بَلْ غَايَةُ مَا ثَبَتَ عَنْهُ هُوَ مُجَرَّدُ عَدَدِ حُرُوفِهَا، فَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» وَلَهُ طُرُقٌ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ."[2]

وعلى ضوء ذلك، ذكر الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون: "من ذا الذى قال إن القرآن يخضع فى تفسيره وفهم معانيه إلى حساب الجُمَّل؟. اللهم إنّ هذا لا يصدر إلا عن مُخرِّف أو زنديق، يريد أن يضلّ الناس ويحتال على سلب أموالهم بدعوى يدّعيها على كتاب الله!"[3].

أما في عصرنا، فإن أبرز الباحثين في هذا القول هم أصحاب القول بالإعجاز العددي، حيث أدخلوه في الحسابات القرآنية، واعتمدوه في الوصول إلى بعض الأعداد التي لها دلالاتها في نظرهم، ويعتقد بعضهم جزافاً أنه ربما كان لهذا الحساب أصل ديني! مدعاتهم في رجحان ذلك، بأن الرسول ﷺ، أقرّ مجموعة من رؤساء اليهود في استنباط عمر هذه الأمة في الحروف المقطعة كما مرّ في الحديث، وأنه لم تقم الحجة على نفي أو إثبات هذه النظرية، ولكن-كما ذكروا- يمكن الاستقراء بأن القرآن الكريم ادّخر بعض الأسرار في كلمات أو جمل.

ذكر جرار: وقد يكون لهذا الحساب أساس ديني، فرجال الدين اليهودي يستخدمونه كثيرا، وقد استخدمه المسلمون في التأريخ، وبالغت المتصوفة باستخدامه، وهو حساب استخدم في اللغات السامية، ومن هنا نجد أن الأبجدية العبرية تتطابق مع الأبجدية العربية![4] مع العلم أن حروف العربية تزيد ستة أحرف عن الحروف العبرية وهي: (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ).

ثالثاً: أمثلة على حساب الجمّل في نبوءة زوال إسرائيل!

ذكر جرار: القيمة العددية لعبارة (بنو إسرائيل) وفق حساب الجمل هي (361) وأن القيمة العددية لعبارة (المسجد الأقصا) فهي أيضاً: (361)، وذكر في سياق الكلام كلاً من القيمة العددية لكلمة السبت والمسجد الحرام، وفناء بني إسرائيل في المرة الأولى عام 586 ق.م، وتدمير الهيكل والقدس، ثم قيام الكيان اليهودي في العصر الحديث على مرحلتين: 1948م و1967م، وربط ذلك كله بالرقم (19) ومضاعفاته، ومرات دوران

([1]) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل **تفسير القرآن العظيم** (1/ 161).

([2]) الشوكاني، مُحمَّد بن علي، **فتح القدير** (1/ 37).

([3]) الذهبي، مُحمَّد السيد، **التفسير والمفسرون** (2/ 181).

([4]) انظر: جرار، بسام، **إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن** (51).

الشمس والأرض، وتكرار الرقم (11) بشكل لافت للنظر، وخلص إلى الرقم (2958)، حيث ذكر بأنه عدد السنين من بداية العام 935 ق.م، إلى نهاية عام 2022م[1]، وذكر: الأمر الغريب والمدهش أن هذا العدد (2958) هو مجموع قيم العبارات والكلمات التي تم الحديث عنها في هذه الخلاصة بعد إضافة (الإسراء)، وقد شملت: (المسجد الحرام، المسجد الأقصا، بنوا إسرئيل، بني إسرئيل، بني إسرائيل، إسرئيل، السبت، الإسراء) [2]، ثم ذكر: تلك الملاحظات جاءت لتؤكد صحة مسلكنا في البحث عن قانون جامع يحكم التاريخ، إنه أمر عجيب! ثم تساءل: هل يمكن أن تكون هذه القوانين مصاغة في صورة كلمات وجمل هي رموز و(شيفرات)؟[3].

([1]) انظر: جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (93-97).

([2]) انظر: جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (103).

([3]) انظر: جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022** (106).

المبحث الثالث

نبوءات أخرى

أولاً: الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس

داعية فلسطيني، ومجاهد وشهيد 1936هـ-2004م، من أعلام الدعوة الإسلامية، ومؤسس ورئيس أكبر جامعة إسلامية بها المجمع الإسلامي في غزة، ومؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس، وزعيمها حتى وفاته[1]، ذكر في مقابلة شخصية نشرتها محطة الجزيرة الفضائية[2]:

أنا أقول إن إسرائيل قامت على الظلم والاغتصاب، وكل كيان يقوم على الظلم والاغتصاب فإن مصيره الدمار، حتى لو كان يملك القوة التي تؤهله على البقاء، فإن أية قوة في العالم لا تدوم لأحد، فإن حال الدول كحال الطفل، يمرّ في مرحلة الطفولة ثم المراهقة ثم الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة، وهكذا تنتهي حياته، وهكذا الدول، فإسرائيل بائدة إن شاء الله، في الربع الأول من القرن القادم، وبالتحديد في عام 2027م، فإن (دولة) إسرائيل ستكون غير موجودة، لأننا نؤمن بالقرآن، وقد حدثنا بأن الأجيال تتغير كل (40) سنة، ففي الأربعين الأولى كانت عندنا نكبة، وفي الأربعين الثانية كانت عندنا انتفاضة، وفي الأربعين الثالثة ستكون النهاية إن شاء الله، وهذا استشفاف قرآني، فالله تعالى قضى على بني إسرائيل التيه أربعين عاماً، من أجل أن يتغير الجيل المريض الفاسد المرهق، ويظهر جيل آخر جديد، وكذلك جيل النكبة (ويقصد عام 1948م) قد مضى ليظهر جيل الانتفاضة (التي بدأت عام 1988م)، وهي فترة دموية صعبة، ازدحمت بالقتل والقنابل، والمواجهات والشهداء والتضحيات، وتستمر هذه الفترة وستمضي إلى أن تنتهي ليظهر بعدها جيل التحرير عام 2027م.

وعن سؤال عن مستقبل الصراع بين المسلمين واليهود في الأرض المقدسة، ذكر الشيخ أحمد ياسين: الطريق صعب وشاق، ويتطلب جهاد وصبر، ولكن المستقبل والنصر سيكون لنا إن شاء الله، قادم لا محالة، وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد، رغم اليأس الذي يسيطر على الناس، فلا قيمة لليأس إلا عند الناس الذين لا

---

(1) قامت طائرات عسكرية تابعة للجيش الإسرائيلي، بإطلاق (3) صواريخ تجاه الشيخ أحمد ياسين، بينما كان عائداً من أداء صلاة الفجر، بعملية أشرف عليها رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون، وهو في طريقه مدفوعاً على كرسيه المتحرك، فسقط شهيداً على الفور، وجرح اثنان من أبنائه، واستشهد سبعه من مرافقيه. موقع قناة الجزيرة الفضائية، موضوع بعنوان: الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس www.aljazeera.net/news/arabic/2001/12/6

(2) محطة الجزيرة الفضائية، مقابلة شخصية بعنوان: **زوال إسرائيل**-أحمد ياسين، برنامج شاهد على العصر https://www.youtube.com/results?search_query=

يقودون المركب، بدليل قولة تعالى: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الحشر: 2].

وهذا هو واقع الآن، فاليهود يتباهون بقوتهم، والمسلمون يتساءلون من ضعف: هل من الممكن أن نسترجع أرضنا من اليهود؟ وهم أقوياء متمكنون بشتى أنواع الأسلحة! ويمتلكون أكبر ترسانة دولية، ولسان حالهم يقول: لن يقدر علينا أحد، بينما المسلمون يشككون في أنفسهم وقدراتهم وطاقاتهم، خائفون من ضعفهم.

ثانياً: باري شيمش، مؤلف كتاب (سقوط إسرائيل)

(باري شيمش- Bari Shemish)، جندي حرب إسرائيلي وطني متمرس، ومؤلف كتاب "سقوط إسرائيل"، يفخر في وثيقة يعرضها (شاهد من أهلها) بكونه يهودياً إسرائيلياً، خاطر بحياته في المعارك كجندي مخلص، ويقول بأنه لا يرغب في سقوط إسرائيل، وإن ما يفعله هو توجيه لإحداث التغيير المطلوب قبل أن يصبح عنوان الكتاب حقيقة واقعة.[1]

وذكر: أن الخطر الجدي المحدق بإسرائيل لا يأتي من جيرانها العرب، وإنما من الفساد الداخلي الذي تعيشه، وكأن أعداءها العرب قد دبّروا مؤامرة محكمة لتحطيم كيانهم عن طريق زرع جواسيس في الفئات الحاكمة.

كما ذكر أن إسرائيل في طريقها إلى الانهيار التام، لأن الإسرائيليين المتربعين على عرش السلطة يجعلون حياة الآخرين مزرية إلى درجة لا تطاق، وفي هذا الكتاب شواهد كثيرة توثق حالة الفساد والجريمة المنتشرتين في الدولة اليهودية، من دون بارقة أمل في إحداث إصلاح ناشئ من العدم، وأن شعب إسرائيل كله، جاؤوا لفيفاً من شتى أنحاء العالم، ولا يرون في الوطن المزعوم سوى بورصة أو سوق احتكاري إستثماري، وأن ديون هذه الدولة الصغيرة الحديثة، تراكمت حتى وصلت (66) بليون دولار، وبهذا يصل معدل الدّين المترتب على الفرد الواحد في هذا الكيان إلى خمسة عشر ألف دولار، وهو أعلى معدل في العالم كله، ويوجد حالياً لدى الشرطة الإسرائيلية مليون وثمانمائة ألف ملف خاص بمواطنين، منها خمسمائة وستون ألف مذكرة حول ديون معدومة، كل هذا في تجمع سكاني صغير لا يتجاوز عدد سكانه خمسة مليون فقط.[2]

ويهدف الكتاب- كما ذكر في المقدمة- إلى رسم صورة عن الفساد الأخلاقي الخطير الذي تعيشة المؤسسة السياسية للدولة اليهودية، وسيكون من المناسب تماماً أن يجد القارئ نفسه يستمتع بشعور ينمّ عن السخط والنقمة[3]، يذكر المؤلف بأن اللوم كله يقع على قادة إسرائيل الذين يصفهم بأنهم أوغاد فاسدون، أوقعوا شعب إسرائيل ضحية، ويسوق لذلك شواهد وحقائق كثيرة، أبرزها:

---

(1) شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (5).

(2) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل**، (5-14).

(3) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (48).

أ- إن حياة الإسرائيليين وسط الانحلال الأخلاقي هي بالنسبة لهم حياة بعيدة جداً عن المتعة والراحة، وأن معظم الإسرائيليين يعيشون حياة بائسة.[1]

ب- إن أصحاب المناصب في السياسية والاقتصاد، قد جعلا النظام الصحي الإسرائيلي مقطّع الأوصال، ومياهها موبوءة، ومدارسها بالكاد تمارس وظائفها، وجيشها منحلاً أخلاقياً، وسياستها الدبلوماسية زائفة وخادعة.[2]

ت- إن الرخاء والديمقراطية التي يدّعيها الإسرائيليون داخل الكيان، ما هي إلا مهزلة ووهم، يدلّ على ذلك الفساد المالي والسياسي الذي تحياه الدولة اليهودية.[3]

ث- أن (400) ألف إسرائيلي، ثم وصل الرقم إلى (700) ألفا، قد غادروا الوطن القومي و(أرض الميعاد!) في الأعوام الخمسة عشر الأخيرة، وهو رقم يعادل من (10-18%) من عدد السكان.[4]

ج- يضمن النظام الانتخابي في دولة هذا الكيان، بقاء السياسيين في السلطة بشكل دائم في معظم الأحيان، بغضّ النظر عن الفضيحة ودرجتها، وذلك بسبب وجود ثمانية عشر حزباً يتقاسمون مائة وعشرون مقعداً في الكنيست، حيث تشكل الأحزاب القوية ائتلافات مصلحية، دائمة أو مؤقتة، مع الأحزاب الضعيفة، فلا يهم مقدار الأموال التي يسرقها السياسيون من الشعب.[5]

ح- يقدم الكاتب أدلة دامغة على جرائم ارتكبتها شريحة عريضة من مسؤولين سياسيين، بأنهم غير مؤهلين، وذكر تفصيلاً عن وزير الداخلية الإسرائيلي (أرييه درعي- Area Derei)[6]، فقد كان هناك تحقيق يجري معه حول اختلاس مبلغ خمسين مليون دولار أمريكي من الأموال العامة خلال عام ونصف، وفاحت رائحة الجريمة والاختلاس التي زكمت الأنوف، ومع ذلك، فإنه ما يزال يتبوأ منصبه في أعلى هيئة تشريعية في دولة الاحتلال.[7]

خ- إن إسرائيل (دولة) بوليسية، لأن جهاز الشرطة هو الذي يشرف على تنفيذ قرارات الدولة، ويبثّ الرعب في أنحاء البلاد.[8]

([1]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (54)، (264-269).

([2]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (189-203).

([3]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (99-117)، (132-157)، (238).

([4]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (246-249).

([5]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (19-35)، (68-71).

([6]) سياسي إسرائيلي معاصر، زعيم حركة شاس، وعضو في الكنيست، تقلد مناصب وزارية، تورط في فضيحة فساد وقضى سنتين في السجن. انظر: موقع المعرفة https://www.marefa.org

([7]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (17، 42، 56).

([8]) شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (64).

د- أن المساعدات الخارجيه والهبات المختلفة المنصبّة على هذا الكيان من مختلف دول العالم، تعمل على دعم نظام سياسي غارق في الفساد، وتحويل الإسرائيليين إلى مجرّد متسوّلين، يعيشون عالة على شعوب العالم، ولا تعتمد أجيالها على أنفسهم من أجل البقاء، ثم ذكر الكاتب: يجب قطع المدد الأمريكي للحفاظ على شرف الدولة والمواطنين الإسرائيليين، حتى أنه قال: "الرجاء قطع كل المساعدات، إنها تسهم في انهيار إسرائيل".[1]

ذ- لا شك أن انحطاط إسرائيل تدريجيا يملأ قلب مؤلف هذا الكتاب حزناً ولوعة، فالأساس اللاأخلاقي الذي تقوم عليه السلطة الإسرائيلية يقود إلى زوال دولة، هي بالتالي وطنه.

ر- ثم يذكر مقدم الكتاب، أن هذه الدوافع وغيرها، وبالرغم من أنها إرهاصات على ضعف الدولة اليهودية، أو للدلالة على أنها آيلة للسقوط، لكنّ إرهاصات سقوطها شيء آخر غير ما يعرضه المؤلف، ربما يقصد مجموعة من الدواعي الدينية التي قضى الله بها على بني إسرائيل في التوراة، ثم ذكرت في أول سورة الإسراء.

ثالثاً: حركة ناطوري كارتا اليهودية وزوال إسرائيل

حاخامات جماعة (ناطوري كارتا- Neturei Karta)[2]، وفي مقابلة شخصية أجراها الإعلامي أحمد منصور، مقدم برنامج (بلا حدود) في قناة الجزيرة، مع الحاخام (إسرائيل ديفد وايز- David Wize) الناطق الرسمي باسم هذه الجماعة، قال: "لدينا قناعات توراتية بأن إسرائيل سوف تزول وتنتهي خلال سنوات قليلة"، وقد جرى في المقابلة الحوار الآتي[3]:

أحمد منصور: أنتم تطالبون بتفكيك (دولة) إسرائيل واعتبارها كياناً مصطنعاً، ومع ذلك لا تقومون بأي خطوات عملية في ذلك.

ديفد وايز: الله هو الذي يحكم العالم، وأن كل شيء نقوم به، هو أن نصلي وندعو الله أن يفكك هذه الدولة، كما حدث مع الاتحاد السوفياتي، الذي تفكك بين ليلة وضحاها من دون معاناة.

أحمد منصور: هل دولة تملك القنابل النووية والقوة العسكرية الهائلة، وتجد دعماً من الولايات المتحدة ومعظم دول العالم، ستسقط وتنهار بالدعاء والصلوات من اليهود؟

ديفد وايز: نحن لسنا أنبياء لنعلم كيف سينتهي هذا الأمر.

([1]) انظر: شميش، باري، **سقوط إسرائيل** (212-220)، (379).

([2]) حركة يهودية أرثوذكسية، ترفض الصهيونية بكل أشكالها، وتعارض وجود دولة إسرائيل، وهم موجودون في القدس ولندن ونيويورك، وتعني باللغة الآرامية حراس المدينة، أسست عام 1935م، ويعتبرون إسرائيل دولة ضد الله والإنسان، وأن قيامها مناف للتوراة. انظر موقع الجزيرة، موضوع بعنوان: منظمة ناطوري كارتا اليهودية http://www.aljazeera.net/news/international/2009/7/5

([3]) موقع محطة الجزيرة الفضائية، برنامج بلا حدود، موضوع بعنوان: **ناطوري كارتا ومستقبل إسرائيل** http://www.aljazeera.net/programs/withoutbounds

أحمد منصور: الحاخام (إسرائيل ليرش- Israel Lerish) أحد حاخامات ناطوري كارتا قال في تصريحات سابقة: "نحن لدينا قناعات بأن إسرائيل سوف تزول وتنتهي خلال سنوات قليلة، ولدينا نبوءات على ذلك" هل يمكن أن تخبرنا عن هذه النبوءات وتوقعكم لكيفية زوال إسرائيل؟.

ديفد وايز: إن التوراة توضح بشكل كامل، أن أي شيء ضد إرادة الله لن يكتب له النجاح، فقد قامت حروب وعقدت اتفاقيات كثيرة، وفي كل مرة قالوا سوف نسيطر على الأمر، ثم قالوا نبني الجدار ونسيطر على الأمر! لماذا بعد ستين عاماً لم ينجحوا؟ لأن الله لن يسمح لهم بأن ينجحوا، ولأنه محظور علينا شرعاً أن نبني دولة، وممنوع لليهود أن يقيموا دولة.

أحمد منصور: لماذا محظور عليكم أنتم اليهود أن تقيموا دولة؟

ديفد وايز: من يقرأ كلام الأنبياء، حزقيال وجرمايا، كلهم أوضحوا بأن تدمير المعبد لم يكن بسبب ضعفنا الجسدي أو المادي، لقد تم تدمير المعبد بسبب خطيئاتنا ونقصنا وعيوبنا الروحية، لذلك قال لنا الله: أنتم كشعب سوف تعيشون في المنفى باعتبارها عقوبة عليكم من الله، وكل من يحاول إقامة دولة فإن هؤلاء لا يفهمون ما هي اليهودية، فالوضع بعد ستين عاماً يزداد سوءاً، حتى بعد أن بنو الجدران لم يتوصلوا إلى نتيجة، ونستطيع من خلال جمع شعوب العالم إنهاء هذه الدولة، نحن فقط نصلي إلى الله بكل صدق وإخلاص بأن يحدث هذا في القريب العاجل.

رابعاً: د. مصطفى محمود وكتابه: (إسرائيل البداية والنهاية)

الدكتور مصطفى محمود، هو مفكر وعالم مصري، وكاتب وأديب وفنان، وُلِدَ عام 1921م، درس الطب واحترف به، متخصصاً في جراحة المخ والأعصاب، ثم تفرغ للكتابة واحترف بها، وكان نابغاً في الأدب والبلاغة، وله (89) مؤلفاً في مختلف العلوم والفلسفة، منها (25) مؤلفاً في الإسلاميات، ويتميز أسلوبه بالقوة والجاذبية والبساطة، واشتهر بهجومه المتواصل على الصهيونية، ورأيه بأن اليهود وراء هذه الشبكة الأخطبوطية للفساد والإفساد في العالم كله، ما تسبب في لزوم وجود حارس على باب منزله منذ سنوات، بتكليف من وزارة الداخلية المصرية، لحراسته بعد التهديدات التي تلقاها[1].

ومن أبرز مؤلفات الدكتور مصطفى محمود كتاب **(إسرائيل البداية والنهاية)**، الذي استعرض فيه إرهاصات ضعف الكيان الإسرائيلي، فالمواجهة اليوم مع هذا العدو كما يقول، ليست بصدد أرض فقط، بل هي بشأن

([1]) وقدم (400) حلقة من برنامجه التلفزيوني الشهير (العلم والإيمان)، وقام بإنشاء مسجد في القاهرة باسمه، ومستشفى ومركز للعيون، ومراكز طبية أخرى، إضافة إلى مكتبة، ومتحف للجيولوجيا، وآخر للأحياء المائية، ومركز فلكي. موقع اليوم السابع، موضوع بعنوان: **معلومات عن الدكتور مصطفي محمود السيرة الذاتية**
alyuom7.blogspot.com/2011/11/blog-post_3765.html
موقع المنتدى العربي، موضوع بعنوان: **السيرة الذاتية لمصطفى محمود كما كتبها بنفسه**
https://hrdiscussion.com/hr7249.html

دين وكرامة، ومستقبل وبقاء أو عدم بقاء، في مواجهة أمة لها بصمة عريضة في التاريخ، والثلاثة عشر مليون يهودي لن يرجحوا في الميزان كفة ألف مليون مسلم، والترسانة النووية لن تصنع انتصارا لإسرائيل، وهي لم تنجد روسيا حينما انهارت.[1]

وذكر: إن السلاح وحده لا يستطيع أن يصنع نصراً حضارياً، وهل صنع التتار شيئاً وهم الذين انتصروا على المسلمين ثم دخلوا في الإسلام رغم انتصارهم، إن الحكاية أكبر من الذين خططوا لها، فنحن ما زلنا مخزن الوقود في العالم رغم الاستنزاف الحاصل، ونحن رمز لحضارة إيمانية عريقة بين حضارات وثنية وعلمانية ومادية تملأ هذه الدنيا بضجيجها، ونحن رأسمال عملاق- وإن كان مودعاً في المصارف اليهودية- ولكننا نستطيع أن نسحب دولاراتنا ونستثمرها في مستقبلنا ونصنع أمننا ونبني دفاعاتنا، ونستطيع أن نكون تكتلاً عربياً له وزنه وخطورته.[2]

هناك حدود للظلم والبغي والصلف، وهناك حدود للتنازلات العربية، فليس وراء العرب الآن إلا الصحراء والشتات، وخيار القوة إذا كان خياراً صعباً على العرب، فهو خيار أصعب على اليهود.

ورغم التهديدات الإسرائيلية والضجة التي تثيرها إسرائيل حول قوتها العسكرية، فما زالت إسرائيل أضعف بكثير من الهالة التي تصنعها لنفسها، وتلويحها بالحرب هو محاولة فجّة للإرهاب وللضغط الدبلوماسي على أعصاب المفاوض العربي.

ذكر المؤلف: فإسرائيل هي الأمر العارض العابر في منطقتنا وعمرها في بلادنا العربية بضع سنين، وهزيمة واحدة كافية لخلع إسرائيل من مكانها إلى الأبد، وأما نحن ففي هذه الأرض من آلاف السنين، وقدرنا أن نظل رغم حصل فيها ويحصل... إننا نلعب على أرضنا، والمستقبل مستقبلنا مهما طال الصراع، أما مصير الدخلاء الغاصبين فهو الرحيل إلى بلادهم طال الزمن أو قصر، فأين الفرس وأين الرومان وأين كسرى وقيصر؟![3]

لقد ساهم ضعف العرب وانقسامهم وتشرذمهم في تضخم هذا القزم وعملقته، وصياحه وصراخه وانتفاضته، وكأنه شمشون، وهو في حقيقته أهون شأناً مما يبدو بكثير... فهل تدرك إسرائيل ضعفها وخواءها من الداخل؟ وهل تدرك انقسامها؟ وهل يدرك الجيش الإسرائيلي عجزه عن المواجهة رجلاً لرجل؟

---

(1) انظر: محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (8).

(2) انظر: محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (15).

(3) محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (18).

أجاب المؤلف: إن البعض في داخل إسرائيل يدرك ذلك، ولكن الغوغاء في إسرائيل يتصورون أنهم حكموا العالم، وأنهم يقودون التاريخ، وأنهم عاصفة لا تقهر، وأنهم المختارون حقاً وصدقاً من الله للسيادة على الجنس البشري، وهذا الصلف الأعمى هو الذي سيورد إسرائيل حتفها.[1]

وذكر: إن أمريكا لن تلبث طويلاً على القمة، فالكتلة الأوروبية تتحرك بسرعة لتزاحمها، وآسيا تنهض، والعملاق الصيني ينتفض، وفقراء العالم يتكتلون في مواجهة الاستغلال الأمريكي المكتسح، وتشويه الإسلام في كل مكان قد افتضح، وظهرت خفاياه، وظهرت القوى التي تحركه... بل إن أمريكا ذاتها تحمل في داخلها تناقضات مهلكة، ولهذا أتصور أن إيقاع الحوادث سوف يتصارع، وأن السنوات وربما الشهور القادمة، سوف تكون شهور مفاجآت![2].

وفي الجانب الآخر، في الدائرة الأوسع، هناك كتلة بشرية من مئات الملايين الذين يشكلون العالم العربي والإسلامي، وهم يمتلكون طاقات عظيمة، ومساحات متنوعة من الأراضي الممتدة على قارات العالم، وقدرات علمية، ومدّخرات من الكنوز المعدنية والنفطية، ناهيك عن حضارة عريقة متواصلة عبر قرون، حتما سيكون لها حياة شبابية جديدة، وظهور جديد، ورد فعل وتصور واضح، وتحرك سريع، ومنظور للمستقبل وللحوادث.

والله لم يخلق الخلق ليتركهم سدى، وقد أقام اليهود من قبلُ دولاً وظلموا وأفسدوا ودمروا، ودمر الله عليهم بنيانهم، وهذا بنيانهم الجديد وقد أتى بظلم جديد، والظلم هذه المرة أكبر، والإفساد أكبر، والنهاية مثل سابقاتها.

ذكر المؤلف: ويختصر القرآن ما سوف يحدث لليهود في الأرض المباركة في غموض شديد، مؤداه أنه ستكون هناك هزيمة لإسرائيل، وسوف يدخل المسلمون القدس كما دخلوها أول مرة، وسوف يدمّرون كل ما أنشأت إسرائيل وما عمّرت، يتساءل الكاتب: هل ستبني الهيكل ويهدمه المسلمون؟؟ يقول: لا نعلم؟ فالنص القرآني لا يذكر متى ولا كيف؟ ولا ماذا سيدمر ما بنت إسرائيل وأنشأت، ولا بأي سلاح ستحاربنا، وبأي سلاح سوف نغلبها![3]

ثم يقول: متى تحدث تلك المعركة الكبرى؟ لا بدّ أن تحدث في السنوات القليلة القادمة، في أوج الانحياز الأمريكي وفي أوج التأييد الغربي، وفي زخم الاحتشاد الصهيوني، وقت الذروة، ووقت العلو الكبير، وفي زمن

([1]) محمود، مصطفى، إسرائيل البداية والنهاية (22).

([2]) محمود، مصطفى، إسرائيل البداية والنهاية (23).

([3]) محمود، مصطفى، إسرائيل البداية والنهاية (101).

سريع التحولات عنيف التقلبات، ونحن بصدد المواجهة، والمعركة الكبرى على الأبواب، والسنوات القليلة القادمة هي المدى المحتمل لتلك المعركة، والألفية الثانية هي الميقات[1].

وفي التوراة والإنجيل، وفي رؤى القديسين، إشارات إلى هذه المعركة الهائلة التي يسمونها معركة هرمجدون، تجري على أرض فلسطين، وأطرافها المسلمون والنصارى واليهود، ويتصور كل فريق ان المعركة سوف تنتهي لصالحه، وكل طرف يحلم بأن تتم التصفية الإلهية لحسابه! وتظل هرمجدون أسطورة، وأن الأرض حبلى بالكوارث، والله وحده يعلم كيف تنتهي، ومتى وأين، ولحساب من يكون هذا النصر؟ والكلام الفصل في الرد على هذه الأسئلة، والجواب على هذه التساؤلات، هو قول الله تعالى: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ**﴾ [الحج: 40].

خامساً: عبد الوهاب المسيري: يتوقع "نهاية قريبة" لإسرائيل[2]

الدكتور عبدالوهاب المسيري، كاتب مصري، ومؤلف موسوعة (**اليهود واليهودية والصهيونية**) وقد قضى نحو ربع قرن في إعدادها كما ذكر في مقدمة الكتاب، وصرّح في تقرير نشرته وكالة رويترز[3] أنه يتوقع "نهاية قريبة" للدولة العبرية، ويُعِدُّ حالياً موسوعة عنوانها (الصهيونية وإسرائيل) تتناول دولة الكيان من الداخل، مجتمعاً ومؤسسات، بهدف تعميق فهم هذا الكيان الاستيطاني، حتى تتحسن كفاءتنا في المواجهة معه كدولة وظيفية ينتهي بقاؤها آجلاً أم عاجلاً، ربما في خمسين عاماً، وأوضح أن الطبيعة الوظيفية لإسرائيل، تعني أن القوى الاستعمارية اصطنعتها وأنشأتها للقيام بوظائف ومهام تترفع عن القيام بها مباشرة، وهي مشروع استعماري لا علاقة له باليهودية.

ونفى المسيري أن يكون لهذا التوقع علاقة بالتشاؤم أو التفاؤل، مُشدّداً على أنه يقرأ معطيات وحقائق في سياقها الموضوعي ويستخلص ما يمكن أن تسفر عنه من نتائج، وذكر أن الباحثين الاسرائيليين أنفسهم لا ينكرون هذا الخوف، حتى أصبحت كمية الكتابات عن نهاية إسرائيل كثيرة، مضيفاً أن هذا الهاجس لازم مؤسسي إسرائيل، ومنهم (ديفيد بن جوريون- David Ben Gorion) أول رئيس للوزراء.

وأضاف المسيري: أنه قابل في الولايات المتحدة في منتصف الستينيات يهودياً عراقياً هاجر إلى إسرائيل ومنها إلى أمريكا وصارحه بأن "الاشكيناز (اليهود الغربيين) محتفظون بعناوين ذويهم في الخارج، وبعد توالي الهزائم زاد عدد من يطلبون الحصول على جوازات سفر غربية بالتزامن مع الهجرة العكسية من إسرائيل للخارج.

([1]) محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية** (103).

([2]) أنظر: مسيري، عبدالوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (16/ 441)، (19/ 8)، (19/ 420)، (2/ 162)، (2/ 218)، (3/ 38). ترقيم الشاملة آليا.

([3]) تقرير نشرته وكالة رويترز بعنوان: **عبد الوهاب المسيري يتوقع "نهاية قريبة" لإسرائيل**، يوم (15) أيار مايو 2008م، https://ara.reuters.com/article/idARAOLR51153320080515

فالعدو الآن في حالة تقهقر، بعد أن لحقت به هزائم عسكرية متوالية منذ حرب الاستنزاف في نهاية الستينيات، وحرب 1973م، والانتفاضة الأولى 1987م، والانسحاب من جنوب لبنان، والانتفاضة الثانية 2000، والحرب السادسة- في إشارة إلى الحرب التي شنتها إسرائيل في صيف 2006م، ضد جماعة حزب الله في لبنان، والتي أثبتت أن الجيش الإسرائيلي يُمكن أن "يُهزم".

وأضاف قائلاً: "هزيمة إسرائيل في الحرب مع حزب الله، ساهمت فيها المقاومة الفلسطينية التي أتعبت إسرائيل بوسائل، رغم بدائيتها لم تجد إسرائيل وسيلة لصدّها، حتى اقترح بعض الإسرائيليين أن يمدّوا الفلسطينيين بصواريخ سكود! حتى يمكنهم التعامل معها! ما يدللّ على أن المؤسسة العسكرية مرهقة[1].

ومضى قائلاً: في حروب التحرير لا يمكن هزيمة العدو، وإنما إرهاقه حتى يُسَلم بالأمر الواقع، مضيفاً أن المقاومة في فيتنام لم تهزم الجيش الأمريكي، وإنما أرهقته لدرجة اليأس من تحقيق المخططات الأمريكية، وهو ما فعله المجاهدون الجزائريون على مدي ثماني سنوات (1954-1962م) في حرب تحرير بلدهم من الاستعمار الفرنسي.[2]

وفي حوار مفتوح، استضافت الأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، المفكر المعروف الدكتور عبد الوهاب المسيري، حول قضايا اليهودية والصهيونية، حضر اللقاء نخبة من المفكرين والأكاديميين وإدارة الإعلام، كشف عن انتهائه مؤخراً من إعداد كتاب عن (نهاية إسرائيل)، وفيه يرصد بالتحليل والوثائق نهاية هذا الكيان؛ من خلال أقوال وتصريحات قادته ورموزه، والمشكلات التي تواجه هذه الدولة، وقال"إن نهاية إسرائيل أمر حتمي، لأنها جيب استيطاني، وهناك من يصفني بالجنون عندما أقول بحتمية زوال ونهاية هذا الجيب الاستيطاني! لأن هذا لن ينجح ولن يكتب له البقاء، وتحدى أن تكون (دولة إسرائيل) الاستثناء، أو الانزلاق تحت مقولة: (شعب الله المختار)، وقال: إنني عندما أتحدث عن "نهاية إسرائيل" أعتمد على مصادر إسرائيلية ويهودية وصهيونية، ولا أعتمد على مصادر عربية أو إسلامية.[3]

([1]) مسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (19/ 420) بترقيم الشاملة آليا.

([2]) انظر: مسيري، عبدالوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (2/ 162)، (2/ 218)، (3/ 38) بترقيم الشاملة آليا.

([3]) انظر: جريدة الرياض، موضوع بعنوان: **د. المسيري: هناك من يصفني بالجنون عندما أقول بحتمية زوال ونهاية إسرائيل**، يوم الخميس 7 صفر 1429هـ - 14 فبراير 2008م - العدد 14479

http://www.alriyadh.com/317481

الخاتمة

أهم الأفكار والنتائج:

1. أن ظهور كيان لبني إسرائيل على أرض المسلمين، على شكل دولة قوية ولها نفوذ كبير في العالم، كان بإرادة الله وقضاء رباني، وأن زوال هذا الكيان سيكون كذلك، هذه حقيقة وعقيدة، فمن كان يؤمن بالله فليؤمن بها، ومن كان يكفر بالله، فعليه نتائج كفره.

2. لا عبرة بادعاء اليهود، أنهم ورثوا هذه الأرض باسم الرب في السماء منذ زمن إبراهيم، لأن الأرض يرثها عبادُ الله الصالحون، شرط أن يكونوا مسلمين على منهج الله، من أي قوم كانوا.

3. صدق نبوءة النص القرآني: ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ [الحشر: 14] للدلالة على المستوطنات اليهودية في فلسطين، فهي محصنة بارتفاعها فوق الهضاب والجبال، وأسوارها المحيطة، وأبراج المراقبة، فإذا انكشفوا لحظة واحدة لما استطاعوا البقاء، وهذا حال الكيان كله، لو أحسّ بالخطر الحقيقي، فإنه يتفكك وينهار.

4. صدق نبوءة النص القرآني: ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: 14] ما يدلّ: أن بناء اليهود لهذا الجدار يشكل أكبر نصر للعرب والمسلمين! فلا خطر إطلاقاً من (دولة) أعلنت نفسها حارة أو (غيتو)، وأحاطت شعبها بالجدران والخنادق وحقول الألغام، وستظل خائفة ومترقبة، هرباً ممن يلاحقهم، وهم بذلك كالمجرم، دخل زنزانتة برضاه، وعلى نفقته! ينتظر نهايته!

5. صدق نبوءة النص القرآني: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 4] هذا العلو المذكور، هو الذي نشهده اليوم، في قيام (دولة) إسرائيل، ومن سلطة هذا الكيان، تمتد سيطرة اليهود على مراكز صنع القرار في العالم، وعلى اقتصاده ووسائل الإعلام فيه، ولا بدّ لهذا العلو أن ينتهي على أيدي العباد ذوي البأس الشديد، ليتم الوعد الرباني المذكور، كما جاء في هذه النبوءة، وينتهي وجود هذا الكيان.

6. صدق نبوءة النص القرآني: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: 6] فاليهود اليوم، هم الأكثر أعوانا من أغلب دول العالم، يتمثل في مواقف أمريكا وغيرها، ووسائل الإعلام ومواقع الإنترنت، كلها تدعم المواقف اليهودية، حتى لا تكاد دولة تخلو من بوق إعلامي يحرص على إرضاء اليهود، وبهذا وصل اليهود إلى مستوى أعلى قمة في الهرم، وليس بعد ذلك إلا الانزلاق في الهاوية، وذلك بسبب أن تلك الأبواق المأجورة، تعاملت مع هذا الكيان إرضاء له واتقاء شره، مع إضمار الكراهية الشديدة.

7. ضرورة فهم الخطاب القرآني لليهود في هذا الزمان: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: 7] بأنه تهديد وليس تخيير، فاليهود لا يمكن أن يحسنوا، لأنهم في حالة ضعفهم لم يكونوا ليحسنوا، فكيف إذا كانوا أقوياء وأصحاب نفوذ، فالجزم بأن تكون إساءتهم متحققة، بدليل أنه ذكر أداة الشرط الثانية في

قوله: (فَإِذَا) بعد أن ذكر أداة الشرط الأولى في قوله: (إِنْ) ثم ذكر بعدها جواب الشرط: (لِيَسُـُٔواْ... وَلِيَدۡخُلُواْ... وَلِيُتَبِّرُواْ) فلا بدّ أن يُسلّط عليهم من يدمّر علوهم المادي والمعنوي، ولا بدّ أن تزول دولتهم.

8. التأكيد على تدمير هذا الكيان، بدلالة النص القرآني: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: 7] ومعناه: يدمروا تدميراً، وهي صورة الدمار الذي يطغى على كل شيء، بدلالة النص وتكرار لفظ: (يتبروا... تتبيراً) ما يدلّ على التأكيد.

9. يظهر من استقراءات تفسيرية، نظرية أخرى، بأن الحرب مع اليهود ستكون على مرحلتين: الأولى: تنتهي بانتصار المسلمين على اليهود وتدمير كيانهم واسترداد فلسطين، مع بقاء جماعة منهم على قيد الحياة، والثانية: يتم فيها إبادة اليهود تماماً فلا يبقى منهم أحد، وفي هذه المرحلة يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، كما ورد في الحديث.

10. العبرة في فهم النص القرآني: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾ [الإسراء: 8] بأنه تهديد ووعيد من الله لليهود، وأن الله لهم بالمرصاد، ولا يعجزه القضاء على كيانهم، ليس مرة واحدة فحسب، بل مرات ومرات، وفيه دلالة: أنه لن يُقضى على اليهود نهائيا فيرتاحوا، وإنما يتقلبون في حياة الرخاء والعلو، فإذا ما انتعشوا وعلو علواً كبيراً، جاءتهم الضربة القاضية، ليكون ذلك أنكى وأشد.

11. أعلم الله تعالى: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167] أي على اليهود، فبعث عليهم فرعون مصر، ثم البابليين والروم مرات ومرات، ثم المسلمون زمن الرسول، ثم حكام أوروبا في العصور الوسطى، ثم الألمان في العصر الحديث، وهذه سنة الله لن تتوقف إلى يوم القيامة، وما يحدث اليوم لليهود في فلسطين من سيطرة وعلو، ما هي إلا فترة انتعاش عابرة.

12. أن معنى قول الله تعالى: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ﴾ يفيد القيام فجأة، كالبعث من القبور، لا يتطلب وقتاً طويلاً، ولن يطول بقاؤهم، وقد اقتربت تباشير هذا الخلاص.

13. أعلمنا الله في القرآن، خبر ما قبلنا وما بعدنا، على اعتبار ما كان وما سيكون لليهود، وقال: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [آل عمران: 112] أي فرضت عليهم أينما وجدوا، وهذا قرار رباني لا بد من وقوعه، أما أن ينقلب هذا المفهوم في زماننا! إنما هو لحكمة أرادها الله، فيها عبر ودلالات، لنرى كيف سيقطع الله الحبل بهم، من علوّ شاهق، في لحظة انتعاش وانتفاش، فيخرون من أعلى قمة الهرم.

14. أصح الأقوال في اجتهادات المفكرين المعاصرين، في تفسير مرتي الإفساد والإهلاك الواردة في سورة الإسراء، أن الأولى وقعت باعتراض اليهود للدعوة الإسلامية، بسبب أن النبي محمّد ﷺ عربي، وقد تم القضاء عليهم بالقتل والطرد من الجزيرة العربية كلها إلى بلاد الشام، أما الثانية فهي ما يحدث في فلسطين ونعاصره اليوم.

15. أن الاختلاف الكبير والمتناقض في الآراء، بين المفكرين القدامى والمعاصرين في تحديد مرتي الإفساد والإهلاك، ذلك بسبب أن اليهود قبل قيام دولتهم عام 1948م، كانوا ضعفاء مشردين في أنحاء الأرض، ولا يتوقع أحد بأن تقوم لهم قائمة، بل استحالة ذلك! على عكس ما طرأ من أحداث سريعة في النصف الثاني من القرن الماضي.

16. أن مرّتي إفساد وإهلاك بني إسرائيل، يدل دلالة قاطعة باستدلال تاريخي، بأنها مع أمة الإسلام وحدها، تكون هذه الأمة قوية تنتصر عليهم زمن الرسول، ثم تضعف مع مرور الزمن، ويقوى اليهود عليها ويحتلون المسجد الأقصى، ثم تقوى عليهم المرة الثانية والأخيرة، ويسترجعون القدس، وينتهي كيانهم.

17. أن مستقبل البقاء والثبات على هذه الأرض، لا يرتبط بحسب أو نسب مع الله، سواء كانوا: (شعب الله المختار) أو كانوا: (أبناء الله وأحباؤه)، أو كانوا مسلمين أبعدوا عن دين الله، وإنما الورثة الحقيقيون لهذه الأرض، هم المؤمنون الذين يتبعون منهج الله.

18. أن كيان بني إسرائيل على أرض فلسطين، يسير بخطى سريعة نحو حتفه وهلاكه، وأن اليهود يتجمعون في هذه الأرض من أجل ذبحهم.

19. إن فكرة إصدار قرار (وعد بلفور) وتجمُّع اليهود من شتى البلاد على أرض فلسطين، كان بمثابة خدمة للعرب والمسلمين من حيث لا يدرون! لأن الضربة القاضية لهؤلاء، تتطلب بأن يكونوا في مكان واحد، تحيط به أمواج الجماهير الغاضبة، كمن أوقع نفسه في فخ مكين، وقد اختاروه بأنفسهم! بل استماتوا من أجل تحقيقه!

20. يرى أغلب الناس في العالم اليوم، أن تجمع اليهود من شتى البلاد في فلسطين، هو نكاية بالعرب والمسلمين، لكن الحقيقة غير هذا، إذ كيف تكون فلسطين مذبحا لهؤلاء، وهم منتشرون في كل ناحية في بلاد العالم، ومبعثرون وراء البحار؟

21. أن اليهود، ألزموا العرب والمسلمين، على قبول عقائدهم الدينية الباطلة المحرفة في أوطانهم وفي عقر دارهم، وإقامة دولتهم التوراتية على أرض فلسطين بالقوة والإكراه، والقتل والقهر.

22. تحقيق مقولة أن: (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) دون الانخداع بالشكليات أو معاهدات السلام، وقد أضاعت قرناً من تاريخ هذه الأمة.

23. أن فكرة قيام (دولة) إسرائيل، كانت لأسباب دينية في ظاهرها، وسياسية في حقيقتها، من أجل تحقيق مصالح كبرى دول الاستعمار في الغرب، وهو ما يسمى: (الدولة الحاجزة) أو (رأس الحربة).

24. أن ظهور جهاز عسكري مسلح لحركات إسلامية داخل فلسطين، هو نتيجة خيبة آمال الفلسطينيين من تعليق أسباب النصر على آيدولوجيات قومية وعلمانية ويسارية، أو أفكار مستوردة أخرى.

25. أن سبب بقاء كينونة هذا الكيان في بلاد المسلمين، ليست من ذات نفسه، إنما هو بسبب الإمداد الخارجي، ودعمه المادي والمعنوي، وحماية عدد من الدول الكبرى.

26. ضرورة الاعتبار من قول الله تعالى: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ﴾ [الحشر: 2] وقد خرجوا بالقوة، وبكل معاني الذلّ والانكسار، فالذي أجلى هؤلاء وأزالهم من بلاد المسلمين عام 6هـ- 628م، وهم في أوج قوتهم، فإنه قادرٌ على أن يزيلهم مرة ثانية وثالثة.

27. اتّسام الثورات الشعبية التي اندلعت في فلسطين، على مدى تاريخها المعاصر مع اليهود بالطابع الإسلامي، الذي أسهم بدوره في إسلامية الأرض العربية، وتأجيج المشاعر الدينية ضد المشروع الصهيوني.

28. أن من يتعامل مع اليهود على أساس توجيهات القرآن، فإنه لن ينخدع بهم، وقد عادوا لحرب الأمة الإسلامية في عقر دارها بعد مئات السنين.

29. عدم الركون إلى تفسيرات وفرضيات، أو نظريات كلامية، وكفى، لاسترجاع الأرض المحتلة والخلاص من هذا المحتل، بل إن الطريق لاسترجاع هذه الأرض، طريق طويل وموجع، ويلزمه جهود وتضحيات عظيمة.

30. أن الصراع على أرض فلسطين عقائدي، بين فئتين: فئة مؤمنة وفئة كافرة، لا بسبب جنس أو قومية، ولا بكثرة عدد أو عتاد، وأن النصر سيكون لمن ينصر الله بالتزام تعاليمه.

31. لعل من أهم الأسباب المؤثرة، في هزائم العرب العسكرية المتكررة مع هذا الكيان، هو إقصاء الإسلام عن الواقع والمجتمع، دون اعتبار المقاييس والتوجيهات القرآنية.

32. أن إسلامية قضية فلسطين، أمر قرآني سماوي ثابت، لا يقبل العبث أو التغيير، وهو يخصّ العرب والمسلمين أجمع في هذا العالم، رغم محاولات الصهيونية العالمية منذ مائة عام، حصر هذا الصراع في إطار تنظيمات فلسطينية، سياسية أو قومية أو دينية، عاجزة عن حماية نفسها!

33. هيكل سليمان الذي يدعيه اليهود في القدس، إنه في الحقيقة المسجد الأقصى ذاته، بناه إبراهيم عليه السلام بعد بناء الكعبة بأربعين عاماً، ثم جدد بناءه داود وسليمان عليهما السلام، كمسجد لعبادة الله وتوحيده، ثم جدد بناءه الخليفة عمر بن الخطاب، ثم صار في العصر الحديث، أكذوبة ومدعاة سياسية صهيونية لامتلاك الأرض وما عليها!

34. معاناة الروح البشرية في هذا الكيان، غربة الإنسان والمكان، واختلاف الثقافات وعدم الاندماج مع أمواج متلاطمة بين مئات الملايين من الجماهير العربية والإسلامية الغاضبة، تدفعه إلى التفكير بالرحيل والخروج من هذا الكابوس إلى أي مكان آخر.

35. إحساس اليهودي النفسي في هذا الكيان، بأنه متهم ومطارد باستمرار، ما يصيبه بحالة من الخوف والرعب حتى في داخل نفسه وبيته، ما يدفعه إلى التخلص من هذه الحالة، واختيار مكان آخر في هذا العالم الواسع، والعودة من حيث أتى.

36. أن دولة إسرائيل، تستمد وجودها وبقاءها من الدعم المادي والسياسي العالمي، وفق خطة توازنية منظمة ومبرمجة، وأن مجرد حدوث أي اضطراب أو تغيير طارئ في المعادلة الدولية، فإن هذه الدولة ستجد نفسها ضائعة، ومعلقة بين السماء والطارق.

37. أن ضمان استمرار البقاء لدولة إسرائيل على أرض فلسطين، مرهون بالحماية الدولية الرسمية من دون الشعبية، والشعور بالأمان الذي توفره الأنظمة العربية المحيطة بها من دون الشعوب، هذا يعني: أن أي تغيير قد يطرأ على هذه الأنظمة، فإن هذه الدولة ستكون هائمة فارغة من مواطنيها اليهود بين ليلة وضحاها.

38. أن هذه الدولة، قد تفقد السيطرة على وجودها وبقائها في أية لحظة، وذلك بسبب وجود ما يزيد على ستة ملايين عربي مسلم يتمكنون في أحضانها، وهم قادرون على إخلال توازنها، كالقارب يختل توازنه، فينقلب ويغرق في لحظة.

39. ادعاء اليهود الباطل، أن المسجد الأقصى تم بناؤه على أنقاض الهيكل، مع أن حفريات وزارة الآثار الإسرائيلية المتواصلة منذ احتلال القدس عام 1967م، قد أثبتت تماما عدم وجود أية بقايا أو آثار لهذا الهيكل المزعوم، وهنا يبرز سؤال: لماذا يعرف المسلمون مقدساتهم في كل مكان، والنصارى كذلك، بينما اليهود يبحثون عنها ولا يجدونها!.

40. أن اليهود عموماً، هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وهم قتلة الأنبياء، وهم أهل الفتن والكذب وتحريف الكتب المقدسة، ثم يدّعون بأنهم أبناء الله، وأن الرب أعطاهم الأرض المقدسة دون سواهم من البشر، فأقاموا دولتهم على هذا الادعاء، فهل لها أن تبقى؟

41. أن اليهود قد باؤوا بغضب الله المتراكم بنصوص القرآن، وما سلم من نصوص الكتاب المقدس من التحريف، عقاباً ربانياً إلى قيام الساعة، فكيف يفلح قوم؟ ويبقى لهم دولة آمنة ومستقرة، وغضب الرب ملازم لهم طوال الدهر؟

42. أن استحداث هذا الكيان على أرض فلسطين، عرضي ومؤقت وزائل، بسبب الوجود الأول لأصحاب هذه الأرض الحقيقيين، وتمكنهم فيها قبل دخول داود وسليمان بألف عام، فلا عبرة للقتل والقهر والتشريد في استئصال هذا الشعب من أرضه، بل يزداد هذا الشعب بلادة وصلابة في مقاومة ودحر هذا العارض الزائل.

43. إخفاق وفشل هذه الدولة المحتلة بامتياز، في الإحلال والحلول مكان المحتل، بدليل قيام ثورات شعبية وحركات وتنظيمات وطنية وإسلامية داخل فلسطين، بعد سبعين عاماً من قيام هذا الكيان، ما يدلّ على أن الأجيال التي نشأت أو سوف تنشأ في كنف هذا الكيان، ستكون أول من سيقف بالمرصاد من أجل إزالته!

44. انعدام الانتماء الروحي اليهودي لهذه الأرض، بدليل نزوح عشرات الآلاف اليهود خارج فلسطين، في حالة قيام انتفاضة شعبية فلسطينية أو سقوط صاروخ عارض، هذا يعني انهيار دولة إسرائيل عند قيام أول حرب حقيقية شاملة أياماً متواصلة.

45. استعلاء أصحاب الأرض الشرعيين على آلامهم وجراحهم، وتنوع أشكال المقاومة وتلاؤمها مع كل مراحل الاحتياط الأمني الإسرائيلي؛ وجنونه وبطشه، فهم أقوى وأقدر على البقاء على هذه الأرض، في جميع الأحوال والظروف.

46. حافظ الفلسطينيون، على وجود سكاني ديموغرافي مقاوم، ألحق الفشل بالمشروع الصهيوني الذي كان هدفه ترحيلهم، لإحلال المهاجرين اليهود مكانهم، ولا شك أنها مفارقة تاريخية عجيبة، أن يلد هذا الإنجاز الإنساني من رحم الهزيمة العسكرية!

47. هذه الصحوة التي تبدو على ظاهر اليهود اليوم، ليست إلا صحوة الموت، يرتدون بعدها ثوباً من البلاء، ثم تعصف بهم عاصفة عاتية، وتلقى بهم إلى أسوأ ما كان، ثم يتنفسون الحياة، ثم تضربهم موجة أخرى، وهكذا يترددون بين العذاب والعذاب، فلا يجدون حياة آمنة، ولا يستريحون بالموت.

48. أن من أهم المقومات الحقيقية لأية دولة، للنهوض والارتقاء، هو الشعور بالأمن والاستقرار، وهذا غير متوفر لليهود، بل هم في أمسّ الحاجة إليه، فلا يغترّ أحد بأشكال التطور الصناعي والأكاديمي في هذا الكيان، إنها مجرد شركات استثمار مادية دنيوية، سريعاً ما ترحل.

49. عدم الاغترار بالترسانة العسكرية لليهود، وامتلاكها (200) رأس نووي، وعدم الركون والاستسلام لهذه الأوهام، بل الاستعداد لما هو آت، والاستعلاء عن المعوقات المفتعلة.

50. الادعاء بأن اليهود في هذا الكيان يمتلكون قوة عظيمة، فالواقع الذي نعيشه في بلادنا، يشهد على عجزها عن حماية كيانها أمام إرادة شعب، أو في مواجهة طفل وحجر، أو سكين، أو أبسط أدوات المقاومة.

51. اليهود دائماً مطاردون من قبل الأمم والشعوب في العالم بلا استثناء، وإن تواجدهم على أرض فلسطين، إنما هو تواجد إجبار لا اختيار، ذلك بسبب أنهم إذا خرجوا، فلن يجدوا أرضاً تحملهم أو سماء تظلهم، هذا الشعور ينتابهم فعلاً، وهم بهذا الحال، ينتظرون مصيرهم داخل أسوارهم، كالمجرم ينتظر حكم الإعدام.

52. أن بقاء دولة اليهود في فلسطين، واقع مستحيل، ولا تؤيده الظروف والقرائن المشاهدة، أكد هذه الحقيقة مفكرون إسرائيليون، ودراسات علمية عالمية، ولكلّ أجل كتاب.

53. أن المجازر التي ارتكبت بحق اليهود في شتى بلاد العالم، وملاحقة حكام أوروبا لهم، ثم طردهم منها فيما بعد، وظلوا يرتحلون من بلد إلى بلد، حتى وصلوا أرض فلسطين، هذه الأحداث كلها مجتمعة، أكدت صدق نبوءة الحقيقة القرآنية، بأن هذه الأرض هي أرض المحشر لهم، وأنها الرحيل الأخير.

54. أن قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين، هو قرار رباني بأدوات بشرية، أمريكية وأوروبية، من أجل تلبية رغبات سياسية كلما دعت الحاجة، أما إذا ما انتهت هذه الحاجة، فإن زوال هذا الكيان، سيكون قرار هؤلاء كما كان قرارهم وقت قيامها، وهذا بأمر رباني أيضاً، هذا يعني، أن زوال هذا الكيان، اجتمع عليه قراران: رباني وبشري.

55. أن يهود هذا العصر، امتداد ديني وتاريخي ليهود العصور السابقة، ينطبق عليهم وصف آيات القرآن والأحاديث، وما سلم من نصوص الكتاب المقدس من التحريف، بكل ما جاء من معاني، وبلا استثناءات، وذلك بسبب أن يهود اليوم رضوا بهذا الدين وهذا التاريخ، بل يتفاخرون به إلى قيام الساعة، وعلى هؤلاء أن يستعدوا لمواجهة أية تبعات ستلحق بهم.

56. التيقن بأن زوال دولة إسرائيل عن هذه الأرض أمر وارد، رغم تمكنهم الشديد فيها، وترك الأوهام ومقولة: (بأن اليهود مستحيل أن يخرجوا من فلسطين)، لأن هذه المقولة ذكرها المسلمون قبلنا، زمن الرسول ﷺ واستحكام اليهود في المدينة، وأكدتها الحقيقة القرآنية: ﴿مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ﴾ [الحشر: 2] وقد خرجوا مطرودين من مدنهم وحصونهم ومعسكراتهم، مع القتل والأسر والسبي، أذلاء إلى غير رجعة، والله قادرٌ على أن يخرجهم مرة ثانية وثالثة.

57. ضرورة تيقن المسلمين، بأن معادلة الحرب مع اليهود، معادلة ربانية وليست تكنولوجية، وأن عرش الله أعلى من الطائرات والصواريخ، والأقمار الصناعية، بدليل الخطاب القرآني: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ﴾ [الحشر: 2] ويقصد به اليهود في حربهم مع المسلمين في المدينة، إنها هزيمة لم يكونوا يتوقعونها، أتتهم من المكان والزمان الذي اعتقدوا أمانهم فيه، ومن حيث لم يخطر لهم على بال، فانهارت معنوياتهم وأتتهم من داخل أنفسهم! لا من داخل معسكراتهم! وأراهم أنهم لا يملكون ذواتهم! فقد كانوا أصحاب قوة عظيمة، ونفوذ وسيطرة، ويحسبون حساب كل شيء، إلا أن يأتيهم الهجوم من داخل كيانهم!

58. ضرورة اعتبار المسلمين اليوم بما حصل لليهود زمن الرسول، فلا يغرنهم امتلاك قدرات وقرارات، وتمكنهم في الأرض واستقطاب شعوبها، واستعلائهم الصناعي والعسكري، الذري والنووي، والتحكم في الاقتصاد والأموال، فقد كانوا كذلك في زمن سابق، ثم شردهم في بقاع الأرض، ولم تقم لهم قائمة على مدى 1440 سنة متواصلة.

59. إن سبب قيام دولة قوية متعالية لليهود على أرض المسلمين، لم يكن هذا من ذات أنفسهم، أو أنهم يستحقون ذلك، أو بسبب أنهم أذكياء وأغنياء وعلماء، إنما هو ضربة تأديبية من الله للمسلمين، بسبب تخليهم عن دينهم، وتركهم منهج الله.

60. أن مقولة اليهود، بأن الرب قد منح (أرض الميعاد) لبني إسرائيل في نصوص التوراة، في حقب زمنية متسلسلة، اشتملت على خمسة عشر نبياً في نحو (1500) سنة، ابتدأت من إبراهيم عليه السلام قبل نحو (4000) سنة، وانتهت بملاخي قبل نحو (2400) سنة، هي مقولة باطلة تماماً، ومن يقرأ نصوص التوراة في أسفار مختلفة، يخطر على باله، بأن الرب في السماء، يمتلك مكتباً عقارياً لبيع وتوزيع الأراضي!

61. ادعاء اليهود بأن الرب في السماء، منح هذه الأرض لإبراهيم، وأنهم ورثته، هو ادعاء كاذب، لأنهم حذفوا اسم إسماعيل من النصوص التوراتية بعد ظهور الإسلام، وهو ابنه البكر، بل كان وحيده في تلك الفترة، ثم أنكروه تماماً، لأن الرسول عربي وهو من نسله، وأبقوا اسم اسحق لأنهم من نسله، فكأنهم بهذا التحريف وهذه السخافة، حرموا العرب من ميراثهم في هذه الأرض!

62. ادعاء اليهود، بأن الرب في السماء، قد منح بني إسرائيل هذه الأرض، وأنهم يستحقونها، هو ادعاء كاذب، لأن مقولة (بني إسرائيل) لا تنطبق بحال من الأحوال على يهود هذا الزمان، بل هم من فتات وبقايا الأمم، بعد تشردهم في البلاد منذ عام 70م وعام 135م، وانتشارهم وتباعدهم، حيث اختلطت أجناسهم ودماؤهم، حتى اجتمعوا في عام 1948م، فلا تجد وصف (بني إسرائيل) ينطبق على هؤلاء بنسبة 7% فقط.

63. ادعاء هؤلاء، بأن الرب في السماء منح إبراهيم هذه الأرض، هو ادعاء كاذب، يشهد على كذبه أكثر من نص في أسفار التوراة، وذلك بسبب أن إبراهيم نفسه، لم يكن يمتلك مكاناً فيها، فاستعطف بني حث العرب في حبرون (مدينة الخليل الفلسطينية)، ليعطوه مكان قبر ليدفن زوجته سارة، فاشتراه منهم بـ (400) شيكل.

64. بينما نجد نصوص القرآن تنهى هؤلاء باستنكار، عن إقحام إبراهيم فيما يخصّهم، لأن زمن إبراهيم سابق للتوراة بأكثر من أربعمائة عام، بينما الإنجيل نزل بعد التوراة بنحو ألف عام!

65. كما أن عهود الرب في أسفار التوراة بأرض الميعاد، تتعلق كلها ببني إسرائيل كجنس بشري، من دون ذكر اليهود كديانة، وإسرائيل هو يعقوب، ووفق القانون الإسرائيلي، يعتبر الشخص يهودياً إذا كانت أمه يهودية أو جدتها أو جدة أمه، أو إذا تحول الشخص إلى اليهودية، بأسلوب ترضى عنه السلطات الإسرائيلية! وهذا خلط واضح وفاضح بين الجنس والدين!

66. كما أن التوراة، لا تقوم بها حجة على عهد ولا وعد، لأنها محرّفة، وأن أسفار العهد القديم ادّعت مراراً، بأن أنبياء بني إسرائيل وأتباع الأنبياء، كذبوا على الله، وحرّفوا كلامه، واختلقوا أحلاماً كاذبة، يشهد على ذلك ما ورد في أسفار مختلفة، منها سفر المزمور على لسان الرب: "مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ؟ الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ

كَلاَمِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ"، وفي سفر أرميا: "فَقَالَ الرَّبُّ لِي: "بِالْكَذِبِ يَتَنَبَّأُ الأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي. لَمْ أُرْسِلْهُمْ، وَلاَ أَمَرْتُهُمْ، وَلاَ كَلَّمْتُهُمْ. بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِل وَمَكْرِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ". ونحن اليوم على هذا الحال، نتساءل: نصدق من ونكذب من في عهود الرب بأرض الميعاد، هل نصدق الرب؟ أو نصدق الأنبياء؟ أو نصدق الحاخامات؟ وكلٌّ من هؤلاء يكذّبون بعضهم بعضاً! ويكذبون على بعضهم بعضاً! وحاشا لله من هذه النصوص ومن واضعيها.

67. يشترط الرب على بني إسرائيل، من أجل امتلاك الأرض الموعودة، كما ورد في بعض أسفارهم التي سلمت من التحريف، أن يتقوا الله ويعبدوه، وأن يحفظوا وصاياه، وأن يؤدّوا فرائضه، ويعملوا الأعمال الصالحة والحسنة، فأين هذه الوصايا من أقوالهم وأفعالهم اليوم، لامتلاك هذه الأرض؟

68. ثم يهدّد الرب، بني إسرائيل في التوراة، بالهلاك والإبادة لا محالة، كما ورد في بعض النصوص: "أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ لاَ مَحَالَةَ. كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذلِكَ تَبِيدُونَ، لأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ" فهل سمع اليهود قول الرب إلههم؟ أم أنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: 93]. أم تستمر هذه الدولة بالبقاء، والرب يهددهم في أسفارهم بالإبادة لا محالة؟

69. وهل يستحق اليهود، امتلاك هذه الأرض بأمر الرب في السماء، وقد صدقت نبوءة يسوع المسيح فيهم، بأنهم شياطين وأبناء إبليس، يتبعونه قولا وعملا، كما ورد في سفر يوحنا، حينما قالوا ليسوع: "... أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ". قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ! وَلكِنَّكُمُ الآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعَهُ مِنَ اللهِ. هذَا لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ". فَقَالُوا لَهُ: "إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا". نعم، صدق اليسوع، إنها ليست دولة إسرائيل النبي، إنما هي: (دولة الأبالسة)، فهل يدوم بقاؤها؟ وإلى متى؟ أم أن زوالها عدل إلهي، وانهيارها أمر حتمي.

70. ثم أنهم، بأي وجه من الوجوه يرثون أرض الميعاد؟ وقد أمرهم أنبياؤهم بالقتال لامتلاكها، لكنهم رفضوا هذا العرض وقالوا: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]!

71. إن هذا الكيان، أضعف من البقاء على قيد الحياة، وهو لا يملك أن يعيش إلا داخل جدار، فليس عجيباً، أن تطلب عدوك الضعيف للقتال، فيتحصّن منك، لكن العجيب أن يطلبك العدو القوي ليقتلك، وأنت الضعيف الأعزل، فيتحصّن هو منك!.

72. إن الرخاء والديمقراطية التي يدّعيها الإسرائيليون داخل هذا الكيان، ما هي إلا مهزلة ووهم وكذب، يدلّ على هذا، ما قاله كتاب وباحثون وإعلاميون إسرائيليون، بل إن عدداً من هؤلاء، ما زال يحتفظ بجواز سفره أو عنوان بيته أو ذويه، أو أصدقائه في بلاد أخرى، استعداداً للرحيل لحظة الوصول إلى ساعة الانهيار.

73. والمفارقة العجيبة! ما ذكره الكاتب الإسرائيلي (باري شيمش) في كتابه (سقوط إسرائيل) بأن المساعدات الدولية، والدعم المادي الذي يركن عليه هذا الكيان، فهو نفسه سيكون مدعاة لانهياره، وأن هذه المساعدات تساهم في تحويل الإسرائيليين إلى مجرّد متسوّلين، يعيشون عالة على شعوب العالم، ولا تعتمد أجيالها على أنفسهم من أجل البقاء، ثم ذكر: يجب قطع المدد الأمريكي للحفاظ على شرف الدولة والمواطنين الإسرائيليين، حتى أنه قال: " يجب قطع كل المساعدات، إنها تسهم في انهيار دولة إسرائيل!

74. أن الاعتماد على القوة العسكرية، وشتى أساليب القتل والقهر والدمار، لا يمكنه أن يصنع دولة قادرة على البقاء، وأن الحكاية أكبر من الذين خططوا لها، فالعرب والمسلمون أصحاب حضارة وعراقة، وفكر وآيدولوجيات ثابتة لم تهتز رغم ما أصابها من ابتلاءات عظيمة، ما يدلّ أن البقاء لهذه الأمة على أرضها إلى الأبد، وزوال هذا الكيان واقع لا بد منه.

75. أن دولة الكيان الإسرائيلي، هي الأمر العارض العابر في المنطقة العربية، ووجودها مستحدث، وأن هزيمة واحدة كافية لخلعها من مكانها، وأما نحن، ففي هذه الأرض منذ آلاف السنين، وقدرنا أن نظل رغم ما حصل فيها وما يحصل، إننا نلعب على أرضنا، وهي لنا مهما طال الصراع، أما الدخلاء فإن مصيرهم الرحيل، طال الزمن أو قصر.

76. أن ضعف العرب والمسلمين، وانقسامهم وتشرذمهم، قد ساهم في تضخم هذا القزم وعملقته، وصياحه وصراخه، وهو في حقيقته أقل شأنا مما يبدو بكثير، فهل يدرك الجيش الإسرائيلي عجزه عن المواجهة على الأرض؟ وهل تدرك إسرائيل ضعفها وخواءها من الداخل؟ وهل تدرك بأن سقوطها حتمي في أية لحظة؟

77. أن الطبيعة الوظيفية لإسرائيل، تعني أن القوى الاستعمارية اصطنعتها وأنشأتها للقيام بوظائف ومهام، تترفع عن القيام بها مباشرة، وحينما تنتهي هذه المهام، ينتهي معها هذا الكيان، وهذا الأمر تحصيل حاصل.

78. أن الباحثين الإسرائيليين أنفسهم، ينتظرون هذه النهاية البائسة لدولتهم، ولا ينكرون هذا الخوف، حتى أصبحت كمية الكتابات عن نهاية إسرائيل كثيرة، وأن هذا الهاجس لازم مؤسسي إسرائيل منذ قيامها، لم يسلم منه (ديفيد بن جوريون) أول رئيس للوزراء.

79. لا عبرة في تحديد زمن أو تاريخ محدد لنهاية هذا الكيان باجتهادات مختلفة، أو أرقام رياضية أو معادلات حسابية، أو حسابات فلكية، فهذا من علم الغيب، ولا يعلم الغيب إلا الله.

80. ضرورة الاعتقاد بأن زوال هذا الكيان نتيجة حتمية، وأن نصر الله للمؤمنين في بيت المقدس آت لا محالة.

81. التيقن بأن نصر الله قريب للمؤمنين، وما يمرّ به العرب والمسلمون في هذا الزمان من المحن والضعف والهزائم، هو ابتلاء من الله لهم، وحث إلى العودة لاتباع منهج وتعاليم الإسلام.

82. ضرورة الاعتقاد بأن الله لم يخلق الخلق ليتركهم سدى، وقد أقام اليهود من قبلُ دولا وممالك على الأرض، وظلموا وأفسدوا ودمّوا، ودمر الله عليهم بنيانهم، وهذا بنيانهم الجديد، والظلم هذه المرة أكبر، والإفساد أكبر، والنهاية مثل سابقاتها، ولعلها تكون أكبر.

83. هذا كله، بسبب أن اليهود يستكبرون على خلق الله، واعتبارهم كل أنواع البشر من الأغيار (الجوييم)، وأن جميع الشعوب عبيد لهم، يحق لهم قتلهم ونهب أموالهم، والسيطرة على ثرواتهم، ذلك لمجرد أماني في نفوسهم، وأكاذيب كذبوها ثم صدقوها، ودوّنوها في كتاب اسمه (التلمود)، وبأمر الرب في السماء، بهدف السيطرة على هذا العالم، وعلى أمواله وثرواته، وسيادة الكون! وقد ضربوا على أنفسهم حماقة وسفاهة، إن سلم لهم ظاهرهم في حال، فلن يسلم لهم باطنهم في أي حال، إنها لعنة الله!.

وأخيراً: ستكون هناك هزيمة لدولة إسرائيل، وسيتحقق زوال كيانها على أرض فلسطين، ويسترجع المسلمون أرضهم وكرامتهم فيها، ويدخلون القدس والمسجد الأقصى، ويدمّرون دولة إسرائيل وكيانها، إنها إرادة الله، إن الله على كل شيء قدير.

أما إن سأل سائل: كيف ومتى؟ فالجواب: إن نظام حياة البشر في هذا الكون، أنهم يعيشون في دول، وهذه الدول تحتكم إلى قوانين، وهذه القوانين لها مصدران: إما قوانين يصدرها مجلس النواب، وإما قوانين يصدرها رب السماء، وبما أن اليهود أقاموا دولتهم باسم الرب في السماء، وهم على باطل، وأسموا دولتهم باسم نبيهم إسرائيل، وهم على باطل، ورفعوا علمهم الأزرق من النيل إلى الفرات، باسم نجمة أنبياء الله داود وسليمان، وهم على باطل، ومع ذلك، حققوا انتصارا على العرب وهم على باطل، فنحن المسلمون أولى بأن نقيم دولتنا باسم رب السماء، ونحن على حق، وأن نقيم دولتنا باسم النبي مُحَمَّد، ونحن على حق، وأن نرفع علمنا باسم لا إله إلا الله، ونحن على حق، وبالتالي فإننا بذلك سنحقق انتصارات وانتصارات.

أهم التوصيات:

من خلال النتائج التي تم التوصل إليها خرجت الدراسة بالعديد من التوصيات وهي:

1- أن كتاب الله تعالى فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا، والواجب على علماء الأمة استمرار التدبر في الآيات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: 8] وضرورة تتبع الآيات والبحث فيها، واستنتاج الفوائد المرجوّة من كلام الله، تصديقا لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 38].

2- عدم التواكل على الإرادة الإلهية والوعد الرباني بزوال كيان بني إسرائيل في الأرض المباركة، من دون العمل الجاد بالطاعة والحثّ على الجهاد وتحمل المسؤوليات الشاقة، أفراداً وجماعات، وهو القائل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: 105] و﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]

3- الاعتماد على النفس في الدفاع عن الأرض الإسلامية المغتصبة، وعدم الركون إلى بيانات الشجب والاستنكار، والوعود والمعاهدات الكاذبة من قوى الشرق والغرب.

4- الإخلاص في العبادة والعمل معا، والتقرب إلى الله تعالى كما أمر، حسب الأحكام والتكاليف الربانية في القرآن والسنة، ليتحقق وعد الله تعالى في قوله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7].

5- اعتصام الأمة الإسلامية بحبل الله، بعيدا عن الأهواء الإنسانية المبتدعة والدخيلة، والتفرق والتشرذم إلى طوائف شتى، ما يؤدي إلى الضعف والضياع، والتمسك بالعروة الوثقى، ليلتم شمل الأمة.

6- حشد الطاقات البشرية والمادية في العالم الإسلامي الذي يحتل ربع مساحة اليابسة على الكرة الأرضية، وربع الطاقة البشرية فيها، واستغلال ما فيها من مقومات وعناصر طبيعية هائلة.

7- التيقن بأن تحرير القدس، لم يكن مجرد عملية عسكرية قام بها صلاح الدين وحسب، بل هي خطة تتضمن عدة مراحل تسير في طرق متوازية، منها إعداد الأمة وتنمية روح الجهاد فيها، والوحدة السياسية والعسكرية امتدادا مع كافة دول العالم الإسلامي.

8- تطهير الأمة الإسلامية من ملوثات العقل والروح، أفراداً وجماعات، من الاعتماد على معونة الشرق أو الغرب، أو التصريحات الكلامية من شجب واستنكار، أو الاستسلام للمقولة الشائعة: للأقصى ربٌّ يحميه.

9- الرفض القاطع لقرارات المؤسسات الدولية الجاحفة بشأن فلسطين والبلاد الإسلامية، فهم لا يملكون التصرف في مقدرات الأمة وممتلكاتها.

10- تسخير الإعلام الإسلامي، وخلق رأي عالمي عام، مناهض للسياسات الجائرة ضد حقوق المسلمين في بلادهم وأوطانهم، وتخليص الشعوب المقهورة من سيطرة ذوي القوى على ثرواتها.

11- يوصي الباحث بأن يُنظر للقضية الفلسطينية بأنها تخصّ المسلمين في الأرض جميعاً، وعدم حصرها في قومية عربية أو فلسطينية.

12- حشد طاقات أشدّ للقضاء على كيان اليهود، لا سيما أن الأمة الإسلامية تواجه صراعاً تاريخياً بغيضاً، تكاد تزول من كيده الجبال، يحمل في طياته كل تجارب المكر والدهاء، مقرونا مع ذروة التطور العسكري.

13- عدم الركون والاستسلام إلى تأويلات بحتمية زوال اليهود عن أرض فلسطين، دون الجهاد والعمل المتواصل، فنحن أمة الجهاد نختلف عن بني إسرائيل الذين قالوا لنبيهم: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة: 24].

14- الدعوة بأن تكون نبوءة حتمية زوال اليهود عن أرض فلسطين، حافزا ومدعاة للجيل الشبابي المسلم إلى العمل، للنهوض والاستيقاظ من حالة السبات والقنوط واليأس التي تراكمت على الأدمغة؛ على مدى قرن من الزمان.

15- يوصي الباحث شعوب العالم الإسلامي وأهل فلسطين خاصة، أن يعلنوا ولاءهم لله علناً، وأن يقف كل منهم مع المشروع الإسلامي، وأن الأمر ليس مجرد كلمة تُقال، وإنما هو فكر وانتماء، ودماء وشهداء.

16- عدم التسليم بسياسة الأمر الواقع، التي يتشدق بها قادة وحكام وأقلام إعلامية مستأجرة؛ والركون إلى الخنوع والاستسلام، بدعوى أن الكيان المحتل يمتلك أعتى وأخطر ترسانة عسكرية.

17- عدم الانجرار وراء دعاة التطبيع مع أعداء الأمة، أو التواصل معهم بإقامة سلام مزعوم وعلاقات صداقة، لا ينتج عنها سوى خيبات الأمل.

18- يوصي الباحث المسلمين جميعاً بالتزام خيار نهج المقاومة، وعمل خطة إيمانية على منهج الله، ضد هذا العدو المشترك الذي يعمّ شرّه بلاد المسلمين والعالم كله.

19- دعوة أهل فلسطين خاصة، بالتقوى والتقرب إلى الله، وأنهم لا منجى لهم سواه، فالأيام دول تمضي بحسب سنن الله في خلقه، وحكمته وعدله، وليس بين الله وبين أمة من الأمم نسب إلا التقوى.

20- دعوة الأمة الإسلامية بضرورة الاستعداد العملي للمرحلة القادمة من المعركة، فإن لهذه النبوءات الأثر البالغ في رفع الهمم في النفوس، واعتبارها مرحلة ابتلاء موقوت يحتاج إلى صبر، وتربية عقائدية سليمة.

21- تفعيل الجانب التنفيذى، من أجل أن تتحول هذه التوصيات إلى فعل واضح ملموس، تتولد عنه قوة مؤثرة قادرة على إحداث التغيير المطلوب، في مسار الأحداث ومواجهة الهجمة ضد فلسطين تحديداً، والعالم الإسلامي بوجه عام.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس، العهد القديم والجديد، نسخة كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية، مصر.

التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحق السوري، نشرها أحمد حجازي السقا، مصر، دار الأنصار، ط1، 1398ه/1878م.

قائمة المصادر:

1- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (-ت327ه/ 938م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة - 1419ه.

2- ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (-ت399ه/ 1008م)، **تفسير القرآن العزيز**، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، مصر/ القاهرة، الناشر: الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، 1423ه - 2002م.

3- ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (-ت235ه/ 849م)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، المحقق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، 1409، عدد الأجزاء: 7.

4- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (-ت630ه/ 1232م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1417ه / 1997م، عدد الأجزاء: 10.

5- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (-ت597ه/ 1200م)، **فضائل القدس**، تحقيق: الدكتور جبرائيل سليمان جبور، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية 1400ه/ 1980م.

6- ابن العبري، يوحنا غريغوريوس الملطي، **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، دار الشرق، ط3، 1992م.

7- ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (-ت749ه/1348م)، **تاريخ ابن الوردي**، لبنان/ بيروت، دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، 1417ه - 1996م، عدد الأجزاء: 2.

8- ابن أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (-ت732ه/ 1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 4، (د.ت.ن).

9- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (-ت449هـ / 1057م)، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، السعودية، الرياض مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م.

10- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (-ت241هـ/ 855م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.

11- ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف (-ت230هـ/ 844م)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.

12- ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (-ت200هـ/ 815م) **تفسير يحيى بن سلام**، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004م، عدد الأجزاء: 2.

13- ابن عاشور التونسي، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (-ت1393هـ/ 1973م)، **التحرير والتنوير** "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م، عدد الأجزاء: 30.

14- ابن عطية، أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (-ت542هـ/ 1147م) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تفسير ابن عطية**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1422هـ.

15- ابن قدامة، أبو مُحَمَّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (-ت620هـ/ 1223م)، **المغني**، مكتبة القاهرة، بدون طبعة، عدد الأجزاء: 10، 1388هـ - 1968م.

16- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (-ت774هـ/ 1372م)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/ 1999م.

17- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (-ت774هـ/ 1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997 م، سنة النشر: 1424هـ/ 2003م، عدد الأجزاء:21 (20 ومجلد فهارس).

18- ابن ماجة، أبو عبد الله مُحَمَّد بن يزيد القزويني (-ت273هـ/ 886م)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي- عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.

19- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (-ت711هـ/ 1311م)، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.

20- أبو السعود، العمادي مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى (-ت982هـ/ 1574م)، **تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.ن).

21- أبو اليمن، مجير الدين، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، (-ت928هـ/ 1521م)، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان، مكتبة دنديس (د.ت.ن).

22- أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (-ت745هـ/ 1344م)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، بيروت، دار الفكر، الطبعة: 1420هـ.

23- الإشبيلي (-ت808هـ/ 1405م)، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر** ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1408هـ - 1988م، عدد الأجزاء: 1.

24- الأصبهاني، عِمَاد الدِّين الكاتب الأصبهاني (-ت597هـ/ 1200م)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس، دار المنار، ط1، 1425هـ/ 2004م.

25- بخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (256هـ/869م)، **صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح**، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، 1422هـ.

26- بزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (-292هـ/904م)، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

27- بغوي، محيي السنة الحسين بن مسعود، أبو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي (-ت510هـ/1116م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 1420هـ، عدد الأجزاء (5).

28- بلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (-ت279هـ/ 892م)، **فتوح البلدان**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1988 م، عدد الأجزاء: 1.

29- بلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (-ت150هـ/ 767م)، **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ.

30- بيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد الشيرازي البيضاوي (-ت685هـ/ 1286م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المحقق: مُحَمَّد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى - 1418هـ.

31- الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (-ت279هـ/ 892م)، **الجامع الكبير، سنن الترمذي**، بيروت، المحقق: بشار عواد معروف،، دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: 1998م، عدد الأجزاء: 6.

32- تميمي، أسعد، **زوال إسرائيل حتمية قرآنية**، القاهرة، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، (د.ت.ن).

33- ثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مخلوف (-ت875هـ/1470م)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: الشيخ مُحَمَّد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

34- ثعلبي، أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (-ت427هـ/ 1035م)، **تفسير الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي مُحَمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت - لبنان دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 10.

35- الجوزاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (-ت227هـ/ 841م) **التفسير من سنن سعيد بن منصور** دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد،، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1997م، عدد الأجزاء: 5.

36- جوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (-ت597هـ/1200م)، **زاد المسير في علم التفسير**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى - 1422هـ.

37- جوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (-ت597هـ/ 1200م)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1992م، عدد الأجزاء: 19.

38- حمد، جواد، **المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني** (1948-2001م)، عمان، المؤسسة الفلسطينية للنشر والتوزيع، ط5، 2005م.

39- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (-ت626هـ/ 1228م)، **معجم البلدان**، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثانية، 1995م.

40- حميري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عبدا لله بن عبد المنعم الحِميرى (-ت900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، المحقق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، 1980م.

41- الدِّيار بَكْري، حسين بن مُحَمَّد (-ت966هـ/1008م) **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، بيروت، دار صادر، (د.ت) عدد الأجزاء: 2.

42- ذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (-ت748هـ/ 1347م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م.

43- ذهبي، شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (-ت748هـ/ 1347م)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

44- الذهبي، مُحَمَّد السيد، **التفسير والمفسرون**، مُحَمَّد السيد حسين (-ت1398هـ/ 1977م)، القاهرة، مكتبة وهبة، (د.ت.ن) عدد الأجزاء: 3.

45- رازي، فخر الدين، أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (-ت606هـ/ 1209م)، **تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.

46- زجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (-ت311ھ/923م)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، **معاني القرآن وإعرابه**، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1408ھ - 1988م.

47- زحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418ھ.

48- زمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (-ت538ھ/1143م) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة - 1407ھ، عدد الأجزاء: 4.

49- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي (581 - 654ھ)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق وتعليق: مجموعة من الباحثين، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1434ھ - 2013م، عدد الأجزاء: 23.

50- سمرقندي، أبو الليث نصر بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (-ت373ھ/ 983م)، **تفسير السمرقندي**، بحر العلوم، (د.م.ن)، (د.ت.ن).

51- سمعاني، أبو المظفر، منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني، المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي (-ت489ھ/ 1095م)، **تفسير السمعاني**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، السعودية، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1418ھ - 1997م.

52- سندي، مُحَمَّد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (-ت1138ھ/1725م)، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه**، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، بيروت، دار الجيل (د.ت.ن).

53- سيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (-ت911ھ/ 1505م)، **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار**، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، عام النشر: 1424ھ - 2005 م، عدد الأجزاء: 3.

54- شافعي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (-ت204ھ/819م)، **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان، المملكة العربية السعودية، دار التدمرية، الطبعة الأولى: 1427 - 2006م.

55- شوكاني، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (-ت1250ھ/1834م)، **فتح القدير**، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - الطبعة: الأولى - 1414ھ.

56- صنعاني، عبد الرزاق، أبو بكر بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (-ت211ھ/826م) **تفسير عبد الرزاق**، دراسة وتحقيق: د. محمود مُحَمَّد عبده، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة 1419ھ، عدد الأجزاء: 3.

57- صهيب عبد الجبار، **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد** (د.م.ن)، (د.د.ن) 2014م.

58- الطائي الهمذاني، مُحَمَّد بن علي، أبو الفتوح، **كتاب الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين**، أو الأربعين الطائية (-ت555ھ/1160م)، المحقق: عبد الستار أبوغدة، (د.م.ن) دار البشائر الإسلامية، الطبعة: الأولى 1420ھ/ 1999م، عدد الأجزاء: 1.

59- طبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (-ت310ه/922)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422ه - 2001م.

60- طبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (-ت310ه/922م)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420ه/2000 م، عدد الأجزاء: 24.

61- الطبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (-ت310ه/922م) **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك**، بيروت، دار التراث، ط2، 1387ه.

62- طبري، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (-ت310ه/922م)، **تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، -ت369ه)، بيروت، دار التراث، الطبعة الثانية، 1387ه، عدد الأجزاء: 11.

63- طنطاوي، مُحَمَّد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الفجالة- القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1997.

64- طيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (-ت743ه/1342م) **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد مُحَمَّد الغوج، الطبعة الأولى، 1434ه - 2013م، عدد الأجزاء: 17.

65- عبد الجبار، صهيب، **الجامع الصحيح للسنن والمسانيد** (د.م.ن)، (د.د.ن) 2014م.

66- عبدالرازق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (-ت211ه/ 826 م)، **تفسير عبد الرزاق**، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: محمود مُحَمَّد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، سنة 1419ه، عدد الأجزاء: 3.

67- عصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري (-ت240ه/864م) **تاريخ خليفة بن خياط**، المحقق: د. أكرم ضياء العمري، دمشق ، بيروت، دار القلم ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1397، عدد الأجزاء: 1.

68- قاسمي، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (-ت1332ه/1913م)، **محاسن التأويل (تفسير القاسمي)**، المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعة: الأولى - 1418ه.

69- قرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (-ت671ه/ 1272م)، **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1384ه - 1964م.

70- القسطلاني، أحمد بن مُحَمَّد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (-ت923هـ/1517م)، **شرح القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة: السابعة، 1323هـ، عدد الأجزاء: 10.

71- قصاب، أحمد مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الكَرَجي (-ت360هـ/970م)، **النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام**، تحقيق:علي بن غازي التويجري، إبراهيم بن منصور الجنيدل، شايع بن عبده بن شايع الأسمري، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1424هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 4.

72- قيرواني، أبو مُحَمَّد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (-ت437هـ/ 1045م)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن** وتفسيره، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م.

73- كيت وايتلام، ترجمة سحر الهنيدي، اختلاق إسرائيل القديمة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999م.

74- ماتريدي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أبو منصور (-ت333هـ/ 944م)، **تفسير الماتريدي**، المحقق: د. مجدي باسلوم، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.

75- ماوردي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (-ت450هـ/ 1058م)، **تفسير الماوردي، النكت والعيون**، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: 6.

76- مدني، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (-ت179هـ/795)، **موطأ مالك**، المحقق: مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي - الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، الطبعة الأولى، 1425هـ - 2004 م.

77- مسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (-ت346هـ/ 957م)، **التنبيه والإشراف**، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي (د.ت.ن).

78- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (-ت261هـ/ 874م)، صحيح مسلم، **المسند الصحيح المختصر**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

79- مسيري، دكتور عبد الوهاب **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1999م.

80- مقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (-ت355هـ/965م) **البدء والتاريخ**، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، عدد الأجزاء: 6

81- مقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (-ت845هـ/ 1441م)، **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، المحقق: مُحَمَّد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 15

82- نخجواني، الشيخ علوان، نعمة الله بن محمود، ويعرف بالشيخ علوان (ت920هـ/1514م)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، الغورية، مصر، دار ركابي للنشر، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1999م.

83- نسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت710هـ/1310م)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، بيروت، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.

84- النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت775هـ/1373م)، **اللباب في علوم الكتاب**، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي مُحَمَّد معوض، بيروت / لبنان، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1419هـ -1998م، عدد الأجزاء: 20.

85- نووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ/1277م)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1392، عدد الأجزاء: 18 (في 9 مجلدات).

86- نيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت550هـ/ 1155م)، **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى - 1415هـ.

87- نيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت261هـ/874م)، **صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

88- نيسابوري، نظام الدين الحسن بن مُحَمَّد بن حسين القمي النيسابوري (ت850هـ/ 1466م)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تفسير النيسابوري**، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعة: الأولى - 1416هـ.

89- واحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت468هـ/1075م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد** (التفسير الوسيط)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي مُحَمَّد معوض، الدكتور أحمد مُحَمَّد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية،، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994 م، عدد الأجزاء: 4.

قائمة المراجع:

1- ابن الخطيب، مُحَمَّد مُحَمَّد عبد اللطيف بن الخطيب (ت1402هـ/ 1981م)، **أوضح التفاسير**، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة السادسة، 1383هـ - 1964م.

2- أبو الهيجا، إبراهيم، **سجلات جدار الفصل العنصري**، مركز (باحث) للدراسات، 2004م، بيروت لبنان.

3- أبو حبيب، مُحَمَّد ناصر، **القوة الخفية الماسونية**، 1409هـ/1989م، (د.م.ن)، (د.ت.ن).

4- أبو زهرة، مُحَمَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت1394هـ/ 1973م)، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: 10.

5- أبو شوفة، أحمد عمر، **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة**، ليبيا، دار الكتب الوطنية، 2003م، عدد الأجزاء: 1.

6- آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن بن محمود، **السلفيون وقضية فلسطين في واقعنا المعاصر** وفيه (حكم عمليات الاقتحام بالنفس)، فلسطين، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ط1، 123هـ / 2002م.

7- آل سلمان، أبو عبيدة مشهور بن حسن، **العراق في أحاديث وآثار الفتن**، الأمارات، دبي، مكتبة الفرقان، الطبعة: الأولى، 1425هـ/ 2004 م، عدد الأجزاء: 1.

8- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ/ 1853م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ، عدد الأجزاء: 16 (15 ومجلد فهارس).

9- أمير، بهاء، **الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 2006م.

10- أيبش، أحمد، **التلمود، كتاب اليهود المقدس**، تقديم أ.د. سهيل زكار، دمشق، ط 2006م

11- البار، مُحَمَّد علي، **القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ**، دار الفقيه، ط3، 1434هـ/2013م.

12- برغوثي وطوطح، عمر وخليل، **تاريخ فلسطين**، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م.ن)، (د.ت.ن).

13- تل، عبد الله، **خطر اليهودية العالمية**، مصر الجديدة، دار القلم، 1384هـ/1964م.

14- تونجي، أسمر، مُحَمَّد وراجي، **المعجم المفصل في علوم اللغة**، تحقيق: إميل بديع يعقوب، (د.م) دار الكتب العلمية، ط1، 1993م، عدد المجلدات:2.

15- تونسي، مُحَمَّد خليفة، **الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون**، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ط4، (د.ت.ن).

16- ج.م.ن، جفريز، فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة أحمد خليل الحاج، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.

17- جامعة المدينة العالمية، مناهج جامعة المدينة العالمية، **الدخيل في التفسير**، جامعة المدينة (د.ت.ن).

18- جاوي، مُحَمَّد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت1316هـ/ 1898م)، **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**، المحقق: مُحَمَّد أمين الصناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى - 1417هـ.

19- جرار، بسام نهاد، **زوال إسرائيل 2022م**، لبنان، مكتبة البقاع الحديثة، ط2، 1417هـ/1996م.

20- جرار، بسام، **إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن**، رام الله، دار نون للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ/1998

21- جرمي، إبراهيم مُحَمَّد، **معجم علوم القرآن**، دمشق - دار القلم، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م، عدد الأجزاء: 1

22- جزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ/2003م، عدد الأجزاء: 5.

23- جلال، عبد الفتاح، **هيكل اليهودي التائه**، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 2001م.

24- الجهني، مانع بن حماد، **والموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1420هـ، عدد الأجزاء: 2.

25- جودت السعد، **أوهام التاريخ اليهودي**، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 1998م.

26- حبيب، كميل، **الشرق الأوسط وفلسطين في الرؤية الأمريكية**، بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1433هـ/1012م.

27- حجازي، مُحَمَّد محمود، **التفسير الواضح**، بيروت، دار الجيل الجديد، الطبعة العاشرة، 1413هـ.

28- حسن، مُحَمَّد خليفة، **الحركة الصهيونية**، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1981م.

29- حسين يوسف وآخرون، **جغرافيا فلسطين**، مقرر جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط1، 1995م.

30- حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت1127هـ/ 1617م)، **روح البيان**، بيروت، دار الفكر (د.ت.ن).

31- حمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، عمان، ط1، مركز دراسات الشرق الأوسط، دار البشير، ط1، 1997م.

32- حمد، جواد وآخرون، **المدخل إلى القضية الفلسطينية**، عمان، ط1، مركز دراسات الشرق الأوسط، دار البشير، ط1، 1997م.

33- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **الانتفاضة والتتار الجدد**، مكة المكرمة، سلسلة تصدر عن مجلة البيان، 1424هـ.

34- حوّى، سعيد (ت1409هـ/ 1988م)، **الأساس في التفسير**، القاهرة - دار السلام، الطبعة السادسة، 1424هـ، عدد الأجزاء: 11.

35- خالدي، صلاح عبد الفتاح، **حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية**، دمشق، دار القلم، ط1، 1433هـ/2012م.

36- خان، ظفر الإسلام، **التلمود تاريخه وتعاليمه**، دار النفائس، (د.م) ط8، 1423هـ-2002م.

37- الخلف، سعود بن عبد العزيز الخلف، الرياض، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط1، 1418هـ/1997م.

38- الدباغ، مصطفى مراد، **موسوعة بلادنا فلسطين**، دار الهدى للطباعة والنشر، كفر قرع، فلسطين، 1991م.

39- دروزة، مُحَمَّد عزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، (د.م) المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1969م.

40- دروزة، مُحَمَّد عزت، **التفسير الحديث**، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، طبعة: 1383هـ.

41- رضا، مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس الدين بن مُحَمَّد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت1354هـ/ 1935م)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م، عدد الأجزاء: 12 جزءا.

42- الرفاعي، ناصر داود، **هل باع الفلسطينيون أرضهم لليهود؟** القدس، 2012م.

43- الرقب، صالح حسن، **ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين**، فلسطين، غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السادس، العدد الأول، 1998م.

44- الرقب، صالح حسن، **نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان**، فلسطين، غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول، 2002م.

45- الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، السعودية، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 1406/8/5، الطبعة: الأولى 1407هـ- 1986م، عدد الأجزاء: 3.

46- زركلي، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (-ت1396هـ/1976م)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط 15، 2002 م.

47- زعبي، فتحي مُحَمَّد، **تأثر اليهودية بالأديان الوثنية**، طنطا، مصر، دار البشير، ط1، 1414هـ/1994م.

48- زغيبي، أحمد بن عبد الله بن إبراهيم، **العنصرية اليهودية وأثرها في المجتمع الإسلامي**، الرياض، مكتبة العبيكات، ط1، 1418هـ/1998م.

49- سعد، جودت، **أوهام التاريخ اليهودي**، عمان، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

50- سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (-ت1376هـ/ 1956م) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000م.

51- سعيد، حبيب، **المدخل إلى الكتاب المقدس**، مجمع الكنائس، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

52- السلمي، عبد الرحيم بن صمايل العلياني، **شرح كتاب التوحيد**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 9 دروس].

53- سويدان، طارق، **فلسطين... التاريخ المصور**، الرياض، قرطبة للإنتاج الفني، ط4، 1425هـ/2005م.

54- شاحاك، إسرائيل، ترجمة: صالح علي سوداح، **التاريخ اليهودي.الديانة اليهودية**، وطأة ثلاثة آلاف سنة، بيروت لبنان، بيسان للنشر والتوزيع، ط1، 1995م.

55- شامي، رشاد عبد الله، **إشكالية اليهودية في إسرائيل**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1997م.

56- شراب، مُحَمَّد مُحَمَّد حسن، **بيت المقدس والمسجد الأقصى**، ط1، 1415هـ/1994م.

57- الشعراوي، مُحَمَّد متولي (-ت1418هـ/1997م)، **تفسير الشعراوي (خواطر)** مطابع أخبار اليوم، رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997م.ممم الشورة، صالح علي، **مدينة القدس تحت الاحتلال البريطاني**، ط1، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة 1431هـ/2010م.

58- شميش، باري، **سقوط إسرائيل**، ترجمة عمار جولاق، مُحَمَّد العابد، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الثانية، (د.ت).

59- شنقيطي، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (-ت1393هـ/ 1973م)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت- لبنان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1415هـ - 1995م.

60- صالح، محسن، **فلسطين**، كوالالمبور، ماليزيا، ط1،، 2002م.

61- صالح، مُحَمَّد محسن، **القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة**، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012م.

62- صايغ، أنيس، **الموسوعة الفلسطينية**، بيروت، ط1990،1م، المجلد الأول، القسم الثاني، بيروت، 1990م.

63- صلابي، عَلي مُحَمَّد الصَّلاَّبي، **صلاح الدين الأيوبي وجهوده** في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، بيروت – لبنان، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 1.

64- صليبي، كمال سليمان، **التوراة جاءت من جزيرة العرب**، ترجمة: عفيف الرزاز، ط2، بيروت، لبنان، مؤسسة الأبحاث العربية، ط6، 1997م.

65- صليبي، كمال، **التوراة جاءت من جزيرة العرب**، ترجمة عفيف الرزاز، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1985م.

66- طعيمة، صابر، **التاريخ اليهودي العام**، بيروت، دار الجيل، ط3، 1411هـ/1991م.

67- طعيمة، صابر، **الماسونية ذلك العالم المجهول**، بيروت، دار الجيل، ط6، 1413هـ/1993م.

68- طنطاوي، علي بن مصطفى (ت1420هـ/1999)، **قصتنا مع اليهود**، جدة - المملكة العربية السعودية، دار المنارة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م،

69- ظاظا، حسن، **الشخصية الإسرائيلية**، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر، ط1، 1405هـ/1985م.

70- ظاظا، حسن، **أبحاث في الفكر اليهودي**، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر، ط1، 1407هـ/1987م.

71- ظاظا، حسن، **الفكر الديني اليهودي، أطواره ومذاهبه**، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971م، دائرة المعارف الأمريكية، طبعة 1959م.

72- عابد، عبد القادر، **الموسوعة الفلسطينية**، فلسطين الموضع والموقع، القسم الثاني، مجلد 1، ط1، بيروت، 1990م.

73- العارف، عارف، **تاريخ القدس**، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1951م.

74- عبد الوهاب، أحمد، إسرائيل **حرّفت الأناجيل والأسفار المقدسة**، القاهرة، مكتبة وهبة، 1972م.

75- عبد الهادي، جمال مُحَمَّد مسعود، **الطريق إلى بيت المقدس**، القضية الفلسطينية، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت.ن).

76- عبد الهادي، جمال، وفاء جمعة، **ليس لليهود حق في فلسطين**، المنصورة، دار الوفاء، ط4، 1993م.

77- عثيمين، مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين (ت1421هـ/2000م)، **تفسير الفاتحة والبقرة**، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1423هـ، عدد الأجزاء: 3.

78- عرفة عبده علي، القدس العتيقة، **مدينة التاريخ والمقدسات**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2007م.

79- عسيري، أحمد بن علي الزاملي، **منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي** وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين، السعودية، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة -كلية أصول الدين - جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، 1431هـ، عدد الأجزاء:.1.

80- العلمي، أحمد، **المجازر الإسرائيلية**، القدس، د.ت.ن.

81- علي، جواد، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، (-ت1408هـ/1987م)، (د.م.ن)، دار الساقي، الطبعة الرابعة 1422هـ/ 2001م عدد الأجزاء: 20.

82- علي، عرفة عبده علي، **القدس العتيقة، مدينة التاريخ والمقدسات**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2007م.

83- علي، فؤاد حسنين، **إسرائيل عبر التاريخ**، عابدين، مطبعة الرسالة، دار النهضة العربية، (د.ت.ن).

84- عمارة، مُحَمَّد، **إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين**، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م.

85- عوض، إبراهيم، **عصمةُ القرآنِ الكريمِ وجهالاتُ الْمُبَشِّرِينَ**، القاهرة مكتبة زهراء الشرق، الطبعة: الأولى 1426هـ - 2005 م، عدد الأجزاء: 1.

86- غاندي، روجيه غاندي، **فلسطين**، ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991م.

87- غريس هالس، **لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل**، ترجمة مُحَمَّد السماك، دار الشروق، (د.ت.ن).

88- فرا، عبد الناصر قاسم، **الهيكل المزعوم بين الوهم والحقيقة**، علوم سياسية، جامعة القدس المفتوحة- غزة- فلسطين.

89- فقيه، شادي، **كيف سيطر اليهود على العالم**، بيروت، لبنان، دار القلم، (د.ت.ن).

90- قدح، محمود عبد الرحمن، **موجز تاريخ اليهود والرد على مزاعمهم**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (107)، (د.ت.ن).

91- قدورى، غانم، أبو عبد الله غانم بن قدوري بن حمد بن صالح، آل موسى فَرَج الناصري التكريتي، **محاضرات في علوم القرآن**، عمان، دار عمار، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003 م.

92- قطان، ابراهيم، (-ت1404هـ/1983م) **تيسير االتفسير**، بترقيم الشاملة آليا وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير.

93- قطب، سيد، إبراهيم حسين الشاربي (-ت1385هـ/1965م)، **في ظلال القرآن**، بيروت- القاهرة، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر - 1412هـ.

94- قطب، مُحَمَّد إبراهيم عبد الغنى، **سلسلة التحدي بالقرآن**- مصر، يوم الاثنين 12/8 /2008م.

95- قطنة، أشرف عبد الرزاق، **رسم المصحف والإعجاز العددي**، دمشق، منار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 1999م.

96- القلموني، مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس الدين بن مُحَمَّد بهاء الدين بن منلا علي خليفة الحسيني (-ت1354هـ/ 1935م)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

97- قنوجي، أبو الطيب مُحَمَّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (-ت1307هـ/1889م)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبدالله بن إبراهيم الأنصَاري، صَيدَا – بَيروت، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، عام النشر: 1412هـ - 1992 م، عدد الأجزاء: 15.

98- كيث وايت لام، **اختلاق إسرائيل القديمة**، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، 1999م.

99- ماضي، مُحَمَّد إبراهيم، **صراعنا مع اليهود بين الماضي والحاضر**، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، (د.ت.ن).

100- مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مجموعة من العلماء، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، 1393هـ/ 1973م، عدد المجلدات: 10 مجلدات.

101- مجموعة مؤلفين، **تاريخ مدينة القدس**، عمان، دار حنين للنشر والتوزيع، ط1، 2003م/1423هـ.

102- محمود، مصطفى، **إسرائيل البداية والنهاية**، القاهرة، دار أخبار اليوم قطاع الثقافة، 1997م.

103- مراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (-ت1371هـ/1951م)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946 م، عدد الأجزاء: 30.

104- مسلماني، أحمد، **ما بعد إسرائيل**، الزمالك، دار ليلى للنشر والتوزيع، ط2، 2012م.

105- مصالحة، محمود، **المسجد الأقصى وهيكل بني إسرائيل**، القدس1997م.

106- مغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، **سلسلة محاسن التأويل** (37/ 3) بترقيم الشاملة آليا.

107- مغامسي، الشيخ صالح، **دروس** للشيخ صالح المغامسي (14/ 6، بترقيم الشاملة آليا).

108- مغلوث، سامي بن عبد الله، **أطلس الأنبياء والرسل**، مكتبة العبيكات، الرياض ط6، 1426هـ/ 2005م.

109- المقدم، مُحَمَّد أحمد إسماعيل المقدم، **تفسير القرآن الكريم**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 204 درساً].

110- مم خطيب، عبد الكريم يونس الخطيب (-ت بعد 1390هـ/ 1970م)، **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت.ن).

111- نجار، زغلول، **المؤامرة**، تقديم المستشار عبد الله العقيل، عمان، دار عمار، ط1، 2016/1437م.

112- نجار، زغلول، **الإسلام والغرب**، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2005م،

113- نجار، زغلول، المؤامرة، تقديم المستشار عبد الله العقيل، عمان، دار عمار، ط1، 1437هـ/2016م

114- نوفل، أحمد سعيد وآخرون، **الوطن العربي والتحديات المعاصرة**، مقرر لجامعة القدس المفتوحة، دار حنين للنشر والتوزيع، الأردن، 1996م.

115- نوفل، عبد الرزاق، **الإعجاز العددي للقرآن الكريم**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط5، (1407هـ/1987م).

116- ولفنستون، إسرائيل، **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، مصر، مطبعة الاعتماد، 1345هـ/1927م.

117- يعقوب، تادرس، **تفسير الكتاب المقدس** - العهد القديم، كتاب ألكتروني.

118- يوسف، حسين وآخرون، **جغرافيا فلسطين**، مقرر جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط1، 1995م.

أبحاث:

1- رفاعي، عدنان، بحث بعنوان: **نهاية إسرائيل في القرآن الكريم**، شبكة الذكر للدراسات الإسلامية، /http://www.thekr.net/index.php

2- رفاعي، عدنان، بحث بعنوان: **المعجزة الكبرى**". شبكة الذكر للدراسات الإسلامية http://www.thekr.net

3- رقب، صالح حسين الرقب، بحث بعنوان: **نقض المزاعم الصهيونية في هيكل سليمان**، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الأول، 2002م.

4- قدح، محمود بن عبد الرحمن، بحث بعنوان: **موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة والعشرون - العدد (107) - 1419/1418هـ.

5- نجا، محمود عبد الله،، بحث بعنوان: **الإعجاز الغيبي في وصف قتال اليهود من وراء الجُدُر**، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة /http://m.quran-m.com

تقارير:

1- تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام 1930م، **الحق العربي في حائط المبكى** في القدس، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968م.

2- موقع جريدة الأهرام، يوم الثلاثاء 20 ربيع أول 1422هـ، 12 يونيو 2001م، العدد (41826)، السنة (125) http://www.ahram.org.eg/Archive/2001/6/12/REPO1.HTM

3- تقرير بعنوان **(بروتوكولات حكماء صهيون)** مدونات الجزيرة الفضائية، يوم (2018/3/7م) http://blogs.aljazeera.net

4- تقرير بعنوان: **القدرات العسكرية الإسرائيلية**، نشرته **محطة الجزيرة الفضائية** بتاريخ (2008/3/3م)، http://www.aljazeera.net/news/arabic/2008/3/3

5- تقرير بعنوان: **النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت**، الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني http://www.pcbs.gov.ps

6- تقرير بعنوان: **عبدالوهاب المسيري يتوقع "نهاية قريبة"** لإسرائيل، نشرته وكالة رويترز يوم 15أيار مايو 2008م، https://ara.reuters.com/article/

7- تقرير بعنوان: **عبدالوهاب المسيري يتوقع "نهاية قريبة" لإسرائيل**، نشرته وكالة رويترز يوم (15) أيار مايو 2008م، https://ara.reuters.com/article/idARAOLR51153320080515

8- تقرير بعنوان: **منظمة ناطوري كارتا اليهودية**، موقع الجزيرة، http://www.aljazeera.net/news/international/2009/7/5

9- تقرير **طلقة الزاوية** http://www.israeli-weapons.com/Corner_Shot.htm www.youtube.com Future Weapons - Corner shot

دروس صوتية:

1- جرار، بسام، عالم وداعية فلسطيني، درس صوتي بعنوان: **(فإذا جاء وعد الآخرة)**. www.youtube.com

2- زراوي، عبد الفتاح، عالم وداعية جزائري، درس صوتي بعنوان: **(فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا)**. يوتيوب. www.youtube.com

3- الزهيري، حسن، آل مندوه المنصوري المصري، موقع أبو الأشبال، **شرح صحيح مسلم**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس. http://www.islamweb.net

4- مغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح، **تأملات قرآنية**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

5- المغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، **سلسلة محاسن التأويل** بترقيم الشاملة آليا، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net

6- المقدم، مُحَمَّد إسماعيل، **تفسير القرآن الكريم**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، [الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - 204 درسا] (166/ 6)، بترقيم الشاملة آليا http://www.islamweb.net

7- نجار، زغلول، عالم ومفكر مصري، درس صوتي بعنوان، **التفسير العلمي للآيات الكونية** سورة الإسراء 104. www.youtube.com

8- نوفل، أحمد، درس صوتي بعنوان: نهاية **وزوال إسرائيل**، www.youtube.com

9- يوسف، وسيم، داعية إسلامي أردني، خطيب وإمام مسجد الشيخ زايد الكبير في دولة الإمارات، درس صوتي بعنوان: **{وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض}** www.youtube.com .

مقابلات شخصية:

1- مقابلة شخصية بعنوان: **أحمد ياسين، الجزء السابع**، محطة الجزيرة الفضائية، في برنامج شاهد على العصر، www.youtube.com/watch?v=CjpeJ4IOgjQ

2- مقابلة شخصية بعنوان: **الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس**، موقع قناة الجزيرة الفضائية، www.aljazeera.net/news/arabic/2001/12/6

3- مقابلة شخصية بعنوان: **زوال إسرائيل**- احمد ياسين، برنامج شاهد على العصر، محطة الجزيرة الفضائية، https://www.youtube.com/results?search_query=

4- مقابلة شخصية بعنوان: **ناطوري كارتا ومستقبل إسرائيل**، موقع محطة الجزيرة الفضائية، برنامج بلا حدود، http://www.aljazeera.net/programs/withoutbounds

مقالات:

1- **جبالي، صقر، مقال بعنوان: جدار الفصل العنصري، حقائق وأرقام**، وفا- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، وحدة البحوث البرلمانية.

http://www.wafainfo.ps/ar_page.aspx?id=4981

2- حميد، نزار، مقال بعنوان: **المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بهدم الأقصى**، شبكة فلسطين للحوار يوم 2009/7/29م. https://www.paldf.net/forum/showthread

3- حميد، نزار، مقال بعنوان: **المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بهدم الأقصى**، نشرته مجلة (معلومات دولية) يوم 27يونيو 2011م، على موقع شبكة فلسطين للحوار www.paldf.net

4- رستناوي، حمزة، مقال بعنوان: **بانوراما الإعجاز العددي عند المعاصرين**، نشر على موقع الحوار المتمدن، العدد (3289) يوم 2011/2/26م http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=248116&nm

5- عاني، عثمان سعيد، مقال بعنوان: (**هيكل سليمان حقيقة أم خيال**)، صحيفة الرسالة، فلسطين، العدد (45).

6- عيسى، حنا، أستاذ القانون الدولي، مقال بعنوان: **المستوطنات في الضفة**، موقع قدس نت، http://qudsnet.com/

7- قطب، مُحَمَّد إبراهيم عبدالغنى، مقال بعنوان: **سلسلة التحدي بالقرآن**، موقع السرداب، مصر، يوم الاثنين 12/8 /2008 www.alsrdaab.com

8- مقال بعنوان: **اكتشاف كهف جديد كان يخفي مخطوطات البحر الميت**، محطة الجزيرة الفضائية (2017/2/10م). http://www.aljazeera.net/news

9- مقال شيحة، فارس، مقالة بعنوان:**اليهود وحقيقة محرقة "الهولوكوست" النازية**، مدون وكاتب، موقع (نون بوست) 25 مايو 2016م http://www.noonpost.org

10- مقالة بعنوان: **(عدد سكان إسرائيل 8,680 مليون نسمة)**، تحرير بلال ظاهر، موقع عرب 48، تاريخ النشر: 2017/04/27 م http://www.arab48.com

11- نجا، محمود عبد الله،، مقال بعنوان: **الإعجاز الغيبي في وصف قتال اليهود من وراء الجُدُر**، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة http://m.quran-m.com/

12- النجار، زغلول، مقال بعنوان: **الإشارات الكونية في القرآن الكريم** ومغزي دلالتها العلمية، جريدة الأهرام، مصر، يوم الإثنين، (6) رجب، 1427هـ، (31) يوليو، 2006م، السنة (130) العدد (43701).
http://www.ahram.org.eg/WriterArticles/178/2006/10.aspx

13- يونس، مُحَمَّد،، مقال بعنوان: **عدد الفلسطينيين في فلسطين التاريخية يقترب من عدد اليهود ويتجاوزه عام 2020م**، موقع مجلة الحياة الألكتروني، يوم الخميس، ١٥ مايو- أيار/2014م، رام الله، http://www.alhayat.com

مواضيع:

1- عودة، يونس، موضوع بعنوان: **الضفة الغربية أرض المستوطنات**، العدد (245)، تشرين ثاني 2005م، موقع مجلة (الجيش) www.lebarmy.gov.lb/ar/content/الضفة-الغربية - أرض-المستوطنات.

2- عيسى، حنا، أستاذ القانون الدولي، موضوع بعنوان: **المستوطنات في الضفة**، موقع قدس نت، http://qudsnet.com/

3- فرا، عبد الناصر قاسم، موضوع بعنوان: **الهيكل المزعوم بين الوهم والحقيقة**، علوم سياسية، جامعة القدس المفتوحة – غزة – فلسطين nasrfara@hotmail.com

4- موضوع بحث بعنوان **جيتو**، قاموس المعاني الألكتروني /www.almaany.com/ar/dict/ar-en/ghetto

5- موضوع بعنوان **من هم اليبوسيون؟** موقع الإذاعة الإسرائيلية باللغة العربية، نشر بتاريخ 01/01/2011.

6- موضوع بعنوان **عدد سكان إسرائيل: 8.8 مليون من بينهم 1.85 مليون عربي** موقع (بانيت) الإخباري، نشر يوم (2018/4/16) http://panet.co.il

7- موضوع بعنوان: **الهجرة اليهودية**، موقع وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية، http://info.wafa.ps

8- موضوع بعنوان: **(التوراة)** موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، http://mfa.gov.il

9- موضوع بعنوان: **إسرائيل شاحاك**، موقع المعرفة، /www.marefa.org/

10- موضوع بعنوان: **السيرة الذاتية لمصطفى محمود كما كتبها بنفسه**، موقع المنتدى العربي، https://hrdiscussion.com/hr7249.html

11- موضوع بعنوان: **الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس**، موقع قناة الجزيرة الفضائية http://www.aljazeera.net/news/arabic/2001/12/6/

12- موضوع بعنوان: **المظاهر الطبيعية في فلسطين**، دولة فلسطين، دائرة الثقافة والإعلام، dci.plo.ps

13- موضوع بعنوان: **رشاد خليفة**، موقع المعرفة /www.marefa.org/

14- موضوع بعنوان: **معلومات عن الدكتور مصطفي محمود السيرة الذاتية**، موقع اليوم السابع، alyuom7.blogspot.com/2011/11/blog-post_3765.html

صحف ومجلات:

1- صحيفة "أخبار اليوم"، القاهرة، مقال بعنوان: **لغة العدو - ماذا تقول؟** " يوم 1970/7/18م.

2- صحيفة الحياة، موضوع بعنوان **(غور فيدال)** القاهرة - 18 نوفمبر 2014م. http://www.alhayat.com.

3- صحيفة الرياض، موضوع بعنوان: د. المسيري: **هناك من يصفني بالجنون عندما أقول بحتمية زوال ونهاية إسرائيل**، يوم الخميس 7 صفر 1429هـ -14 فبراير 2008م - العدد 14479 http://www.alriyadh.com/317481

4- صحيفة هآرتس الإسرائيلية، دراسة تاريخية هامة بعنوان: **مجموعة من علماء الآثار الإسرائيليين**، القدس، يوم (1999/10/29م).

5- مجلة الجامعة الإسلامية، شفيق، جاسر أحمد محمود، **الفتح العمري للقدس** نموذج للدعوة بالعمل والقدوة، المدينة المنورة، العدد الواحد والستون محرم- صفر- ربيع الأول 1404هـ، السنة السادسة عشرة.

فتاوى:

1- الإسلام سؤال وجواب، إشراف الشيخ مُحَمَّد صالح المنجد islamqa.info

2- سحيم، عبد الرحمن بن عبد الله، **سؤال عن الإعجاز العددي**، صيد الفوائد، نسخة محفوظة 10 أغسطس 2017م، على موقع واي باك مشين. Way Back Machine

3- فتوى رقم: (151281)، الأربعاء 27 ربيع الآخر 1438 - 25 يناير 2017.

4- قرضاوي، يوسف، عالم وداعية، فتوى بعنوان: تفسير قوله تعالى: {وإن عدتم عدنا} رقم: (283456) الثلاثاء 7 ربيع الآخر 1436هـ، 2015/1/27م.fatwa.islamweb.net

5- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، **فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية** جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، عدد الأجزاء: 11 جزءا، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع.

مواقع:

1- موقع إسرائيلي - طلقة الزاوية

http://www.israeli-weapons.com/Corner_Shot.htm

2- موقع إسلام ويب http://www.islamweb.net

3- موقع الأرقام http://www.alargam.com/atef/ نقد كتاب (**أسرع الحاسبين**)

4- موقع الإسلام سؤال وجواب، إشراف الشيخ مُحَمَّد صالح المنجد islamqa.info

5- موقع الجزيرة الفضائية – أخبار www.aljazeera.net/news/arabic

6- موقع الجزيرة الفضائية – انترناشيونال http://www.aljazeera.net/news/international

7- موقع الجزيرة الفضائية – برامج http://www.aljazeera.net/programs/

8- موقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، **النتائج الأولية للتعداد العام للسكان** والمساكن والمنشآت 2017 http://www.pcbs.gov.ps/Downloads/book2364.pdf

9- موقع الرياض كوم http://www.alriyadh.com/317481

10- موقع السرداب www.alsrdaab.com

11- موقع الشيخ يوسف القرضاوي- السيرة الذاتية www.al- qaradawi.net/content

12- موقع **برنامج المعجزة الكبرى**، الحلقة الثامنة، عل فضائية (دريم2) نشرها موقع الذكر للدراسات الإسلامية. www.thekr.net/index.php/2

13- **موقع تفسير الكتاب المقدس**- العهد القديم- القمص تادرس يعقوب.-https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Tafseer-Al-Keta-Al-Mokadas-index-1-Father-Tadros-Yaacoub-Malaty.html

14- **موقع جبالي، صقر، وحدة البحوث البرلمانية**، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية- وفا. http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id

15- موقع جريدة الأهرام – مصر http://www.ahram.org.eg /

16- موقع دائرة الثقافة والإعلام، دولة فلسطين، **المظاهر الطبيعية في فلسطين**. dci.plo.ps

17- موقع "الذكر" الكاتب والمفكر الإسلامي المهندس عدنان الرفاعي. www.thekr.net/index.php/component/content/article?id

18- موقع رويترز الإخباري https://ara.reuters.com/article/

19- موقع سماحة الشيخ يوسف القرضاوي- السيرة الذاتية /www.al-qaradawi.net/content/

20- موقع صحيفة يديعوت أحرونوت، **صورة ضوئية**، يوم 2014/9/4م، الساعة 12:31، www.ynetnews.com

21- موقع قاموس المعاني الالكتروني، **معنى كلمة الديمغرافيا**، مصطلح يختص بعلم السكّان؛ وهو عبارة عن دراسة لمجموعة من خصائص السكّان، منها الكثافة السكانيّة، والتّوزيع، والنّموّ www.almaany.com/ar/dict/ar-en/demographic

22- موقع قاموس المعاني، **معنى كلمة لوبي** /www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

23- موقع لجنة إعمار الخليل http://www.hebronrc.ps

24- موقع مدار، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية،: **قيمة الشيكل التوراتي اليوم**، موسوعة المصطلحات، http://www.madarcenter.org

25- موقع نجا، محمود عبدالله، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**، /http://www.quran-m.com

26- موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، (التوراة) http://mfa.gov.il

27- موقع وفا الإعلامي.

28- موقع يوتيوب للبحث https://www.youtube.com/results?search

قائمة المحتويات